منهاج السلوك في سياسة الملوك

كتاب نهج المسلوك في سياسة الملوك

تعلق ١٧

٢٠٢ ط

٢٨٤٦

N. S.

٢٨٤٦

كتاب النهج المسلوك في سياسة الملوك من قبل التصوف

للطبري ؟ عبد الرحمن بن نصر

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين
والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان
وقفاً صحيحاً شرعياً لمن طالع واسترشد وأنا الفقير أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف
الحرمين الشريفين غفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عجزت العقول عن معرفة ذاته وقصرت الافكار
عن الاحاطة بكنه صفاته وتحيرت الابصار في بدايع
مصنوعاته وشهدت له بالوحدانية غرايب ارضه
وسمواته احمده على مننه العظام واياديه الجسام حمد معترف
بسوابغ الانعام واشهد ان لا اله الا الله وحده لا
شريك له الها لم يزل منعوتا بالجلال موصوفا بالكمال
منزها عن الحركة والسكون والانتقال مقدسا عن الجسم
والشبح والخيال واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله
ببرهان لامع المنار وقرآن ساطع الانوار قطع باعجازه
حجج الكفار وقامع بايجازه البباب اولي الافكار صلى الله عليه
وعلى آله الكرام الاطهار صلوة دايمة بالعشي والابكار
عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله لما كان المولى الملك
الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين
ابو المظفر يوسف بن ايوب بن شاذي محيي دولة
امير المؤمنين ادام الله دولته وحرس على الاسلام مهجته

ممن آتاه الله ملكه العظيم وهداه صراط المستقيم واورثه مشارق
الارض ومغاربها واوطاه من الملوك رقابها ومناكبها
وكان ممن يرى الادب وفضله ويؤثر العلم واهله
جمعت لخزانته علومه هذا الكتاب وهو يحتوي على طرايف
من الحكمة وجوامع من الآداب واصول في السياسة و
تدبير الرعية ومعرفة اركان المملكة وقواعد التدبير وقسمة
الفيء والغنيمة على الاجناد وما يلزم اهل الجيش من
حقوق الجهاد ونبهت فيه على الشيم الكريمة والاخلاق
الذميمة واشرت فيه الى فضل المشورة والحث عليها و
كيفية مصابرة الاعداء وسياسة الجيش واودعته
من الامثال ما يسبق الى الذهن شواهد صحتها ومعالم
ادلتها مع نوادر من الاخبار وشواهد من الاشعار وفصلته
ابوابا تتضمن حكايات لايقة ومواعظ شافية و
حكما بالغة وسلكت في ذلك كله طريق الاختصار
ومذهب الايجاز لئلا تمجه الخواطر وترفضه الاسماع
وسميته النهج المسلوك في سياسة الملوك وكنت في
ايداعه لخزانته كمهدي التمر الى هجر او الكافور الى

قيصور ولكن قصدت بذلك ايصال الحكمة الى اهلها و
ان اصفها محلها وبالله اعتصم وعليه اتوكل وهو عشرون
بابا وبالله التوفيق وهو حسبي ونعم الرفيق

الباب الاول في بيان افتقار الرعية الى ملك عادل

الباب الثاني في بيان فضل الادب والافتقار اليه

الباب الثالث في معرفة قواعد الادب

الباب الرابع في معرفة اركان المملكة

الباب الخامس في معرفة الاوصاف الكريمة والحث عليها

الباب السادس في معرفة الاوصاف الذميمة والنهي عنها

الباب السابع في كيفية رتبة الملك مع اوليائه في جلوسه وركوبه

الباب الثامن في بيان فضل المشورة والحث عليها

الباب التاسع في بيان اوصاف اهل الشورى وحكايات لائقة

الباب العاشر في معرفة اصول السياسة والتدبير

الباب الحادي عشر في الجلوس لكشف المظالم وفضله

الباب الثاني عشر في ذكر ادب صحبة الملوك ومعاشرة الحال

الباب الثالث عشر في معرفة ما يخص به الملوك في عادة الحال

الباب الرابع عشر فيما ينبغي للملك من سياسة الجيش وتدبير الجنود

الباب الخامس عشر فيما يلزم اهل الجيش من حقوق الجهاد

الباب السادس عشر في مصابرة المتمكنين و
فصلها الباب السابع عشر في معرفة قتال قطاع الطريق
واهل الردة والبغي الباب الثامن عشر في معرفة
قسمة الغنيمة والنوس باهل الجيش الباب التاسع
عشر فيما ينبغي للملك فعله عند قفوله بالجيش الباب
العشرون في الحث على استماع المواعظ وقبولها من
الناس

الباب الاول في افتقار الرعية الى ملك عادل

اعلم انه لما كانت الرعية صنوفا مختلفة و~~صنوفا مختلفة~~ وشعوبا
مختلطة متباينة الاغراض والمقاصد متفرقة الاوصاف
والطبايع افتقرت ضرورة الى ملك عادل يقوم اودها ويقيم
عدلها ويمنع ضررها وياخذ حقها ويرب عنها ومتى خلت من
سياسة تدبير الملك كانت كسفينة في البحر تكتنفها الرياح
المتواترة والامواج المتظاهرة قد اسلمها الملاحون واستسلم
اهلها للموت واعلم ان الرعية تستظمي الى عدل الملك وتدبيره
استظماء اهل الجدب الى الغيث الوابل وينتعشون بطلعته
عليهم كما تنتعش النبت بما يناله من ذلك القطر بل الرعية
بالملك اعظم انتفاعا منها بالغيث لان للغيث وقتا

وسياسة الملك دايمة لا حد لها ولا وقت والرعية في تباين
اوصافها كنبات الارض فمنه الطيب المثمر ومنه الخبيث
القاتل فما كان منه طيبا فانه لا يزكو اصوله في ارضه
ولا يثمر فروعه اذا جاوزه الخبيث فيها لان الخبيث يسبق
الى مادته في القرار فيشبهها ويكتنف فروعه في الفضا
فلا يصل اليه حظ من النسيم فاذا اصلحت الارض واخرج
ما فيها من النبت الخبيث انتعش نبتها الطيب وقوى
اصله ونمى فرعه وطاب ثمره وكذلك الرعية لما جاوز الخبيث
طيبها افتقرت ضرورة الى ملك يصلح فاسدها ويمنع ضايلها
ويكسر سوكة اهل التعدي عليها لينتعش احوالها ويزكو
اموالها ويكثر خيرها ويصلح امورها وقد قيل الرعية بلا وال
كالانعام بلا راع فانظر سايمة الانعام في مراعيها اذا
خلت من راعيها ما اشد اختلال حالها واختلاف احوالها
بل الرعية اشد اختلالا واكثر اختلافا فلا بد من زعيم يمنعهم من
المظالم ويفصل في التنازع والتخاصم ولولاه لكانوا فوضى
مهملين وهمجا مضاعين قال الافوه الاودي لا يصلح
الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

د

والبيت لا يبتنى الا باعمدة ولا عماد اذا لم ترس اوتاد
وان تجمع اوتاد واعمدة   وساكن بلغوا الامر الذي كادوا

لما افتقرت الرعية في امورها الى تدبير الملك وكان الادب
بمجموع خلال حميدة وخصال جميلة افتقر اليه الملك ضرورة
لتصدر عنه تصاريف التدبير في الرعية على قانون العدل
الذي به دوام المملكة فقد قيل من حسنت سياسته دامت
رياسته   ان الادب احد الاوصاف الاربعة التي
يشترط قيامها بالملك في تدبير المملكة على ما سنوضحه في موضعه
فاذا ى عينه اختلت سياسته وتدبيره وقد قيل الادب
صورة العقل فمن لا ادب له لا عقل له ومن لا عقل له
لا سياسة له ومن لا سياسة له لا ملك له ومن لا ملك له
لا ملك له وقال بعضهم قرات في التورية ان حسن الحلية
الحسب لا حسب لمن لا مروة له ولا مروة لمن لا عقل ولا
لمن لا ادب وقال بعضهم الحكما الادب عصمة الملوك
لانه يمنعهم من الظلم ويردهم الى الحلم ويصدهم عن الاذية
ويعطفهم على الرعية فمن حقه ان يوفروا افضله ويعطو ا

اماله وقال بعض العلماء ليس للمرء ان يسمح لحاله جليله ما لها
بغير عقل ومنزلة رفيعة حلها بغير ادب فان الجهل نزيله منها
ويزيله عنها ويحطه الى رتبته ويرده الى قيمته بعد ان تظهر عيوبه
وتكثر ذنوبه ويصير بالوحدة ناجيا ولسنة معاديا وكان يقال
عقل الاديب ابدا في ارشاد ورايه ابدا في سداد فقوله سديد
وفعله حميد وقال رجل من قيس سيد من قريش يا اخاه
قريش اطلب الادب فانه زيادة في العقل وكمال في المنصب
ودليل على المروة وصاحب في الغربة وصلة في المجالس وما
احسن قول الذي يقول ادب المرء كلحم ودم ما حواه اجل
الاصلح لو وزنا رجلا ذا ادب مالوف من ذوي الجهل رجح
وكان يقال الادب مال واستعماله كمال واوصى ملك ولده
فقال يا بني خصلتان يسود بهما المرء وان كان غير ذي
مال العلم والادب يا بني جالس الكبراء وناطق العلماء فان
مواخاتهم كريمة ومجالستهم غنيمة وصحبتهم سليمة واوصى رجل
ولده فقال يا بني عليك بالادب فانك ان كنت غنيا
كنت شريف قومك وان كنت مكتفيا كنت سري قومك
وان كنت غنيا لم تستغن عنك رؤسا البلاد واشرافهم و

قيل

قيل من قعد به نسبه نهض به ادبه وقال بزرجمهر ما اورثت
الآباء ابناها شيئا افضل من الادب شيئا افضل من الادب
لانها اورثتها الادب اكتسبت به الاموال ونالت به اعلى
المراتب واذا اورثتها الاموال اضاعتها وبقيت عدما من
الادب وكان يقال الادب خير ميراث وحسن الخلق خير قرين
والتوفيق خير قايد والاجتهاد اربح تجارة ولا مال اعود من
العقل ولا عقل اوثق من المشورة ولا فقر اشد من الجهل و
قيل الادب ثوب جديد لا يبلى والعلم كنز عظيم لا يفنى وقيل
من ادب ابنه ارغم عدوه وقيل ثلاثة ليس معهن غربة حسن
الادب ومجانبة الريب وكف الاذية وقال نصر بن سيار
كل شيء يبدو صغيرا ثم يكبر الا الادب فانه اذا اكثر غلا واعلم ان
فضل الادب اشهر من ان يسطر وفي النفس الابية ما يحث عليه
اذا كانت تانف ضده وتكره مخالفته وقوله قواعد ينبني عليه
اركانه سنذكرها ان شاء الله تعالى

في موونة

قواعد الادب لما كان الادب وصفا منوطا بالملك في تدبير
المملكة افتقر في ذلك الى موونة قواعد التي لا تتحقق بدونها ولا
ينبني الا عليها وهما قاعدتان لا يستقيم الملك تركبهما اذ يتعاصلان

في السياسة والتدبير اعلم ان العلم باحكام الدين
وضبط اصولات الشريعة واجبة على كل مسلم وعلى الملوك
اشد وجوبا لافتقارهم الى اقامة الحد واشاعة ما يستحق كل
جان منهم على الوجه الشرعي واخذ الحقوق من وجوهها و
صرفها في اربابها وجهابها ليتحقق منهم العدل الذي قامت
به السموات والارض ومتى كان الملك جاهلا كان تدبيره
بهدم ما لقواعد المملكة قال عمر بن عبد العزيز عليه الرحمة من
عمل بغير علم كان ما يهدم اكثر مما يبني قال عبد الرحمن ولا
محالة ان الملك اذا كان خاليا عن ركب سواه ويخبط ما لملمه
اذ لا تحجبه فكرة سليمة ولا يمنعه حجة صحيحة ويكون كالفيل
الهائج في البلد التي لا يمر بشيء الا يحطمه واذا كان الملك عالما
كان له من علمه وازع يقمع هواه ويميل به الى سنن الحق كما
يقيد الهائج اذا خرج من العوائد الانيس فلابد له السلسلة و
هذه المكتوب حتى يحمل عليه الاثقال وقال بعض الحكماء الملك
اذا لم يوحده علم كان مذلة آجله والعلم اذا لم يؤيده عقل كان
مضلة عاجله وكان يقال اذا اراد الله بالناس خيرا جعل
العلم في ملوكهم والملك في علمائهم وقال بعض الحكماء العلم

عصمة

عصمة الملوك لانه يمنعهم من الظلم ويردهم الى الحلم ويصدهم
عن الاذية ويعطفهم على الرعية وقال ابن عباس رض ان
سليمان بن داود عليهما السلام خيره الله تعالى بين العلم و
الملك فاختار العلم فاعطاه الله تعالى العلم والملك جميعا
واوصى ملك من الملوك اليمن ولي عهده الذي من فوقك
سمعك من تحتك وكما يجب ان يعقل بك فافعل برعيتك
وانظر كل حسن فافعله واستكثر من مثله وكل قبيح فا
رفضه وما لنصحاء يستبين لك حالك وخيرهم اهل الدين
واهل النظر في العواقب واستكثر من العلم فانه اساس
التدبير وما ليس له اساس فمهدوم وانما رايت الملوك تؤتى
من ثلثة امور فاحزم عنك واحدا واحكم اثنين وهي اتباع ع
الهوى وتوليه من يستحق وكشف امور الرعية فانك ان ملكت
هواك لم يستاثر ولم تعمل الا بالحق وان وليت المستحق
كان عونا لك على ما تحب ولم يضع على يديه الامور و
اذا تنامت اليك امور رعيتك عاش الوضيع من الشبع
الهوى وحذر الرفيع وامسك الظالم او المظلوم والسلام
على من اتبع الهدى وحكي ان عبد الله بن صالح بن

دخل بغداد على بعض شباب بني العباس فحادثه
فوجده على خلاف ما عهد اسلافه فساءه ذلك ثم خرج
من عنده فقال ان الجهل يحط اولي المراتب ويصغر
ذوي المناصب ثم انشد متمثلا تعلم فليس المرء يولد عالما
وليس اخو علم كمن هو جاهل   وان كبير القوم لا علم
عنده صغير اذا التفت عليه المحافل   وقال بعض العلماء
الجهل مطيه من ركبها زل ومن صحبها ضل وانشد في بعض
اهل العلم   اخي ان كنت عالما زادك العلم علوا او جاهلا
رفعك العلم فنكب الجهل ما استطعت فان الجهل ان
كنت عاليا وضعك قال بعض العلماء من حرس العلم اجتنى
النباهة ومن حرس الفكرة اجتنى الحكمة ومن حرس
الوقار اجتنى المهابه ومن حرس المداراة اجتنى السلامه
ومن حرس الكبر اجتنى المقت ومن حرس الحرص اجتنى
الذله ومن حرس الطمع اجتنى الخزي ومن حرس الحسد
اجتنى الكمد   من قواعد الادب نهي النفس عن
الهوى وذلك لازم للملك في التدبير لان صواب الراي
وخطاه انما يكون بحسب قوه التخييل الفكري وضعفه

فمن

[illegible]

فمن قوي تخيل فكره كان في سلطان الراي غالبا ومن
ضعف تخيل فكره كان في سلطان الهوى وانما يضعف
التخيل الفكري اذا استولت على النفس الشهوات فيحجب
العقل عن صواب الراي فاذا قهر الملك نفسه عن هواها
ومنعها شهواتها الضاره بها ونهاها ظهر له صواب التدبير
في مراه العقل ومتى لم يملك الملك ضبط نفسه عن هواها
وهي واحده لم يملك ضبط حواسه مع قلتها وذلتها
صعب عليه خاصته من اعوانه مع كثره جمعهم وخشونه
جانبهم ومن لم ينضبط خاصته من اعوانه وهم نصب عينه
لم ينضبط عامته من رعيته في اقاصي بلاده واطراف
مملكته فليس من عدو بعد قهر النفس احق بالقهر من
الحواس لانهن اعوان النفس ودليلها الى الشهوات
الموبقه وقد راينا قوه الحس الواحده منهن على انقيادها
اذا اتت على نفس من النفوس القويه الحذره الهتها
عن مصلحتها حتى توردها حياض الموت فكيف اذا
سمع صوت اوتار الصنوج مع تواتر النغمات واصطحابها
الهاه سماع ذلك عما اراد به فيلبث في مكانه حتى

بانه الصياد فيقتنصه والفيل مع عظم جسمه وشدة
قوته يلهيه لين اللمس ويذلله عن نفسه حتى تنصب
له فيصاد ويذل ويركب عنقه والفراش الذي يسكن
من في الشمس اذا راى ضوء النار اعجبه نورها وحسن منظرها
فيلهيه ذلك حتى يلقي نفسه فيها فيحرقه وذباب الورد
المولع بطيب الارايح يطلب ما يقطر من اصل اذن
الفيل عند هيجانه فانه يكون في طيب رايحة المسك ولا
يهوله تحريك اذن الفيل بل يلهيه شم ذلك التحرز
عن الاحتراس حتى يلج في اصل اذنه فتقع عليه ضربة الاذن
فيقتل والسمك في البحر يسلمه ذوق ويلهيه ويذهله عن
النص الذي فيه اللحم فيبتلعه فيكون فيه حتفه فمن ملك
هذه الحواس الخمس فقد ملك نفسه ومن ملك نفسه حسنت
سياسته ودامت رياسته ومن اعطى نفسه هواها باتباع
ملاذ شهواته اشتغل عن تدبير مهماته فيختل اموره ودولته
ويحل عرى مملكته وقد سئل رجل من بني امية عن سبب
زوال دولتهم فقال مثل ما قال بزرجمهر شغلتنا لذاتنا
عن مهماتنا وقل عطاؤنا لجندنا فقتل ناصرنا ووثب نا على
اهل

علينا اهل في احبانا فدعوا علينا فطلبوا الراحة منا واشد
من ذلك انا استعملنا صغار العمال على كبار الاعمال
فال ملكنا الى ما ال وقال بعض الحكما العقل كالزوج
والنفس كالزوجة والجسم كالبيت لهما واذا كان سلطان
العقل غالبا قاهرا للنفس اشتغلت النفس بمصالح
الجسم اما بمنفعة تجلبها او مضرة تحسبها كما تشتغل الزوجة التي
قهرها زوجها بمصالح بيتها العايدة عليها وعلى زوجها
وان كان سلطان النفس على العقل غالبا كان سعي النفس
فاسدا او تبرعاتها مذمومة كفعل الزوجة التي قهرت زوجها
وكان يقال لا يزال الملك الحازم طاف ظهور عدوه عليه
حتى يتجاوز عدوه قضايا العقل الى قضايا الهوى فحينئذ
ينتشر بالقلب ويثق حسن المنقلب وكان يقال الهوى
كالنار اذا استحكم ابعادها عسر اخمادها وكالسيل اذا
اتصل مدة بعد رصده وقال المامون الهوى ينتج من
الاخلاق قبايحها ويظهر من الافعال مصالحها انشد
بعض اهل العلم   اذا ما رايت المراه يعتاده الهوى
فقد ثكلته عند ذاك ثواكله   وقد شمتت الاعداء جهلا

نفسه وقد وجدت فيه معالا عراذله وما نزع النفس
الحرونة عن الهوى من الناس الا جازم الرأي كامله
وقال اردشير ما استعان ملك على عدل في رعيته بمثل
مخالفة الهوى وقال ايضا الزلل مع اتباع الهوى واوصى
رجل ولده فقال يا بني اعص هواك والنساء واصنع
ما شئت وكان يقال اذا غلب عقلك هواك فهو لك
واذا غلب عليك هواك فهو لعدوك وقال بعض الحكماء
اكثر مخالفة الهوى فان النفس امارة بالسوء تكره ما لها
وتحب ما عليها ولن تحور عن القصد من امن عقله و
اتهم هواه ولا يسلم من الندم من اصبح الهوى واسعد

وانشد بعضهم اذا انت لم تعص الهوى قادك الهوى الى
بعض مقال وقال سابق البربري اعص
الهوى حين لا وقد تبينت ما اندر

واوصى ملك من لا يكون الا فراط من
شانك في نكال ولا نوال فانه في النوال يجحفك وفي
النكال يؤثمك ويحقق عليك واذا انكرت نفسك فامسك
وغالب هواك فانه اصل ما اشعث داء عمل بالحق فانه لا

رفيق

٩

منه شيء ولا ينفذ فيه عاقل ولا يعجبك تبعه ولكن
خوف بطانتك لك اشد من انسهم بك واوصى ملك
من سوب ولي عهده فقال كن بالحق عمولا وعن جهلت
سؤلا واول شيء يؤدب نفسك فيعها عن شهواتها و
روعها عن هواها فلا شيء اضر بالملك من اتباع الهوى و
الفحص عن الامور تظهر لك خفاياها واستبطن اهل
التقوى وذوي الاجتناب تزين نفسك وتحكم امرك و
اياك وقبول التزكية فيما لا تشك انك مكذوب فيه فانها خدعة
يتبعها صرعة ولا تحصن سرك الا عند من تكتمه ولا تثق برجل
تتهمه ولا تعود لسانك الخنا ولا تكلف نفسك ما لا يعنيك
واذا سمعت بخير فعجله واذا سمعت بشر فتان فيه واياك
وكثرة الاماني ممن بالي على الله اكذبه وارحم ترحم

قد يدرك الجازم ذو الرأي المنى بطاعة الحزم وعصيان
الهوى

اعلم ان المملكة تبنى على قاعدة كلية لا قوام لها بدونها
ولا يثبت الا عليها هي منها بمنزلة الراس من الجسد
فكما لا بقاء للجسد بعد قطع الراس كذلك لا بقاء للمملكة

بدون هذه القاعدة فاذا انتقص منها ركن وهذه
القاعده نقلها اركان خمسة بها قوام القاعده فاذا انتقص
منها ركن اوبين القاعده وافضى الى اضطرابها فيختل
المملكة كما ان النفس تقوم بها اركان خمسة وهي الغذآء و
الشحم والدم والمخ والعظم فاذا انتقص منها ركن اوهن
النفس وافضى الى ذهاب القوه وكذلك دين الاسلام
اركانه خمسه فاذا انتقص منها ركن في شخص بطل عمل
البواقي وخرج عنه الاسلام وهذه القاعده واركانها
الخمسه بقلها اساس باطن لاتثبت الا عليه فاذا انشقت
هذه الاساس اختلت الاركان واضطربت القاعده
وافضى الامر الى امرا لهدام الجميع وسنوضح ذلك ان شاء الله
التي تبتني عليها المملكة فهي الملك المنتصب
لتدبير الرعيه وسياسة المملكه وبعثه اوصاف اربعه لاينفك
عنه واحده منهن وهي دينه وعقله وعدله واقدامه فاذا
خلى عن شيء من ذلك وسب قويه وضعف عن حمل
المملكه كالطبايع الاربع المركبه في جسد الانسان لاقوام
له الا بها فاذا خلا عن واحده منهن انحل تركيب الجسد

ورسب

ونتعوت منه النفس فاذا استقام الملك بهذه الاوصاف
الاربع قامت به مملكته من اركان المملكه فهو الوزاره
وهي على ضربين وزاره تفويض ووزاره تنفيذ اما وزاره
التفويض فهو ان يستوزر الملك من تفويض اليه تدبير الامور برايه
لان وكل الى الملك من تدبير الرعيه لايقدر على شيء مباشره وجميعه
الا بالاستنابة واما وزاره التنفيذ فالنظر فيها مقصور
على راى الملك وتدبيره وهذا الوزير وسيط بين الملك والرعيه
يؤدي عنه ما امر به وينفذ ما ذكر ويمضي ما حكم ويخبر عنه بتقليد
الولاده وتجهيز الجيوش ويعرض عليه ما اورد من امرهم وما يجد
من حدث مهم ولا مندوحة للملك عن نظر الوزير واستعمال
رأيه فيما يجهله من امور التدبير والوقايع الحادثه وقد روت
رصيه ان النبي عم فان من يستعمل على عمل واراد الله به
خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وقد
تثبت المصروع من الملوك برأى وزيره حتى يعلو من صرعته
بقوته رايه ولطف حيلته وان كان ضعيفا والصارع قويا
كالماء الذي هو اقوى من النار فانه يحال المحال حتى يبعد
منه النار وهو في القدر ولا يصيبه النار بل يتغلب النار على

الآء الذي هو اقوى منها حتى ينفذ من المقدر بلطف الحيلة
واعلم انه لا بد ان يعتبر في الوزير عشرة اوصاف احدها العقل لان
تدبير الجاهل يقع مخالفا للشرع فيكون وبالا الثاني السن
لان الشيخ حنكته التجارب وحكمته النوائب وشاهد من
اختلاف الدول ونزول الحوادث ما اوضح له غفلة صواب
الرأي في التدبير الثالث الامانة حتى لا يخون فيما اؤتمن
عليه ولا يغش فيما استنصح فيه الرابع صدق اللهجة حتى
يوثق بخبره فيما يؤديه ويعمل بقوله فيما ينهيه الخامس قلة الطمع
حتى لا يرتشي ولا ينخدع السادس ان يسلم فيما بينه وبين
الناس من عداوة او شحناء لان العداوة تصد عن التناصف
وتمنع من التعاطف السابع ان يكون ذكورا لما يؤديه الى
الملك او ينقله عنه لانه شاهد له وعليه من الذكاء و
الفطنة لئلا تدلس عليه الامور فتشتبه ولا تموه عليه
الاحوال فيلتبس لان الامور لا تصح مع اشتباهها
ثم ولا يتم التباسها التاسع ان لا يكون من اهل
الاهواء فيخرجه الهوى من الحق الى الباطل ويتدلس
عليه الحق من المبطل لان الهوى خادع الالباب

وصارف عن الصواب العاشر ان يكون من اهل الكفاية
فيما وكل اليه من امر الحرب والخراج خبيرا بهما عارفا بتفصيلهما
لا يكون مباشرا لهما تارة ومستنيبا فيهما تارة اخرى وعلى
هذا الوصف مدار الوزارة وبه تنتظم امور السياسة
ومتى لم تجتمع في الوزير هذه الاوصاف العشرة كان تدبيره
ناقصا بقدر ما نقص منها وحكي ان المأمون كتب في
اختيار وزير اني التمست لنفسي لمهمي وتدبير اموري رجلا
جامعا لخصال الخير ذا عفة في خلائقه واستقامة في طرائقه
قد هذبته الآداب واحكمته التجارب ان اؤتمن على الاسرار
قام بها وان قلد مهمات الامور نهض فيها يسكته الحلم
وينطقه العلم ويكفيه اللحظة وتغنيه اللمحة له صولة الامراء
واناة الحكماء وتواضع العلماء وفهم الفقهاء ان احسن
اليه شكر وان ابتلي بالاساءة صبر لا يبيع نصيب
يومه بحرمان غده يسترق قلوب الرجال بحلاوة لسانه
وحسن بيانه قال صاحب الكتاب وهذه الاوصاف
ان كملت في الوزير وقل ما تكمل فالصلاح بنظره
عام وتدبيره تام وان اختلت فالصلاح بحسب نقصها

يحصل والتدبير على ما قدرها معتدل وقد كان الفضل
بن سهل وزير المامون يبعث اصحابه الى البلاد وعيونا يسمعون
ما يقول الناس فيه من خير او شر فيرحلون اليه بذلك فما سمع
من خير ازداد منه وما سمع من عيب فيه ازاله عنه وان
وفدا قدموا على المامون من بلاد الروم فاكرمهم فلما رجعوا
الى بلادهم قال عقلاؤهم ما رأينا مثل جلاله وعظمته وعقله
ولا رأينا مثل وزيره في حسن سمعته وكمال اوصافه لولا انه
حدث السن ومن شأن الملوك ان يستوزروا المشايخ الذين
اجتمعت لهم الحيلة والرياسة والعلم والتجربة في جميع احكامه
بذلك قال فاحتجب ثلثة ايام في داره يعالج لحيته حتى
نجم للناس ومن بعد ذلك ولا يجوز ان يكون الوزير امرد
لقوله صلى الله عليه وسلم ما افلح قوم اسندوا امرهم الى امرد
من اركان المملكة اعلم ان الرعيه ركن شديد من اركان
المملكه وهم قسمان خاصة وعامة والخاصة قسمان متصنع
في خدمة الملك ومطبوع على الانكماش والقيام بحقوق
الخدمة فليعرف الملك المتصنع منهم والمطبوع فان العوت
من خاصة المتصنع في خدمته يكون في اول ذلك نشيطا

موا ظبا للخدمة ثم يدركه خور الطبيعة وقصور الهمة فيفتر
عما يتعاطاه اولا وينسب تصنعه والمطبوع على الانكماش
في الخدمة يكون نشيطا في كل وقت مثل نشاطه في اول
خدمته **واما العامه** فهم ثلث طبقات اخيار واشرار و
متوسطون بين ذلك ولكل طبقة منهم سياسة سنذكرها في
موضعها ان شاء الله تعالى والمطلوب من الرعيه طاعة الملك
وذا الجانب وعمارة البلاد واداء الحقوق وانما يحصل
منهم ذلك بنشر العدل عليهم على ما سنذكره في بابه ان شاء الله تعالى
الركن الثالث من اركان المملكة القوه لتقوى الملك تنقسم الى
ثلثة انواع احدها قوة رتبته في الناس وهيبته عليهم و
ما يقع في نفوسهم من نخوة وسطوته واستعلائه وقدرته الى
في قوة اختياره بنفسه لما يرد عليه من الامور واستقلاله بذلك
الثالث قوة التدبير لامور المملكة والنقد فيها اما القوه
الاولى فتحصل بحسن السياسة على ما سنذكره في موضعه
والقوه الثانيه تحصل بادب النفس كما ذكرنا قبل وهي
تنقسم الى اربعة اقسام احدها تدبيرا ابرام الامور بلا احتيال
فيل التدبير بل بالنظر والقياس من الدراية الثاني تدبير

ابرام الامور الاحتيال فيها ووضع الاصول لها الثالث
تدبير معونه الوقوف على الامر الذي لا يوجد فيه للتدبير حيله
حتى يصير الى ما صار اليه ثم يطلب الحيله فيه بعد ذلك الرابع
ما لا حيله فيه واعلم ان افضل هذه الثلث قوة واللين
لان متعاطي الشده يغلب الضرر عليه اذا لم يرفق الا ترى
ان ذا القوه بقوته لو حاول سباحة الماء على لينه لم
يقطعه بقوته حتى يهره فاذا رفق به سهل عليه عبوره
وامكنه قطعه وكذلك من حاول ان يصعد بكفه على الهوى
صعب عليه ولم يجد الى ذلك سبيلا ولو ان النيل بقوته
تعالى تمم الحبل نهايته لكسره ولم يعد حج في صفاة شيئا والرجل
على ضعف بنيته يتخذ برفقه وحيله من الحبل الصلد مسكنا
ويقد يذيب الحديد الشديد برفقه في حيله واعلم ان الملك القوي
ينبو حد قوته اذا لم يعنه رفق التدبير كما ينبو حد السيف عن
ضربته وان كان من الحديد الشديد حتى يستقي من الماء الذي
سهولته سيال فيتخذ مضاربه حتى اذا حمل على الحديد
الذي هو من حيث قطعه يحل ذلك انما يحصل بالرفق دون
الخرق وسنوضح كيفيه التدبير مواضعه ان شاء الله تعالى

الركن الرابع من اركان المملكه المال اعلم ان بيت المال
ركن عظيم للمملكه يتعلق به المصالح الكليه من ارزاق المقاتله
والولاة واعوانهم وتجهيز الجيوش وارزاق الفقراء والمساكين
واهل العلم وسور الثغور وبناء المعاقل والحصون وغير
ذلك مما يقوم به مصالح الرعيه وبقدر خزائنه ونقصانه
يكون حال المملكه وناموس الملك عند نظرائه وخاصته و
اعوانه لانه ذخيره يرجع اليها الملك والرعيه عند نزول
الحوادث فاذا اشتهر بكثرة انواع المال واختلاف اجناس
الحرام اشتد ازر الرعيه وقويت نفوس الجند وعظم قدر الملك
عند نظرائه واذا اشتهر بالنفاد والقله صغر قدر الملك
واختلت امور المملكه وطمع فيه اعداؤه فيجب حفظه والاحتياط
عليه بتوليه الثقات واهل الامانه ويتوقى الاسراف
في بذله وصرفه الى غير اهله ولا يمنعه اهل الحقوق فيحصل
بذلك الزلل ويتطرق اليه الخلل سيما الجند واعوان المملكه
فان تعذر الارزاق عليهم يفضي بالملك الى المهالك وقد
كان المال ناموس الملك به تظهر هيبته وتقوى ابهته
كما ان سائر ملك الزمن اتخذ اعداه وقواعد من

من الذهب وجعلها على باب خزانة ماله تخليل عليها الجزيه
وغيرهم فنعظم بذلك عند نظرائه واهل مملكته فلما افضت
المملكه الى ولد ولده جعل ينفق الاموال ويسرف في العطايا
فلما نفذت الاموال التي اخذ تلك الاعمده وسبكها فوجدتها
مجوفه وقد مليت رملا فذهب حينئذ ناموسه وظهرت اعداوه
وقلت هيبته عند اهل المملكه علوا اسير منذه الاعمده وحكي
ان بعض ملوك مصر اخذ حجرا من الخزف وملاها ذهبا ثم
سبكه فيها ثم كسر الخزف وازاله فبقيت كهيئة الحجر ثم
جعلها على باب قصره ويجلس عليها الناس وسماها
الخزائن وانما قصد بذلك ايضا لاقامه ناموس مملكته و
تعويد النفوس جبذه فلهذه المعاني يجب حفظه والاحتياط
عليه الركن الخامس من اركان المملكه الحصون اعلم
ان الحصون التي يتحصن بها الملوك ويمتنع بها جماعتهم تنقسم
الى خمسه اقسام لكل نوع منها تحصيل التحصن وامتناع الجانب
وهي الماء والجبال والمفاوز والقلاع والرجال واحصن
هذه الحصون الرجال ثم القلاع وتحصين القلاع
بالرجال وتحصين الرجال بالاموال وافضل الاموال

الطعمه

الاطعمه والاطعمه وتحصيلها انما يتحقق بالعدل قيل كان
مكتوبا على منطقه بعض ملوك الفرس لا ملك الا برجال ولا
رجال الا بمال ولا مال الا برعيه ولا رعيه الا بعدل وقالت
انه جيفويه ملك خراسان لنصر بن سيار الملك يحتاج من اتخذ
لنفسه سبعه اشياء حصن ملجا وماء اذا انقطع ماء عليه نطاسه وزير
صالح يثق برايه وينصح يثق اليه خفيه الحمل يرجع اليها عند
النوايب ولا يثق الجرته اذا وسمته الاعداء وسيف اذا
اذا نزل الاقران لم يخف انه خونه وامراه حسنا اذا دخل
عليها ويب سمته وطباخ اذا لم يشبه الطعام صنع ما يشتهيه
وكتب ملك الى حكيم فقال له دلني على ما تبقى به المملكه فجا حتص
في ذلك فكتب اليه باربعه اشياء حصن منيع ووزير
حاذق ومال وافر وعدل عامر وبلغ بعض الملوك حسن
سياسه ملك فكتب اليه قد بلغت من السياسه ما لم يبلغ
ملك قبلك فاخبرني بذلك فكتب اليه اني حصنت با
لرجال وحصنت الرجال بالاموال ولم اضل في امر
لا نهي ولا دعد ولا وعيد واودعت القلوب هيبه لم
لم يشبها مقت ووداما يشبه كذب وعملت بالقوه ومنعت

العصول وسيل ملك من ملوك الفرس حكما من حكمائهم
فقال ما اخذ الملك فقال الطاعه قال فما سبب الطاعه قال
التودد الى الخاصه والعدل على العامة قال فما حصن الملك
قال وزرائه واعوانه فانهم اذا صلحوا اصلح الملك واذا فسدوا
فسد الملك قال فما سبب صلاحهم قال العدل والانعام و
الاحسان الشامل قال فاى الامور احمد للملك قال
الرفق بالرعيه واخذ المال منهم من غير مشقه واداوه عند
ادائه وسد الثغور وامن السبيل وانصاف المظلوم من
الظالم وزجر القوى عند الضعيف قال فاى خصله يكون
للملك انفع قال الصدق فى جميع الاحوال واما اساس المحامل
للمملكه واركانها فهو الدين اعلم ان الدين اساس المملكه
لاقوام لها الا به ولا تثبت اركانها الا عليه وسواء
منار الاسلام واظهار شعاير الحق واشاع احكام الشرع
والعمل بالفرايض والسنن والمندوبات الشرعه واقامة
الحدود وامتثال اوامر الشرع والامتثال عن نواهيه و
ايصال الحقوق الواجبه الى اربابها والعمل بما يرضى تعالى
سرا وعلانيه فانه لا دوام للملك بغير هذه الاشياء قال رسول
الله

الله صلى الله عليه وسلم من اصلح سريرته اصلح الله علانيته ومن
اصلح فيما بينه وبين الله اصلح فيما بينه وبين الناس
وحكى ان انوشروان قال لولده يا بنى ان الملك والدين
اخوان لا غنى لاحدهما عن الآخر ولا قوام له الا به الدين
اس فضايع يا بنى اجعل رتبتك مع اهل المراتب وعطيتك
لاهل الجهاد وبشرك لاهل الدين وسرك لمن يعنيه من
امرك ما عناك من اهل العقل وقال الاحنف بن قيس
من هدم دينه كان لمجده اهدم ومن اظلم نفسه كان لغيره
اظلم وقال بعض الحكماء الدولة بلا دين كالبناء على الثلج

الباب الخامس

في معرفة الاوصاف الكريمة وفضلها وجب
الملك عليها ينبغى للملك المنتصب لتدبير الرعيه ان يتصف
بالاوصاف الكريمه ويلتبس بها ويجعلها له خلقا مطبوعا
ولا يهمل منها وصفا واحدا اذ بها قوام دولته ودوام مملكته
وهى خمسة عشر وصفا العدل والعقل والشجاعة والسخاء
والرفق والوفاء والصدق والرافه والصبر والعفو و
الشكر والاناة والحلم والعفاف والوقار وسنشرح
هذه الاوصاف وما يتعلق بها المصالح الكليه فى تدبير

الوصف الاول العدل اعلم ان العدل اشرف اوصاف الملكه
الملك واقوم لدولته لانه يبعث على الطاعه ويدعو الى الالفة
وبه تصلح الاعمال وتنمى الاموال وتنتعش الرعيه ويملك
الامه ويملك المذنبه وقد ندب الله عز وجل الخلق اليه وحثهم
عليه قال تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي
القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون
قال الحسن ان الله تعالى جمع الخير كله والشر كله في هذه الآية
وقال استقامة الملك بالثلاثة المامور بها في الآيه واضطرابه
بالثلاثة المنهي عنه فيها وقال رسول الله صلعم ثلاث منجيات
وثلاث مهلكات فاما المنجيات فالعدل في الغضب والرضى
وخشية الله تعالى في السر والعلانيه والقصد في الغنى والفقر
واما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء
بنفسه وحكي ان الاسكندر قال لحكماء الهند وقد راى قلة
الشرايع في بلادهم لم صارت سنن بلادكم قليلة قالوا لا
عطائنا الحق من انفسنا ولعدل ملوكنا فينا فقال لهم اي
افضل العدل ام الشجاعة قالوا اذا استعمل العدل استغنى عن
الشجاعه وقال اردشير اذا رغب الملك عن العدل رغبت

الرعيه عن الطاعه وغويت كسرى انوشروان على ترك
عقاب المذنبين فقال هم المرضى فاذا لم ندواهم بالعدل
فمن لهم وقال افلاطون بالعدل ثبات الاشياء وبالجور
زوالها وقيل لاردشير من الذي لا يخاف احدا قال من
عدل في حكمه وكف عن ظلمه نصره الحق واطاعه الخلق وصفت
له النعمة واقبلت عليه الدنيا فهنى بالعيش واستغنى
عن الجيش وملك القلوب وامن الحروب وقال بعض العلماء
ان ايدي الرعيه تبع لالسنتها فمتى قدرت ان يقولوا قدرت
ان يصولوا فلن يملك الملك السنتها حتى يملك جسومها و
لن يملك جسومها حتى يملك قلوبها فتحبه ولن تحبه حتى يعدل
عليها عدلا يتساوى فيه الخاصه والعامه وقال كسرى
انوشروان لبزرجمهر ابن لي قبة واكتب عليها كلمات انتفع
بها بقاء الدولة ودوام المملكه فبنى وكتب في طرازها العالم
بستان وسياجه الدوله والدولة ولاية تحرسها الشريعه و
الشريعه سنة يسنها الملك والملك راع يعضده الجيش
والجيش اعوان يكفلهم المال والمال رزق تجمعه الرعيه و
الرعيه عبيد يستعبدهم العدل والعدل مالوف به قوام

العالم وقال وليد بن هشام ان الرعية لتفسد بفساد
الملك وتصلح بصلاحه وقال سفيان الثوري للمنصور اني
لا اعرف رجلا ان صلح صلحت الامة وقال ومن هو قال
انت واعلم ان العدل لا يتحقق من الملك الا بلزوم عشره
خصال احدها اقامة منازل الدين وحفظ شعائره والحث
على العمل به من غير اهمال ولا تفريط بحقوقه الثاني اقامة
النصفة والذب عن الرعية من تعد في الدين او مانع
للنفس والمال الثالث عمارة البلدان باعتماد المصالح و
تهذيب السبل والمسالك الرابع النظر في دعوى الولاة و
اعمال التبرم من الاعوان على الرعية لان تعذيبهم منسوب
اليه قال الشاعر ومن ربط الكلب العقور ببابه فعقر جميع
الناس من رابط الكلب كذلك ومن ولى ابنه وهو ظالم فظلم
جميع الناس من قبل الاب الخامس النظر في احوال الجند
وعدهم من اهل الرزق لئلا يحبسهم العمال ارزاقهم او
يؤخذون العطاء عنهم فتحف الانتظار بهم السادس الجلوس
لكشف المظالم والنظر بين المتشاجرين من الرعية
والفصل بينهم بالنصفة على وجه الشرع السابع توفير

مايخرج من بيت ماله على طبقات اربابه من غير اسراف والاقتار
الثامن اقامة الحدود على اهل الجرائم بالشرع المطهر على قدر
الجريمة التاسع اختيار خلفائه في الامور وولاية وقضائه و
عماله بان يكونوا من اهل الكفاية والامانة والحذق والورع
فيما بينهم العاشر تنفيذ ما وقف من احكام القضاة واهل
الحسبة وما عجزوا عن تنفيذه لقوة يد المحكوم عليه وتعززه فينفذ
الملك ما حكموا عليه بالشرع فاذا فعل الملك هذه العشر خصال
كان مؤديا لحق الله تعالى في الرعية بالعدل الذي امر الله تعالى
به وكان مستوجبا لطاعتهم ومستحقا لمناصحتهم وان ترك شيئا
من ذلك كان عن العدل ناكبا وفي الجور راغبا انشد لي بعضهم
اختم وطينك رطب ان قدرت فكم قد امكن الختم اقواما فما ختموا
ودنوا ما عدلوا ايام دولتهم حتى اذا زال لوا ادلوا الى رحموا

الوصف الثاني العقل اعلم انه وصف شريف وخلق عظيم لا يبطل حقا
ولا يحق باطلا وهو عبارة عما يستفاد من التجارب لمجاربه
وقيل هو العلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات ومن نتايجه
الفكرة السليمة والنظر الثاقب في حقائق الامور ومصالح
الدنيا وسئل بعض الحكماء عن العقل فقال الاصابة

بالنطق ومعرفة ما لم يكن كان وقال ابن المعتز العقل غريزة
تربيها التجارب وقال بعض الحكماء خير مواهب الملك
العقل وشر مصائبه الجهل وكان الجاهل يعتمد على عمله
وقيل نظر العاقل بقلبه وخاطره ونظر الجاهل بعينه و
ناظره وقال ابن المعتز بايد المعقول تمسك عنت النفوس
في تعب والناس من اتباع الهوى وقال بعض الحكماء
العاقل من نفسه في تعب والناس منه في راحة والاحمق
من نفسه في راحة والناس منه في تعب انشدني بعض اهل الادب
وافضل قسم الله للمرء عقله وليس من الاشياء شيء يقاربه
اذا اكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت اخلاقه ومناقبه وقال
بعض الحكماء العلم قائد والعقل سائق والنفس حرون
فاذا كان قائد بلا سائق اقحمت النفس واذا كان سائق
بلا قائد عدلت يمينا وشمالا واذا اجتمع القائد والسائق سارت
طوعا او كرها تأمل بعينك هذا الانام وكن بعض من صانه
عقله فحلية كل فتى فضله وقيمة كل امرئ نبله ولا تتكل في
طلاب العلى على نسب ثابت اصله فما من فتى زانه
قوله بشيء يخالفه عقله وقال بعض الحكماء ليس للمرء

ان

ان يتجح بحالة جليلة بأنها بغير عقل فان الجهل ينزله منها و
يزيله عنها ويحطه الى رتبته ويرده الى قيمته بعد ان تظهر عيوبه
ويكثر ذنوبه ويصير مادحه هاجيا ووليه معاديا وكان يقال
الناس ثلثة عاقل واحمق وفاجر فاما العاقل فان الدين
شريعته والحلم طبيعته والرأي الحسن سجيته وان كلم اجاب
وان نطق اصاب وان سمع العلم دعى وان حدث الثقة
روى واما الاحمق فان تكلم عجل وان حدث الغفلة وهل و
ان استنزل عن رأيه نزل واما الفاجر فان ائتمنته خانك
وان حدثته شانك وان استكتم امرا لم يكتم وان علم علما لم يعلم
وكان يقال لا عطية اعظم من عقل ولا داء ادوى من جهل
وقال المهرك الطبري ليس العاقل الذي يحتال للامر الذي غشيه
حتى لا يقع فيه وقال فيروز بن حصين اذا اراد الله تعالى
ان يزيل عن عبده نعمة كان اول ما يغير منه عقله شعر يعد رفيع
القوم من كان عاقلا وان لم يكن في قومه بحسيب الوصف
الثالث الشجاعة اعلم ان الشجاعة من خلال الاوصاف
التي يلزم الملك ان يتصف بها ضرورة وان لم يكن له
طبعا فيتطبع بها ليحمي بيضته ويذب الاطماع المتعلقة

بغلوب نظرائه وتحصل منه حماية البيضة ورعاية المملكة
والذب عن الرعية وحقيقة الشجاعة ثبات الجاش
وذهاب الرعب وزوال هيبة الخصم واستصغاره عند
لقائه ولابد ان يتقدمها راي ثاقب ونظر صائب وحيلة
في التدبير وخداع في الممارسة فقد قال رسول الله صلعم الحرب
خدعة وقال ابو الطيب المتنبي شعر الراي قبل شجاعة
الشجعان * هو اول وهي المحل الثاني * فاذا هما اجتمعا
لنفس مرة بلغت من العلياء كل مكان * ولربما قتل الفتى اقرانه
بالراي قبل تطاعن الاقران واعلم ان ثمرة الشجاعة من
الجند الكر والفر وثمرتها من الملوك الثبات حتى يكون قطبا
يدورون عليه ومعقلا يلجؤن اليه هذا اذا كان من يذب
عنه من اعوانه حسن منه حينئذ ان يذب عن نفسه اما بالاقدام
واما بالانهزام وحكي ان فيلا اغتلم فدخل قصر كسرى انو
شروان والفيل اذا اغتلم لم يثبت له شيء ولا يمر بشيء الا حطمه وان
ذلك الفيل قصد الايوان الذي فيه كسرى وعنده جماعة من
كتابه فلما نظروا الى الفيل مقبلا اليهم فروا من حول كسرى
وثبت كسرى على سريره ولم يتغير عن هيئته وثبت عنده واحد

من

من الرجال بيده طبر فقام ذلك الرجل امام سرير كسرى وقصده
الفيل فثبت له فلما غشيه ضربه بالطبر على خرطومه فقده فولى
الفيل راجعا وكسرى في هذا كله لم يتحلحل عن سريره ولا تغير
لونه وقال لنا في رفقة الهمة وهذه غاية الشجاعة المطلوبة
من الملوك وكذلك حكي ان موسى الهادي كان يوما في بستان
على حمار له وليس معه سلاح وبحضرته جماعة من اهل بيته
وبطانته فدخل عليه حاجبه واخبره عن رجل من الخوارج
كان ذا باس شديد ونكاية في الناس وانه قد ظفر به بعض
القواد وهو معه على الباب فامر الهادي بادخاله عليه
فادخل عليه بين رجلين قد قبضا على يديه فلما نظر الخارجي
الى الهادي جذب يديه من الرجلين واخترط سيف احدهما
وقصد الهادي ففر عنه كل من كان بحضرته من اهله وبطانته
وبقي الهادي وحده على حماره لمكانه ذلك حتى دنا الخارجي
منه ورفع يده بالسيف ليعلوه به فقال يا غلام اضرب عنقه
فالتفت الخارجي ينظر من خلفه فوثب الهادي من سرج
حماره فاذا هو على الخارجي فقبض عليه وانتزع السيف
من يده فذبحه به ثم عاد الى ظهر حماره من فوره وتراجع اليه

خاصته يتململون وقد ملئ منه رعبا وحيا، مما خطبهم
بشئ من ذلك ولم يكن بعد ذلك يفارقه السلاح ولم يركب
الا جوادا من الخيل وهذا اعجب ما يكون من الشجاعة وثبات
الجاش في الملوك **الوصف الرابع السخا،** اعلم ان السخا،
عماد الهمة الذي هو سبب الالفة لا يوصل الى القلوب
من الراحة والالطاف ولذلك ندب الشرع اليه وحث
الخلق عليه طاعليه لما فيه من عموم المصلحة في الدنيا والآخرة
ولان في السخا، رضى الله سبحانه وتعالى ورضى الناس
جميعا قال رسول الله صلعم السخي قريب من الله قريب من
الناس بعيد من الجنة قريب من النار وقال رسول الله صلعم
تجافوا عن ذنب الكريم فان الله ياخذ بيده كلما عثر وفي بيت
عايشة رضي الجنة دار الاسخيا، والنار دار البخلا، وقيل اوحى
الله تعالى الى موسى عم ان لا يقتل السامري فانه كريم وحدث
ابن القاسم قال حضرت الحكم من المطلب لما مات بمدينة منبج فلما
اخذ في النزع واشخص ببصره قال ابو معبوف اللهم ارفق
من غشيته ثم نظر الينا وقال من المتكلم قال ابو معبوف
اما قال ان ملك الموت يسلم عليك ويقول لك ان الله تعالى

امرني ان ارفق بقبض روح كل كريم ثم اضطجع فكانه كان
فتيلة طفيت وكان يقال سود بلا جود كملك بلا جنود
وقيل من جاد ساد ومن اضعف ازداد وكان يقال
جود الرجل محببه الى اضداده وبخله يبغضه الى اولاده و
اعلم ان السخا، على نوعين النوع الاول هو ان يبتدى،
به الانسان من غير سؤال وهذا الطبع السخا، واشرف العطا
لان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه سئل عن السخا،
فقال ما كان ابتدا منه فاما ما كان منه عن مسئلة فحيا وتكرم
وقال بعض الحكما اجل النوال ما كان قبل السؤال وقال
بعض الناس وفتى خلا من ماله ومن المروة غير خال اعطاك
قبل سؤاله وكفاك مكروه السؤال وهذا النوع من السخا،
قد يكون لاسباب ثلثة احدها ان يكون قد رأى خلة بقدر
على سدها وفاقة يتمكن من ازالتها فلا يدعه الكرم وسماحة
النفس الطبيعة ان يهمل فلك بل يكون متكفلا بنجاحها
رغبة في الاجر الثاني ان يرى في ماله فضلة عن حاجته
فيرى ان اهتبال الوجه بها فيضعها عند من يكون له ذخرا
الثالث ان يفعل ذلك سجية قد فطر عليها فلا يرى بين

مستحق ومحروم ولا يفرق بين محمود ومذموم ومنها انه يسخى
بطبعه على ان هذا لا يصلح بالملك لانه خارج الى السرف والتبذير
وتبذير للمال قد يقل عن الحقوق ويقصر عن الواجبات
فاذا اعطى غير مستحق فقد منع مستحقا وحال الملوك لا يقتضي

النوع الثاني من السخاء ما كان عن طلب وسؤال
وعلامة السخي عند ذلك ان يلقى السائل بالترحب وطلاقة
الوجه وان يكتفي بالتلويح ولا يلجئ السائل الى التصريح
كما قال الشاعر تلقى الكريم فتستدل ببشره وترى العبوس
على اللئيم دليلا واعلم بانك عن قليل صائر خبرا فكن خبرا
يروق جميلا وينبغي عند السؤال مسرورا بعاجل بالوعد قولا
قولا ثم يعقبه ما لا انجاز فعلا ليكون السائل مسرورا بعاجل
الوعد ثم باجل كما حكي ان الفضل بن سأله رجل فقال
له ابن اعدك اليوم واحبوك غدا لتذوق حلاوة الامل
ولكن لا يبطل الوعد على السائل فلا يفي حلاوة الاعطاء
بمرارة الانتظار وقد قال بعضهم شعر ان الحوائج ربما ازرى بها
عند الذي يقضى له تطويلها فاذا ضمنت لصاحب لك
حاجة فاعلم بان نجاحها تعجيلها وقال آخر العطية

لا يكون مبنية حتى يكون قصيرة الاعمال وقد مضت
سنة خلفاء الراشدين وملوك المسلمين بصلة المسترفدين
على وجه الشرع من غير اسراف ولا اقتار وذلك مشهور فاعرضنا
عن شرحه **الوصف الخامس الرفق** اعلم ان الرفق من
افضل اوصاف الملك واحمد خلايقه في التدبير لانه يبلغ
في جباية الاموال من الرعية ما لا يبلغ بالخرق لان الرعية
قد تعامل بالرفق فيزول احقادها ويذل منقادها وقد
تعامل بالخرق فتحاشى بما اضمرت وتقدم على ما نهيت
ثم ان غلبت كان غلبها دمارا وان غلبت لم يحصل
بغلبها افتخار وقد قال رسول الله صلعم لو ان الرفق رجلا
لكان حسنا ولو كان الخرق رجلا لكان قبيحا وقد يبلغ الملك
برفقه ولينه في التدبير ما لا يبلغه بخرقه الا يرى ان الريح
العاصف بقوتها ومهول صوتها كيف تداخل الشجر ولا
تقلع المتخلف منه والماء بلينه وسلاسته يبلغ في اصل
الشجر فيقلع المتخلف منه من اصوله والعلقه تعازل
من لدم منه اذى ولا سماع صوت ما لا يقال البعوضة
بهدل صوتها والم لسعتها وبالرفق ولين التدبير يتغلب

يتقلب صديقا كالشيء القاتل اذا رفق به المقدار له واحسن
في تقديره ولطف في تدبيره صار دواء وان تقلب شفاء
وقال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن السيئة الآية و
بالخرق ينقلب الصديق عدوا كالطعام الذي هو غذاء
الانسان ودوام جسده اذا اساء المقدار له في تقديره وافرط
في تناوله صار داء وانقلب اذى وحكي ان كسرى انوشروان
سال حكيما من حكمائهم فقال ما في الملك قال الطاعة قال
فما سبب الطاعة قال التودد للخاصة والعدل على العامة
قال فما صلاح الملك قال الرفق بالرعية واخذ الحق
منهم في غير مشقة واداء اليهم عند اوانه وحكى شجاع الاحمر
قال دخلت على المتوكل وبين يديه بشر بن علي الجهضمي و
هو يحث المتوكل على الرفق بالرعية ويرغبه فيه والمتوكل
ساكت فلما فرغ من كلامه التفت اليه المتوكل وقال
حدثني ابي رفعه الى عمر بن الخطاب رضي الله قال قال
رسول الله صلعم ان افضل عباد الله تعالى عند الله يوم
القيمة امام رفيق وان شر عباد عند الله يوم القيمة امام
جائر ثم التفت الى يحيى بن اكثم فقال وانت حدثني

حدثني

حدثنا ورفعه الى رسول الله صلى الله عليه انه قال من يحرم
الرفق يحرم الخير ثم سكت ساعة وانشد شعر الرفق يمن
والاناة سعادة واستان في رفق تلاق نجاحا لا خير في
بغير روية والشكر وسن ان اردت به احا وقال بعضهم دخلت
على المتوكل فسمعته يمدح الرفق في لينه الخرج للغذاء من
خدرها من يستعين بالرفق في امره يستخرج الحية من حجرها
قال فدعا بدواة وكتبهما شعر

فلا يقطع اخاك عند ذنب / قال الذنب يغفره الكريم
فلا تعجل على احد بظلم / فان الظلم مرتعه وخيم
فلا تحرق عليه وكن عليه رفيقا / فقد بالرفق تلتئم الكلوم
فان الرفق فيما قيل يمن / وان الخرق فيما قيل شوم

واعلم انه لا ينبغي للملك ان يستعمل الرفق واللين في جميع
المواطن بل يجعل الرعية ثلاث طبقات ويسوسهم بثلاث
سياسات طبقة هم الخواص من الاشرار فيسوسهم باللين
تارة وبالشدة اخرى قال مسلم بن قتيبة بلا السلطان الشدة
على المريب واللين على المحسن وسال ملك الروم
بزرجمهر فقال ما احمد سير الملوك ان يعاملوا الاحرار للناس

الرفق واللطف واللين
وطبقة هم خواص الاشرار
فيسوسهم بالعنف والشدة و
طبقة هم العامة فيسوسهم صح

بمحض المودة وليعملوا العامة بالرغبة والرهبة ويعاملوا
السفلة بالمجاهرة صراحا انشدني بعضهم   اذا كنتم للناس
في الارض قادة   فسوسوا كرام الناس بالبذل
وسوسوا لئام الناس بالذل وحده   يصلح فان الذل
اصلح للنذل **الوصف السادس الوفاء** لما كان الوفاء
من الاوصاف العلية والشيم السنية امر الله تعالى الخلق
به ومدحهم على فعله فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اوفوا
بالعقود فقال تعالى يوفون بالنذر الآية والوفاء
خليق للملك لما فيه من الخصال الراجحة واستعطاف
القلوب بانجاز الوعد ودوام العهد قال بعض الحكماء
لملك في زمانه اوصيك باربع خصال ترضى بهن ربك
وتصلح بهن رعيتك لا تعدن وعدا ليس في يدك وفاؤه
ولا تواعدن من لا تنفذ فيه الفعل فان مالا ولي توهب
عملك وبالك لن يجري عليك ولا يوثنك ارتع السهل
اذا كان المحذور عدا ولا تستغش ناصحا فتشق عليك امور الرعية
وقد كان يقال من احسن الوفاء استوجب الصفاء
وكان يقال الوفاء من اخلاق الكرام والخلف من

اخلاق اللئام وقال ابو الحسن المدائني كان عمر بن
عبد العزيز لا يكاد يوجب حاجة تخوفا من الخلف فاذا
اوجب او قال نعم لم يقر له قرار حتى يمضيه وانشد
رجل من بني تميم   اذا قلت في شيء نعم فاتمه   فان نعم دين
على الحر واجب والا فقل لا تسترح وترح بها لئلا يقول
الناس انك كاذب وانشد آخر لزمت نعم حتى كانك لم
تكن عرفت من الاشياء شيئا سوى نعم   وانكرت
لا حتى كانك لم تسمعت بها في سالف الدهر والامم وكان
يقال وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتعليل و
كان يقال العاقل لا يعد ما لا يستطيع انجازه ولا يسال
ما يخاف منعه انشدني بعض اهل العلم لا تقولن اذا
ما لم ترد ان تتم الوعد في شيء نعم واذا قلت نعم فاصبر
لها بنجاح الوعد ان الخلف ذم حسن قول نعم من بعد لا
وقبيح قول لا بعد نعم ان لا بعد نعم فاحشة فبلا فابدأ اذا
خفت ندم **وقال بعضهم** ما قال لا قط الا في تشهده
لولا التشهد كانت لاؤه نعم **الوصف السابع** اعلم
ان الصدق من اسنى السمات واشرف الصفات

واسلم مناهج النجاة يدعو اليه الشرع الموجب والعقل
المؤكد لان الشرع ورد باتباع الصدق ولو كانت الهلكة
فيه وحظر الكذب ولو جر نفعا او دفع ضررا علما من الشارع
بما ينقلب اليه عاقبتهما والعقل يدعو الى فعل ما كان
مستحسنا ويمنع من اتيان ما كان مستقبحا والكذب مستقبح
عقلا لا سيما اذا كان لا يجلب نفعا ولا يدفع ضرا وقد قال
رسول الله صلعم تحروا الصدق وان رايتم الهلكة فيه
فان النجاة فيه وتجنبوا الكذب وان رايتم ان النجاة فيه فان
فيه الهلكة وقال بعض الحكماء دع الكذب حين ترى انه
ينفعك فانه يضرك والزم الصدق حين ترى انه يضرك
فانه ينفعك وكانت العرب تقول لان الصدق مع
العسرة خير من سوء الذكر مع الميسرة وانشد لي بعضهم **شعر**
عود لسانك صدق القول تحظ به ان اللسان لما عودت
معتاد موكل بتقاضي ما سننت له فارتد لنفسك
وانظر كيف ترتاد دق المهذب ما يكون السيف الصارم
بيد الملك الشجاع باوثق له من الصدق وكان يقال
ينبغي للملك ان يكون صدوق وثيق الاعوان و

بوعده وان يكون شكورا فيستوجب الزيادة وقال
الاحنف بن قيس كل الناس حقيق بالصدق و
احقهم به الملوك لان الذي يدعو الى الكذب مهانة والملك
لا يكون مهينا وقال بعض اهل الادب فكن صادقا
في كل شيء تقوله ولا تك كذابا فتدعى منافقا وقال بعض
الحكماء اول السعادة للملك صدقه واول هلاكه جوره

الوصف الثامن من الرافة اعلم ان الرافة جبلة كريمة يقتضيها حال الملوك
لانها تبعثهم على حياطة الامة وكمال الشفقة على الرعية
والتحنن على ضعفائهم واصطناع المعروف اليهم وكشف
الاذية عنهم وقد قال رسول الله صلى الله صلعم اطلبوا
المعروف عند الرحماء من امتي وعيشوا في اكنافهم وقال
عم الله رحيم ولا يرحم من عباده الا الرحماء ارحموا من في الارض
يرحمكم من في السماء وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله
دعا رجلا ليستعمله على بعض مداين الشام فجاءه ولد صغير له
فاخذه عمر الى صدره ثم قبله فقال ذلك الرجل يا امير المؤمنين
اتقبله قال نعم فقال والله ان لي اولادا ما قبلت واحدا
منهم قط فقال له عمر انت لا ترحم ولدك ولا تحنن عليه

فانت للناس قبل رحمة وتحننا ثم صرفه ولم يستعمله ثم قال
لا يصلح وال من لا رحمة عنده لرعيته وروى ملك ايضا
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بطريق مكة فابصر راعيا
غنيمة في مكان جدب فناداه وقال انظر مكانا خصيبا
فالحق به ثم قال على اثر ذلك كل راع مسؤل عن رعيته
وروى اسلم مولى عمر بن الخطاب رض قال طاف عمر ليلة في المدينة
وانا معه فاذا هو بامراة في جوف دارها وحولها صبية يبكون
وهي توقد تحت قدر لها فاتاها من الباب وقال يا امة الله
مم بكاء هؤلاء الصبيان فقالت من الجوع قال فما هذه
القدر فقالت اني جعلت فيها ماء اوهمهم ان فيها طعاما
واعللهم حتى يناموا فقال فجلس عمر وبكى بكاء شديدا ثم قام
وجاء الى بيت الصدقة فاخذ غرارة وجعل فيها دقيقا
وشحما وسمنا وتمرا وثيابا ودراهم حتى ملاء الغرارة ثم قال
يا اسلم احمل على ظهري قلت يا امير المؤمنين انا احمله عنك
فقال لا ام لك يا اسلم احمل على فانا المطالب عنهم في يوم
القيمة قال فحمل الغرارة على صلبه حتى اتى بها منزل
المراة فاخذ القدر وجعل فيها شيئا من دقيق وشحم

وتم

وتمر وجعل يحركه وينفخ تحت القدر قال اسلم وكانت له
لحية عظيمة فلقد رايت الدخان يخرج من خلالها حتى طبخ
لهم ثم جعل يغرف لهم بيده ويطعمهم حتى شبعوا قال ثم خرج
وربض بحذائهم على الباب كانه سبع فخفت منه ان اكلمه
فلم يزل كذلك حتى لعب الصبيان وضحكوا ثم قام وقال
يا اسلم هل تدري لم ربضت بحذائهم قلت لا يا امير المؤمنين
قال كنت رايتهم يبكون فكرهت ان اذهب حتى
اراهم يضحكون فلما ضحكوا طابت نفسي وحكي ان عمر بن
عبد العزيز عليه الرحمة والرضوان لما ولي الخلافة احضر عنده
محمد بن كعب القرظي وقال له دلني على النجاة والرحمة فقال
له ان اردت النجاة من عذاب الله تعالى فليكن كبير
المسلمين لك ابا واوسطهم عندك اخا واصغرهم ولدا فوقر
اباك وارحم اخاك وتحنن على ولدك وقال نصر بن سيار
الكناني كان حكماء الترك يقولون ينبغي للملك العظيم
ان يكون فيه عشرة خصال اربعة من خصال الطير وستة
من خصال الوحش وهي سماحة الديك وتحنن الدجاجة
وشجاعة الكركي وحذر الغراب وحملة الخنزير وقلب الاسد

وغارة الذيب وروغان الثعلب وصبر الكلب وشجاعة
الضبع وقد نظم بعض الشعراء قوله اذا الطير لا تنهكن
انا رحلنا ؞ لاكل لحوم من اعادي شواغب ومنا ذاك
من حب لنا غيره عادة ؞ لهن علينا في التقاء الكتائب
ارى الملك المقدام من تم اراه ؞ بعشر خصال هن خير مناقب
سماحة ديك ثم رأف دجاجة ؞ ونهضة كركى وحذرة ناعب
وحملة خنزير وقلب غضنفر ؞ وغارة ذيب ثم روغ الثعالب
وصد بقيه حين يقرع بالعصا ؞ وتقوى ضب في بلاد سباسب
فمن كان هذا وصفه فهو كامل ؞ عظيم والا فهو خيب خائب
وقال بعض العلماء خير الملوك من نشرت قلوب رعيته محبة
كما اشربها هيبة ولن ينال ذلك منها حتى يكون عاملا بخمس
خصال اكرام شريفها ورحمة ضعيفها واعانة لهيفها وكف
عدوان عاديها وتأمين السبل لرايحها وغاديها ومتى
اعدم الرعية شيا من ذلك فقد حقدنا بقدر ما افتقدها او صلف
التاسع الصبر اعلم ان الصبر يتنوع انواعا كثيرة اليتها
بكتابي هذا اصبر الملوك وهو عبارة عن ثلث قوى القوة
الاول قوة الحلم وثمرتها العفو الثانيه قوة الكلام والحفظ

وثمرتها

وثمرتها عمارة المملكة الثالثة قوة الشجاعة وثمرتها في
الملوك الثبات لان قدامهم في المعارك تهور وطيش
والصبر سيد الاوصاف الجليلة وايمها ولهذا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم العلم خليل المؤمن والحلم وزيره
والعقل دليله والعمل قايده والرفق والده والبر اخوه والصبر
امير جنوده وليس المراد تفضيل الصبر على العلم والعقل وانما
المراد ان الثبات على هذه الخصايص انما يكون بالصبر
لان معنى الصبر الثبات والحبس والامساك فمن اتصف بشي
من هذه الخصال ولم يصبر كان عند زواله كمن لم يتصف به
فالصبر ضابط للاوصاف الشريفة كما يضبط الامير جنوده
وقيل كان مكتوبا في الصحيفة الصفرا المعلقة في اعظم هياكل
النوس ان الحديد يعشق المغناطيس فكذا النطق يعشق فا
صبر
تفطنوا انشدني بعض اهل الادب شعرا اني وجدت وخير
القول اصدقه للصبر عاقبة محمودة الاثر ؞ وقل من جد
في امر يطالبه ؞ واستصحب الصبر الا فاز بالظفر ؞ وقال بعض
الحكماء الادب يا ميز الرجل بين صبر وجزع الا وجد
مما صفا وبين الصبر حسن العلانيه محمود العاقبة والجزع

غيره متعوض شيئا ولو كان في صورته اولا سيما بالغلبة بحسن
الخلقة وكرم الطبيعة وقال بعض الحكماء الحوادث النازلة
نوعان احدهما لا حيلة فيه فدفعه بالصبر الدائم والاخر
عنه يمكن فيه الحيلة فدفعه بالصبر عنه الى حين يعود الحيلة
فيه قال بعض الفضلاء من يمتطي الصبر يصبح رجله في ساحة
الراحة واليد الصبر عين وبه للفتح قال لف صيانة النفس
اصبر اذا تدهيك نائبة • ما خاب منقطع الى الصبر • فا
لصبر اولى ما اعتصمت به ولنعم حشو جوانبا الصدر وقال
الحسن البصري رضي الله عنه جربنا وجرب المجربون فلم نر شيئا
انفع من الصبر به تداوي الامور وهو لا يداوي بغيره وروي
عن سليمان بن داود عليهما السلام انه قال يا معشر الحواريين
انكم لا تدركون ما تاملون الا بالصبر على ما تكرهون وقال
نهشل بن حرى ويوم كان المصطلين بحره وان لم تكن نار قيام
على الجمر صبرنا له حتى تفرج وانما • تفرج ايام الكريهة بالصبر •
اما رايت مغبة الصبر تقضي الى صاحبها الى اليسر لا بد
من عسر وميسرة بهما تدور دوائر الدهر فكما يلذ اليه صاحبه
فكذلك فليصبر على العسر وقال آخر الصبر اولى بوقار الفتى •

وقال اخر

من

6

من قلق تهتك سر الوقار من لزم الصبر على حالة كان
على ايامه بالخيار • لا تياسن وان طالت مطالبه • اذا
استعنت بصبر ان ترى فرجا • اخلق بذي الصبر ان يحظى
بحاجته • ومدمن القرع للابواب ان يلجا الوصف العاشر
العفو اعلم ان وصف العفو خليق بالملك لما فيه من المزية
وكمال مصلحة الرعية لان الملك متى عاقب على الزلة و
قابل على الهفوة واخذ بالجرم الصغير ولم يتجاوز الكبير فيحجب
بنيته وفسدت سريرته قال عمر بن الخطاب رض افضل
القصد عند الجدة وافضل العفو عند القدرة وما اقبح مجازاة
القادر على سوء صنيع المقدور عليه وكان معاوية يقول ان
اولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة وان انقص الناس
عقلا من ظلم من هو دونه وقيل انما دونه غطيها من غطاها فريد
في سالف الدهر كان يطلب رجلا فلما ظفر به قال له لولا ان
القدرة تذهب الحفيظة لا نتقمت منك ثم اطلقه فحسنت
سيرة الرجل بعد ذلك وغضب سليمان بن عبد الملك
على خالد بن عبد الله القسري فلما دخل عليه قال يا امير المؤمنين
ان القدرة تذهب الحفيظة وانك تجل عن العقوبة فان تعف

فاهل ذلك وان تعاقب فاهل ذلك انا معفي عنه و
حكي ان المامون لما ظفر بعمه ابرهيم بن المهدي احضر عنده
جماعة من خواصه ثم قال علي به فادخل اليه وهو يحجل في قيوده
فقال السلام عليك يا امير المؤمنين قال لا سلم الله عليك
ولا رعاك فقال ابرهيم على رسلك يا امير المؤمنين ثم انشد
انا المذنب الخطاء والعفو واسع ولو لم يكن ذنب لما عرف
العفو سكرت فابدت مني الكاس بعض ما كرهت
وما ان يستوي السكر والصحو فان تعف عني تلف خطوي
واسعا والا تتداركني فقد قصر الخطو ثم قال يا امير انت
ولي ثاري وان القدرة تذهب الحفيظة وانك قد اصبحت
فوق كل ذي ذنب كما اصبح كل ذي عفو دونك وان تعاقب
فبفضلك قال فاطرق المامون ثم رفع راسه وقال ان
هذين اشارا علي بقتلك يعني العباس والمعتصم فقال
انهما اشارا بما يشير بمثلها على مثلك اذا كان مني الذي كان
فقال المامون يا عماه ان من الكلام كلاما كالدر في لبات
الغواني وان هذا الكلام منه يا غلام حل القيود عن
عمي وكان المامون يقول ليس علي في العفو مؤونة

والي

٢٧

والي وددت ان اهل الجرايم علموا حلمي ورايي في العفو ليذهب
عنهم الخوف وكان يقال اقبح المجازاة المكافاة بالاساءة
وقيل ان عبد الملك بن مروان اشتد غضبه على رجل
فلما صار في يده قال له يا فاسق لامثلن بك اشد مثلة
فقال له رجاء بن حيوة ان الله قد صنع ما احببت يا امير المؤ منين
فاصنع ما يحبه الله من العفو عنه قال فعفى عنه واطلقه
وكان المامون يقول لو علم الناس رغبتي في العفو ما
تقربوا الي الا بالذنوب انشد لي بعضهم اقبل معاذير من
ياتيك معتذرا واغفر له ذنبه ان بر او فجر فقد اطاعك
من يرضيك ظاهره وقد اجلك من يعصيك مستترا و
يحكي انه جرى بين شهرام المروزي وبين ابي مسلم الخراساني
كلام شديد ومنازعة فما زال ابو مسلم يتناوله الى ان قال له
شهرام يا لقيط فلما قال ذلك سكت ابو مسلم ثم ان شهرام
ندم فاقبل على ابي مسلم معتذرا وخاضعا ومتنصلا فلما
راى ذلك منه ابو مسلم قال لسان سبق ووهم اخطا وانما
الغضب من الشيطان والعذر يسعك وقد عفونا عنك
فقال شهرام ايها الامير ان عفو مثلك لا يكون غرورا

قال اجل فقال ان اعظم ذنبي لا يدع قلبي يسكن فقال
ابو مسلم يا عجبا اكنت تسي وانا احسن فاذا احسنت
اسي انشدني بعضهم شعر تعفوا الملوك عن العظيم من الذنوب
لفضلها ولقد تعاقب في اليسير وليس ذلك لجهلها
الا ليعرف فضلها ويخاف شده نكلها وحكي ان المنصور
بعث الى جعفر بن محمد فلما اتاه قال اني اريد ان استشيرك
في امر قد رايت انطباق اهل المدينه على حربي وقد نهيتهم
مرة بعد اخرى فما رايتهم ينتهون وقد رايت ان ابعث
اليهم من يقطع نخلها ويغور عيونها فما ترى انت فسكت
جعفر فقال له ما لك لا تتكلم قال اتكلم امنا قال نعم
قال يا امير المؤمنين ان سليمان عليه السلام اعطي فشكر
وان ايوب عم اوذي فاحتمل وقد جعل الله من نسلي الذين
يعفون ويصفحون قال ما نطفي غيظه واسكن
عنهم انشدني بعضهم شعر اشكو اليك سموما ليس يكشفها الا
رضاك فعتوم بالرضي اوذي ان تعف عني فاهل العفو
انت وان عاقبت فما لحي على يدي وقال آخر لقد نادت
عفوك من قريب كما المت شخصك من بعيد فان

عاقبتني فبسوء فعلي وما ظلمت عقوبة مستفيد الوصف
الحادي عشر الشكر اعلم ان الشكر ينقسم الى ثلثة اقسام
عقد بالجنان وثناء باللسان ومكافاه بالافعال الحسان
فاما العقد بالجنان فهو ان يضمر اعظام المنعم واجلاله
والخشية له والاقبال عليه والبحث عليه القيام بحقيقة شكره
واستكثار النعم منه وان قلت واستقلالها في غيره وان جلت
واما الثناء باللسان فهو اظهار الحمد للمنعم والثناء عليه
والتحدث بما خوله من تواتر النعم وبلوغ المقاصد وحصول
الاغراض وغير ذلك مما خصه به المنعم دون كثير من الناس
واما المكافاه بالافعال فهي الاقبال على طاعته والوقوف
عند حدوده ومنهياته وان يواسي الضعفاء من نعمته
ويعمهم بعدله ويخصهم ببذله سيما لمن ناصح في دولته واخلص
في خدمته وصدق في ولايه من اعوانه وخاصته او لمن
اجهد نكايته في عداية او لمن سارع في مرضاته وغير ذلك مما
تجلب اليه به المسرة او يدفع عنه به المضرة فانه اذا فعل
ذلك من نيه وقول وعمل سمي شاكرا على الحقيقة وكان
لمزيد النعمة مستحقا ولتتابع الاحسان مستوجبا لقوله

وجل لئن شكرتم لازيدنكم وقال بعض الحكماء لا يكون
الملك شاكرا للنعمة حتى تجتمع فيه اربعة اشياء المواساة
فيها والاستعانة بها على طاعة مولاها والاستثارة
بذكرها وتيقن العجز عن القيام بحقيقة شكرها وكان يقال
لا زوال للنعمة مع الشكر ولا بقاء لها مع الكفر وقيل الشكر
قيد النعمة وقيل الشكر منمي النعم وعصمة من النقم وقال
بعض الحكماء من لم يشكر على الانعام فاعدده من الانعام
وقال بعض ملوك الهند خير الملوك الشكور على حسن
الاعمال والصبور على تحمل الاثقال وكان يقال من
كفر النعمة استوجب حرمان المزيد وقال علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه شعر من حاول النعمة بالشكر لم • يخش على النعمة
ما اغتالها لو شكروا النعمة زادتهم • مقالة الله التي
قالها لئن شكرتم لازيدنكم • لكنما كفرهم غالها • والكفر
بالنعمة يدعو الى • زوالها والشكر ابقى لها • وقال
بعض البلغاء الشكر وان قل ثمن كل نوال وان جل
لو كنت اعرف فوق الشكر منزلة اعلى من الشكر عند
الله في الثمن اذا منحتكها مني مهذبة حذوا على حذو ما

اوليت

اوليت من حسن فلو كان يستغنى عن الشكر ماجد وقال
لرفعة حال او علو مكان لما امر الرحمن بالشكر خلقه فقال
اشكروا لي ايها الثقلان **الوصف** الثاني عشر الاناة
اعلم ان الاناة من احمد اوصاف الملك واكمل اخلاقه وعلامة
توفيقه لانه يتعلق بها صواب الراي في التدبير واتضاح
الامور في السياسة ولا تقترن بها ذلة ولا يعقبها ندامة ولا
فشل قال رسول الله صلعم التؤدة من الرحمن والعجلة من
الشيطان وقال بعض الحكماء على الملك ان يعمل بخصال
ثلث تاخير العقوبة في سلطان الغضب وتعجيل مكافاة
المحسن والعمل بالاناة فيما يحدث من الامور فان له في
تاخير العقوبة امكان العفو وفي تعجيل المكافاة بالاحسان
المسارعة الى الطاعة من الرعية وفي الاناة اتضاح
الراي وانفتاح الصواب وسال ملك من الملوك حكيما
فقال اي خلائق الملك احمد في العواقب قال الاناة
قال ايها اجلب لمودة الرعية قال الكرم قال فاي الملوك احمق
قال انهكم عقوبة للرعية قال فاي الخلال اجمع للمكارم
والمناقب قال العدل قال اوصني وصية انتفع بها في

حكي قال قد فعلت ويحكى ان علي بن ابي طالب رضي الله
سال كبيرا من كبرا فارس فقال اي ملوككم كان احمد عندكم
سيرة انوشروان قال فاي خلاله كان اغلب عليه قال الحلم
والاناة قال رضي الله عنه ان الاناة والحلم توامان ينتجهما على ص
علو الهمة والله سبحانه وتعالى اعلم الوصف الثالث عشر اعلم ان
الحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب وهو خليق بالملوك
لما فيه من الراحة واجتلاب الحمد وحسن العاقبة ورضى الخالق
قال رسول الله صلعم ان الله يحب الحليم ويبغض الفاحش
وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه من حلم ساد ومن تفهم
ازداد وقال بعض العلماء كل ملك لا تجتمع فيه ثلث قوات
فملكه مسلوب القوة الاولى قوة الحلم وثمرتها العفو القوة الثانية
قوة حفظ الرعية وثمرتها عمارة المملكة القوة الثالثة قوة
الشجاعة وثمرتها في الملوك الثبات وفي الجند الاقدام
وكان يقال اوكد اسباب الحلم رحمة الجهال وقال بعض
الحكماء الحلم حجاب الآفات وقال معاوية اني لا ارفع
نفسي ان يكون لي ذنب اوسع من حلم وكان يقال ليس
الحكيم من اذا ظلم حلم حتى قدر عفى ومما حفظ من وصية

انوشروان

انوشروان لولده يا بني ان من اخلاق الملوك وحدة
النفس فالحلم انك ستبتلى بعداوة اقوام وان سفه السفيه ربما
بلغك فان كافيته بالسفه فكانك قد رضيت بما اتى ف
اجتنبت ان تحتذي على مثاله وان كان سفه السفيه عندك
مذموما فحقق ذمك اياه بترك معارضته مثله ويحكى انه قيل
للاسكندر ان فلانا وفلانا يثلبانك فلو عاقبتهما لانزجرا
فقال هما بعد العقوبة اعذر في ثلبي وقال الاحنف بن
قيس ما جهل علي احد الا اخذت في امره باحدى ثلث
خصال ان كان اعلى مني عرفت له قدره وان كان نظيري
تفضلت عليه فاخذ محمود الوراق هذا الكلام ونظمه شعرا
سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب • وان عظمت منه علي
الجرائم • وما الناس الا واحد من ثلثة • شريف ومشروف
ومثل مقاوم • فاما الذي فوقي فاعرف قدره • واتبع فيه
الحق والحق لازم • واما الذي دوني فان قال صنت
عن اجابته عرضي وان لام لائم • واما الذي مثلي فان
زل او هفا • تفضلت ان الحلم بالفضل حاكم • وقال
عبيدة بن عاصرة العنبري وانا وان كنا اسنة قومنا •

وكان لنا فيهم مقام منفذم • لنصفح عن اشياء منهم تسوئنا •
ونصفح منهم عن مخطي يحدوننا • مننى عطاء ليس فيه تندم •
ونكلا منهم ما تعيب منا حفيظة • واكبادنا وحدا عليهم تضرم •
ولا نشتم النعماء منا عليهم وان كثرت حتى يملوا ويسأموا
وليس بمحمود لدى الناس من جزا • سفيه بأن ياتي المسيء
الملوم سأحمل عن قومي جميع كلومهم • وادفع عنهم كل جرم وجرمهم
وجهل رددناه بفضل حلومنا • ولو اننا شئنا رددناه
بالجهل رجحنا وقد خفت حلوم كثيرة • وعدنا على اهل السفاه مه
بالفضل • واعلم ان كمال العقل وشرف النفس وعلو
الهمة يبعث على الحلم عند هيجان الغضب لاسباب خمسة
احدها الترفع عن السفيه والاستهانة به واطراح جانبه
الثاني ان يكون السفيه ممن حرمته شاملة وحرمته لازمة
فيراعي منه ذلك فيحلم عنه لاجله الثالث الرحمة والرافة به
لضعفه عن القدرة الرابع ثواب يتالفه بالحلم ويتفضل
عليه به الخامس الاتحية امر الله تعالى ومن الحاضرين
ان تجيب السفيه سفيه مثله وينبغي للملك ان يوطن
على نفسه هذه الاسباب عند هيجان الغضب ليجلب اليه

الحلم

الحلم واحد منها واعلم ان الحلم ليس بمحمود في كل المواطن لانه
قد يطرأ على الملك من الامور ما يكون الحلم معها مفسدة و
التراخي عنها مضرة لان الرعية على قسمين قسم لا يخشى فا دسم
ولا يضر بهم ما صدر عنهم فاطراح الملك لهم والترفع عن
مجازاتهم اليق والاستهانة بهم اصوب وقسم لا يكف الملك
افعال ارسم واطراح جانبهم اما لخوف شرهم او للزوم
امرهم فردعهم بالافعال الزاجرة اولى بالملك من الحلم عنهم
حتى لا يحق يزدادون بالحلم شرها وتمردا وقد قال يزيد معاويه
عليه ما يحق اياه فقال يا امير المؤمنين هل ذممت عاقبة
حلم قط او حمدت عاقبة اقدام قط فقال ما حلمت عن لئيم
قط وان كان عدوا الا واعقبني اسفا وقال بعض الحكماء
ان الحلم يفسد من اللئيم بقدر اصلاحه من الكريم وقال
بعض اهل العلم ليس الحلم بمحمود في كل المواطن كما ان
الجهل ليس بمذموم في جميع الاحوال شعر اذا كان حلم المرء عوف
عدوه عليه فان الجهل اغنى وارزح • وفي الحلم ضعف
والعقوبة قوة • اذا كنت تخشى كيد من عنه تصفح •
اذا كنت بين الحلم والجهل نايلا وقال ابرهيم بن المهدي

وخيرت الى شئت فالحلم افضل ولكن اذا انصفت
من ليس منصفا ولم يرض منك الحلم فالجهل افضل وينبغي
للملك ان يتلطف في تدبيره من مدة صعته على وجه يحصل
به الردع والزجر من غير مبالغة في النكاية على ما يقتضيه
المصلحة في تدبير السياسة

الوصف الرابع عشر العفاف

اعلم ان العفاف هو ضبط النفس عن الرذائل وكف
الجوارح عن الاذى والمحارم وذلك غاية السودد وكمال
المروة وختام مكارم الاخلاق قالت عايشة رضي الله
عنها كان الجاهلية لا يسودون رجلا حتى تجتمع فيه ست
خصال ثم زادت في الاسلام خصلة فصارت سبعة
السماحة والنجدة والصبر والحلم والبيان والتواضع و
تمامهن في الاسلام العفاف وكان يقال من عف في
جماله وعدل في سلطانه حشر في زمرة الابرار وقد قدمنا
في صدر الكتاب ان من لا يقدر على ضبط خاصته وهم
نصب عينه لم يقدر على ضبط رعيته وهم في اقاصي
بلاده فاذا عف نفسه وجوارحه فقد انتظم امر مملكته
في دنياه وينقلب الى الملك الدائم في عقباه فاما عف

الجوارح

الجوارح فهو ان يعف بصره عن النظر الى المحارم وان يترك
التطلع الى ما حجب عنه لان رسول الله صلعم قال النظر سهم
مسموم من سهام ابليس فمن تركه من خوف الله تعالى اتاه
الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال ابو الدرداء رضي الله عنه
من غض بصره عن نظر الحرام زوجه الله تعالى من الحور العين
حيث احب ومن اطلع فوق بيت من بيوت الناس حشر
الناس يوم القيمة اعمى ثم يعف سمعه عن سماع الكلام
القبيح والغيبة والنميمة وسماع المحرم من الملاهي وينزه
مجلسه عن جميع ذلك فقد قال عبد الله بن عمر رضي الله عه
نهينا عن الغيبة والاستماع اليها والنميمة والاستماع
لها وقال رسول الله صلعم من استمع الى قينة صب في اذنيه
الآنك يوم القيمة ثم يعف لسانه عن قول الكذب
والغيبة والنميمة والسخف من الكلام فقد قال رسول الله
من ضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له على
الله الجنة وقال صلعم لمعاذ بن جبل رضي وهل يكب
الناس في النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم ثم
يعف يده فلا يتناول بها ما لا يحل له من اموال الرعية

ولا يبسطها الى محذور فى عقوبة ولا نكاية فى من حدود لا
موجب فقد قال النبى عم حرمة مال المسلم كحرمة دمه وقال النبى
عم بئس الزاد الى المعاد العدوان على العباد ثم يعف
رجليه فلا يسعى بهما الى مكروه فقد قال مسروق ما خطى العبد
خطوة الا كتبت بها حسنة او سيئة ثم يعف فرجه عن
مقارنة الزنا وذلك اصل العفاف وتمام المروة وحصانة
الدين قال رسول الله صلعم من ضمن لى ما بين لحييه وما
بين رجليه ضمنت له على الله الجنة فاذا فعل جميع ذلك
كان عفيفا وكان للسيادة مستحقا ولمزيد النعمة مستوجبا
الوصف الخامس عشر الوقار اعلم ان وقار الملك سكينة
من اعظم سياسات المملكة لما يتعلق به من اظهار الهيبة
وتعظيم الحرمة وقيام الابهة وارهاب العدو وحصول الرعاية
وسنوضح ذلك فى الباب السابع ان شاء الله وهذه اصول
مكارم الاخلاق ومحاسنها التى تقوم بها السياسة وتدوم
بها الرياسة وسنزيدها ايضاحا بذكر قبائح اضدادها فى
الباب السادس ان شاء الله تعالى **الباب السادس**
فى معرفة الاوصاف الذميمة والنهى عنها لما ذكرنا من مكارم

الاخلاق

الاخلاق اوصاف جميلة واخلاق حميدة يزداد المتصف
بها اجلالا وتعظيما احببنا ان نوضح ما ذكرناه من محاسن
بشرح قبائح اضداد المذمومة الخارجة بالنفس عن حد
الاعتدال الى ما يعقبها من الاضطراب فى تاتى الحال لتجتنبها
الملك ونختم هذا الباب بذكر اعراض ردية ربما عرضت
للملك فاخرجته عن نوت الاعتدال فهى خمسة عشر وصفا وثلثة
اعراض اما الاوصاف فهى الجور والجهل والبخل والسرف
والجبن والكذب والغيبة والغضب والعجب والحسد
والعجلة والمزاح والضحك والغدر واما الاعراض فهى الهم
والغم والسكر **الوصف الاول** الجور اعلم ان الجور هو
العدول عن الحق واستمراره يخل نظام الطاعة من الرعية
ويبعثهم على ترك المناصحة وعدم النصرة ويحملهم على نصب
الغوائل وتربص الدوائر وليس شىء اسرع فى خراب الارض رض
ولا افسد لضمائر الخلق منه لانه ليس يقف على حد ولا ينتهى
الى غاية وقد قال رسول الله عم ان اشد الناس عذابا
يوم القيمة من اشركه الله تعالى فى سلطانه فجار فى حكمه
وقال صلعم لن يهلك الرعية وان كانت ظالمة مسيئة

اذا كانت الولاة ظالمة مهددة وقال عم بئس الزاد الى المعاد
العدوان على العباد وقال بعض الحكماء الملك يبقى على الكفر
ولا يبقى على الجور وقال حكيم آخر الجور مسلبة النعم مجلبة النقم
وقال افلاطون بالعدل ثبات الاشياء وبالجور زوالها
وقال ايضا اياكم والجور فانه اداة العطب وعلة خراب
البلاد وحكى ان الرشيد حبس ابا العتاهية واقسم لا اخرجه
من حبسه فبقي في السجن مدة طويلة فلما ضاق به الامر كتب
على حائط الحبس هذه الابيات • اما والله ان الظلم شوم
وما زال المسيء هو الظلوم • تنام ولم تنم عنك المنايا • تنبه
للمنية يا نؤوم • الى ديان يوم الدين نمضي • وعند الله تجتمع
الخصوم • قال فاخبر الرشيد بذلك فبكى واحضر ابا العتاهية
واستحله ووهبه الف دينار والخلعة وكف عن عينه وانشد
بعضهم لابنه النصح • البيتين عليك بالعدل ان وليت مملكة • و
احذر من الجور فيها غاية الحذر • فالملك يبقى على الكفر البهيم •
لا يبقى مع الجور في بدو ولا حضر • قال بعض الحكماء ليس
للجائر جار ولا يعمر له دار وقال حكيم آخر اقرب الاشياء
صرعة الظلوم وانفذ السهام دعوة المظلوم وقال

بعضهم

بعضهم في المعنى شعر لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا • فالظلم
مرتعه يدعو الى الندم • تنام عيناك والمظلوم منتبه • يدعو
عليك وعين الله لم تنم وحكى ان يزدجرد الاثيم لما كثر ظلمه
لرعيته واشتد جوره عليهم باغتصاب الاموال وانتهاكهم
بالعذاب وطال ذلك عليهم اجتمع جماعة من المظلومين في
بعض الهياكل ثم دعوا الله تعالى ان يريحهم منه فمكث بعد
ذلك خمسة ايام او سبعة فجاء حاجبه فاخبر ان فرسا
قد جمع محاسن صفات الخيل قد جاء يشتد عدوا حتى وقف
بباب الملك وقد تهيبه الناس فلم يجترئ احد عليه وقد نفرت
منه الخيل فلا تقرب منه فلما سمع ذلك يزدجرد خرج من قصره
فنظر الى الفرس قائما فراى منظرا عجيبا فدنا منه فخضع له الفرس
فخاره الاعجاب بنفسه فمسك بناصيته ومسح وجهه ثم امر
بالسراجة واللجام ثم استدار به ومسح كفله فرمحه رمحة خر منها
ميتا وقبل ركبه وحركه فخرج به فسبق الابصار عدوا ولحق الى
البحر فاقتحم به فكان ذلك آخر ما علم من خبره وقد يعلم
قبح الجور عقلا وشرعا فيجب تجنبه والنزوع عنه لما فيه
من اختلال الرعية واضطراب الدولة وخراب البلاد وعدا.

الآفات الوصف الثاني الجهل اعلم ان الجهل من الاوصاف
الذميمة والاخلاق الرديه لاسيما بالملوك فان صاحبه لا
يهتدي على نفسه بالافعال القبيحة وزايد ابدا في ضلال
وتدبيره في وبال تترف به الزلل ويحيط به الفشل قال
بعض الحكماء الجهل مطية من ركبها زل ومن صحبها
ضل وقال آخر خير المواهب العقل وشر المصايب الجهل
وقيل الجاهل يعتمد على امله والعاقل يعتمد على عمله وقيل
الجاهل بعينه وناظره ونظر العاقل بقلبه وخاطره واعلم ان
للجاهل اوصاف تظهر عليه وخصال لا ترشد اليه فمن ذلك
ما روي عن رسول الله صلعم انه قال للجاهل خصال يعرف
بها يظلم من خالطه ويعتدي من دونه ويتطاول على من
فوقه ويتكلم بغير تدبر ان وصف عليه فتنة اردته وان
راى فضيلة اعرض عنها وقال زياد يعرف الجاهل بثلاث
علامات كثرة الالتفات وسرعة الاجابة وتحريك راسه
ومشيه وقال بعض العلماء ست خصال يعرف بها الجاهل
الغضب في كل شيء والكلام في غير نفع والعطية في غير موضعها
وافشاء السر والثقة بكل احد وان لا يعرف صديقه من

من عدوه وحكى صالح بن حسان قال كان عبد الله بن جعفر
بن ابي طالب رضي الله عنه صديقا للوليد بن يزيد بن عبد
الملك وكان عبد الله ياتيه فخلوا يوما يلعبان بالشطرنج فاتاه
الحاجب فقال له ان بالباب رجلا سيدا من اخوالك من
ثقيف قدم غازيا وقد احب التسليم عليك قال دعه ساعة
حتى نفرغ من دستنا قال عبد الله وما عليك من ذلك ائذن
له قال علمت ان اللعب قبيح عليك اردت ان تفسده قال
عبد الله فادع منديلا وضعه عليها حتى يدخل الرجل فيسلم
عليك ويعود الى تمام الدست ففعل ذلك ثم قال ائذن
له فدخل رجل له هيئة حسنة وعليه عمامة فاضرة وبين
عينيه اثر السجود وقد رجل لحيته بالحناء فقال اصلح الله الامير
قدمت غازيا فكرهت او جاوزك حتى اقضي حقك قال حياك الله
وبارك فيك ثم سكت عنه ساعة فلما انس به قبل عليه
الوليد وقال يا خالي هل جمعت القرآن قال لا قد كانت تشغلني
عنه قال فهل حفظت من سنة رسول الله صلعم ومغازيه احاديثه
شيئا قال قد كانت اموالنا تشغلنا عن ذلك قال فاحاديث
العرب وايامها واشعارها قال لا اني كنت عن ذلك في شغل

قال فاحاديث البحر وآدابها قال ان ذلك شيء ما طلبته
قال فهل عرفت من اقوال الحكماء وسيرة الملوك ما تونس
به قومك قال لا ان ذلك شيء لم اكن ابحث عنه قال فاستدار
الوليد ورفع المنديل وقال شانك فقال عبد الله سبحان
الله قال الوليد لا تحتشمنه والله ما معنا في البيت انسان فلما
خرج ذلك الرجل قال الوليد اما علمت ان الجهال كالانعام لا
يستحيا منهم **الوصف** اعلم ان البخل من اذم الخلائق وانكر الطرائق
ينهى عنه الشرع وقضى بقبحه العقل وحقيقته منع الحقوق الواجبة
وتعيير السخاء المستحقة وفي العرف والعادة هو خزن المال ومنع
المستحقين من فضوله واعلم ان البخيل لا يزال مسلوب الهيبة
مفقود الرتبة ثقيلا على النفوس بغيضا الى القلوب ترمقه
الابصار بالاحتقار ويعقله الوقار وذلك ان البخل يدعوه الى
شدة الكدح وخزن المال ومنعه من ايصال الحقوق
الى اهلها وهو يغطي الفضايل ويظهر الرذايل انشد بعض
اهل العلم ويظهر عيب المرء في الناس بخله ويستره عنهم
جميعا سخاؤه تغطّ باثواب السخاء فانني ارى كل عيب
والسخاء غطاؤه وقد ينتج عن البخل اربعة اخلاق مذمومة

الثالث الجهل

كل

كل خلق منها في نهاية القبح وهي الحرص والشره وسوء الظن
بالله تعالى ومنع الحقوق اما الحرص فهو شدة الكدح والا شراف
في الطلب والمبالغة في جمع المال وهذا ربما افضى بصاحبه
الى اقتحام الحرام واخذ الشبهات وكان مذموما واما الشره
فهو استقلال الكفاية والاستكثار من المال لغير حاجة و
ذلك مذموم لنزوعه الى اللوم واما كونه سوء الظن بالله
تعالى فان البخيل يعتقد ان المال يذهبه الانفاق وليس
له خلف من الله تعالى وذلك غاية المذمة القبح واما منع
الحقوق فان نفس البخيل لا تسمح بفراق المال اذ هو محبوبها
ونهاية مطلوبها فلا تنقاد الى ايصال الحق ولا تذعن با
نصاف الخلق واذا كان البخيل بهذه الاوصاف فليس
عنده موجود ولا صلاح منه مأمول وقال رسول الله صلعم
السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد
من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من
الناس قريب من النار وقال عليه طعام الجواد دواء
وطعام البخيل داء وقال علي بشر مال البخيل بحادث او وارث
انشدني بعض اهل العلم **شعر** يفني البخيل بجمع المال مدته

فيحمل [illegible] البخيل [illegible] الا عوض ليس [illegible] بالله [illegible] على عدم الثقة

وللحوادث والوارث ما يدع كردة التي ما تنيه يهلكها
وغيرها بالذي سببه سمع وقال بعض الحكماء البخل جلباب
المسكنة وقال حكيم آخر لا يدخل البخل مدخلا الا اعقبته الحسرة
ولا يدخل الطمع مدخلا الا اعقبته المذلة ولا يدخل الشره
مدخلا الا اعقبته الحزن وقيل البخيل ليس له خليل وقيل
المال كالماء فمن استكثر منه ولم يجعل له مسربا يتسرب فغنيه ما زاد
على القدر الكافي فانه انشد لي بعضهم ارى تؤمل حسن الثناء
ولم يرزق الله تعالى ذاك البخيلا وكيف يسود اخو فطنة يمن
كثيرا او يعطي قليلا **الوصف الرابع السرف** اعلم ان السرف في انفاق
المال وصف خارج عن حد السخاء المحمود مجانس البخل في الذم و
القبح لان الله تعالى ساوى بين حالتيهما في النهي فقال ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا
فنهى عن بسطها سرفا كما نهى عن قبضها بخلا فدل على استوائهما
ذما واتفاقهما لوما ولان المسرف في عطائه المبذر لسخائه
لا يفرق بين محمود ومذموم ولا يميز بين مستحق ومحروم وهذه
الحال تدل على خور الطبع وخبث الرأي وقصور التدبير
وذلك لا يليق بالملوك لان بيت المال يقل عن الحقوق وتقصر

عن الواجبات فاذا اسرف في بذله وقد وضع الشيء في زيادة
على قدر المستحق قال بعض الحكماء الخطأ في اعطاء ما لا ينبغي
ومنع ما ينبغي وقال سفيان الثوري رحمه الله الحلال
لا يحتمل السرف وقال بعض العلماء ثلاثة يرتفع عنهم الرحمة
وتنزل بهم الشماتة في ثلاثة احوال احدهم المبذر لماله حين تنزل
الفاقة الثاني الشره النهم حين يصيبه المصيبة الثالث
الظالم المتعدي حين تنزل به العقوبة انشد لي بعضهم **شعر**
وكان المال يأتينا فكنا • نبذره وليس لنا عقول • فلما ان
تولى المال عنا • عقلنا حيث ليس لنا فضول • **الوصف
الخامس خلف الميعاد** اعلم ان خلف الميعاد به يتصف اللئام و
يأباه الكرام لقبح صورته وشناعة تبعته وهو من اركان النفاق
ومساوي الاخلاق قال رسول الله صلعم علامة المنافق ثلث
اذا حدث كذب واذا ائتمن خان واذا وعد خلف وقال طلحة
الطلحات ما بات رجل مني على وعد ولا بكر الظفر لحاجته
وبكرت الى قضائها تخوفا من عارض الخلف ان الخلف من
النفاق وليس من اخلاق الكرم وقال ابو الحسن الداني
كان عمر بن عبد العزيز رضه لا يكاد يوجب حاجة يوعدها للخلف

وقال داود بن عبد الله في وصيته للخير اذا وعدت فاتق
الخلف فانه يزيل الهيبة ويذهب ببهاء الوجه وقال بعض
الحكماء من اخلف وعده فورضو خده وجفاه القريب وتحاماه
الغريب انشد لي بعضهم شعر لا تكثرن عداوة ومذمة بعد الصفاء
ببذل وعد مختلف وكان يقال الخلف نتيجة اللوم وقبح
كل خلف مذموم واعلم ان الخلف من فروع الكذب وسنذكره
ان شاء الله تعالى الوصف السادس الكذب اعلم ان الكذب
وصف ذميم وخلق لئيم لا ينفك صاحبه عن الفضيحة لمناقضة
كلامه بالسهو والاعتماد متعاطيه يسوء رتبته ولا يعلو منزلته لانه
حقار النظر لهم واستصغارهم وسوالهم عنه وقلة ركونهم اليه لانه
ان عاقد لم يوثق بعقده وان اوعد لم يركن الى وعده وان
ذكر شيئا لم ترجع اليه النفس وان ترك به مكروه تراجعت
عنه الرحمة كل ذلك مما قد علمته النفوس من مهانته و
قلة امانته وان كان صادقا كما قال الشاعر ومن آفة
الكذاب نسيان كذبه وتلقاه ذا حفظ اذا كان حاذقا و
قد سلب الله تعالى وصف الكذب عن المؤمنين بقوله تعالى
انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون وقال رسول الله صلعم

الكذب مجانب الايمان وكان يقال لا يقوم على الكذب دين
ولا دنيا وكتب عمر بن عبد العزيز الى بعض عماله اياك
ان تستعين بكذوب فانك ان تحتاج فيه الى الحيلة فانك ان تطع
الكذوب تهلك وقال عبد الله بن مروان اللحن هجنة الشريف
والعجب آفة الرأي والكذب فساد كل شيء وحكى ان قيصر
كتب الى كسرى ان عرفني بما ضبطت به ملكك فكتب اليه ثلاث
خصال لم اكذب في جد ولا هزل قط ولم اخلف في وعد ولا وعيد
قط ووليت للغنا لا للهوى وعاقبت للادب لا للغضب
واشربت قلوب الرعية المحبة من غير جراءة واودعت قلوبها
هيبته من غير ضغينة وعمت بالكف، ومنعت الفضول و
قيل لعدي بن حاتم اي الاشياء اثقل عليك قال الحجة الصدوق
ورد السائل قيل فاي الاشياء اوضع للرجال قال كثرة
الكلام والثقة بكل احد واللسان الكذوب وقيل الصدق
عز والكذب ذل وكان يقال الكذب من ذهاب المروة وكذا
مهانة النفس وقلة الحياء انشدني بعضهم لا يكذب المرء الا
من مهانته او عادة السوء او من قلة الادب لجيفة الكلب
عندي خير رائحة من كذبة المرء في جد وفي لعب وقال آخر وما

شئ اذا افكرت فيه بادمب للمروة والجمال من الذى
لا خير فيه وابعد بالبهاء من الرجال واعلم ان دواعى
الكذب ثلثة اشياء احدها ان تجلب به نفعا او تدفع به
ضررا فيرى ان الكذب اسلم واغنم فيرخص لنفسه فيه اجتلاب
ذلك الثانى ان يوثر ان يكون حديثه مستعذبا وكلامه
مستظرفا ولا يجد من الصدق ما يزين به حديثه فيستمد
من الكذب الثالث ان يقصد بالكذب وصمة عدوه
فيسمه بالقبائح وينسب اليه الفضائح وهذه الدواعى تاباها
النفوس الابية والهمم العلية سيما نفوس الملوك لشرفها
عن الرذائل وترفعها عن النقايص الا انه ربما مست
الحاجة الى استعمال قليل الكذوب فى كيد الاعداء قد تالف
الابتداء فان مثله مثل السموم القاتلة يتمثل على انواعها
ويدخل فى بعض الادويه المركبة فتصير دوآء شافيا **الوصف**
السابع الغيبة اعلم ان الغيبة مع تحريمها شرعا وعقلا من
عين البغض ونفس اللوم ودليل النقص تاباها العقول الكاملة
والنفوس الفاضلة لما فيها من انحطاط الرتبة وانخفاض
المنزلة قال الحسين الغيبة ادام كلاب الناس وقال عدى على بن

بن

بن حاتم الغيبة مرعى اللئام قال سمع قتيبة بن مسلم رجلا
يغتاب رجلا فقال اما والله لقد تلمظت بمضغة طالما لفظتها
الكرام وقال بعض الحكماء من اكثر من عيوب الناس سهل
عليه الاكثار زانه انما يطلبها بقدر ما فيه منها ولقد احسن
القائل حيث يقول اذا انت عبت الناس عابوا واكثروا
عليك وابدوا منك ما كنت تستترا اذا ما ذكرت فاترك
عيوبهم فلا عيب الا دون عيبك يذكر فان عبت قوما
بالذى ليس فيهم فذلك عند الله والناس اكبر وان عبت
قوما بالذى فيك مثله فكيف يعيب العور من هو اعور وقال ل
الوليد بن عتبة بن ابى معيط كنت اسير مع ابى فى موكبه
فلصق الى رجل ويغتاب رجلا غايبا فمنعه ابى فالتفت
الى وقال ويحك اما علمت ان الملوك ينزهون اسماعهم عن
الخنى كما ينزهون السنتهم عن الكلام به فان المستمع
شريك القائل ولقد نظر الى حيث ما فى وعائه فافرغه فى وعا ئك
وحكى ان بهرام ملك العجم ولى قايدا من قواده تخوم ارضه مما يلى
ارض الترك فبلغه عنه انه يكثر من غيبة خاقان فقال
هذا دليل عجزه وضعفه عن مقاومته ثم عزله وولى غيره

وقال ابو الاسود فی ذلک شعر وذی حسد یغتابنی حیث
لا یری مکانی ویثنی صالحا حیث اسمع تورعت ان اغتابه
من ورآیه بما لیس فیه وهو لا یتورع الوصف الثالث
من الغضب اعلم ان الغضب وصف طبق رکبه الله تعالی
فی الحیوان لیکون له بالانتقام من المؤذی له وسببه هجوم
ما تکرهه النفس ممن هو دونها والحادث عن الغضب
السطوة والانتقام فاذا افرط وجاوز حده سلب العقل
وحجب عن صواب الرای فصار صاحبه مقطوع الحجة قلیل
الحیلة وربما عاد ضرر الغضب ونکایته علی الغضبان دون
المغضوب علیه وقد یظهر ذلک فی نفسه وجده والعاقل
فی حال شدة غضبه لیس بینه وبین المجنون فرق
ولهذه الاوصاف صار قبیحا مذموما قال رسول الله صلعم
الغضب یفسد الایمان کما یفسد الصبر العسل وقال عم لیس
الشدید بالصرعة انما الشدید من ملک نفسه عند الغضب
وقال عم من کظم غیظا وهو قادر علی انفاذه ملاه الله قلبه
امنا وایمانا وقال بعض الحکماء الغضب اوله جنون
واخره ندم وقال یقال ایاک وعزة الغضب فانها تفضی
الی

وقیل الغضب علی من لا تملک عجز وعلی من تملک لوم

29

التی ذل العذر وکان یقال لیس للملک ان یغضب لان القدرة
من حاجته ولیس له ان یکذب لانه لا یقدر احد علی استکراهه
علی غیر ما یرید ولیس له ان یکون حقودا لان خطره عظیم عن
المجازاة واعلم ان الذین کان منهم الفعل القبیح شدة الانتقام
فی وقت غیظهم انما کان ذلک لفقد عقولهم فی ذلک الوقت
فینبغی لمن ثار به الغضب عند هجوم ما یغضب ان یکف
سورته بحلمه ویطفی ناره بحلمه لیسلم من الندم فی العواقب و
الذی یسکن الغضب عند هیجانه خمسة اسباب احدها
ان یذکر الله تعالی عند غضبه فان ذلک یدعوه الی الخوف
منه والخوف یبعثه علی الطاعة له بالعفو فیزول عنه الغضب
فقد ذکر انه مکتوب فی التوریة یا ابن آدم اذکرنی حین
تغضب واذکرک حین اغضب وقیل ان ملکا من ملوک
الفرس کتب کتابا وناوله لوزیره وقال له اذا رایتنی قد
غضبت فاترکه بین یدی وکان فیه مکتوب ما لک وللغضب
وانما انت بشر ارحم من فی الارض یرحمک من فی السماء فکان
اذا غضب ذلک الملک ناوله الوزیر الکتاب فیسکن
غضبه وقیل ان ملکا من ملوک الروم اخذ حجة ملک

كان قبله فوضعها في خزانته ولها بعض حجابه وقال
له اذا رايتني قد غضبت علي انسان فضعها بين يدي
قال فكان اذا غضبت وضعها الحاجب بين يديه
فيسكن غضبه السبب الثاني ان يتذكر عند الغضب
ثواب العفو وحسن جزاء الصفح فيقهر نفسه على نوع الغضب
رغبة في الثواب وما وعد الله به العافين عن الناس
فقد قال رسول الله صلعم ينادي منادي يوم القيمة من له
اجر على الله تعالى فليقم فيقوم العافون عن الناس ثم
تلا فمن عفى واصلح فاجره على الله الثالث ان يتذكر
انعطاف القلوب عليه وميل النفوس اليه عند العفو
وكظم الغيظ فيمنعه التالف وجميل النتائج من نفاذ الغضب
الرابع ان ينتقل من الحالة التي هو عليها الى حالة اخرى
فانه اذا فعل ذلك زال عنه الغضب الخامس ان يتذكر
ما يؤول اليه الغضب وقد كان هذا شعار المامون اذا غضب
الخامس ان يتذكر ما يؤول اليه الغضب من الندم ومذمة
الانتقام لا سيما انفاذه فيمن لا يستطيع الدفع عن
نفسه فهذه اسباب الحلم اذا تدبرها الملك وتذكرها

في اوقات الرضا كان احرى ان يتصورها في اوقات الغضب
فتصده عن الشر والقتل والافراط في النكال والانتقام
الوصف التاسع اعلم ان العجب وصف ردي يسلب الفضايل
ويجلب الرذائل ويعطي الحمق ويوجب المقت ويطفي المحاسن
ويشهر المساوي ويقتضي المهالك قال الله تعالى ويوم حنين الى م
اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم
الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وقال علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه الاعجاب ضد الصواب وآفة الالباب و
قال بعض الحكماء اعجاب المرء بنفسه احد حساد عقله
وقال آخر العجب حمق وتيه يتبعها الكبر وكان يقال ما عجب
بنفسه الا لسخف فضل حمق لم يدر صاحبه اين يذهب به
فصرفه الى الكبر وحكي ان رجلا نظر الى المهلب بن ابي صفرة
وعليه حلة خز يسحبها ويمشي بالخيلاء فقال له يا عبد الله
ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب
او ما تعرفني قال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة وآخرك
جيفة قذرة وحشاك فيما بين ذلك بول وعذرة قال
فخجل المهلب واطرق منه حياء وقد نظم هذا الكلام محمود

الوراق فقال عجبت من معجب بصورته • وكان بالامس
نطفة مذرة • وفي غد بعد حسن هيئته • يصير في اللحد جيفة
قذرة وهو على تيهه ونخوته • ما بين جنبيه يحمل العذرة
وقال بعض البلغاء عجب الملك بتدبيره مفض به الى تدميره
اذ انشدني بعضهم شعر اذا المرء لم يرض ما امكنه ولم يات من
امره ازينه واعجب بالعجب فاقتاده وتاه به التيه فاستحمقه
فدعه فقد ساء تدبيره سيضحك يوما ويبكي سنه واعلم
ان من لم يحجم عنه اسباب العجب المفضية اليه وقع فيه فيهلك
في غالب الاحوال ومن اقوى اسبابه مدح المتملقين
الذين يجعلون التملق دابهم والنفاق مكسبهم فيمنع نفسه
من تصديق المدح لها فان للنفس ميلا الى سماع المدح
ومتى كثر المدح وجاوز الحد صار كذبا وملقا وقد نهى رسول
الله صلعم عن ذلك فقال اياكم وكثرة المدح فانه الذبح
وقال بعض من رضي ان يمدح بما ليس فيه فقد امكن
الساخر منه وقال بعض العلماء قبيح باللبيب ان يعجب
بنفسه عند مدح المادح او يغضب عند سماع القادح
قبل ان يتفقد اعماله ويعلم ما عليه وما له ولا يترك النصح،

افضل

افضل منه فان احد امن اذا وصف بوجهها الحسن او بكره
امتحنت ذلك بالاطلاع في المرآة وكذلك ينبغي للعاقل ان
ان يمتحن احواله بان يكل نفسه الى غيره من اهل الثقة والامانة
والقلوب والديانة في اختبار محاسنه ومساويه وعيوب
نفسه التي فيه ويستنصحهم في ذلك فان الانسان قد تخفى
عليه عيوب نفسه لاستيلاء الهوى على عقله فاذا زاح
عن نفسه ذلك فقد نال غاية الشرف بانعطاف القلوب
عليه وميلها اليه اعلم ان الكبر خارج با
لنفس عن حد الاعتدال وحقيقته استعظام النفس واحتقار
الغير وسببه علو اليد والتميز بالمنصب او النسب والفضل
ومتى جاوز حده وتعدى طوره الى البغي والعتو سلب الدين
وافسد الايمان وخفض المنزلة وحط الرتبة لانه يمحق من
المحاسن ما انتشر ويسلب من الفضائل ما اشتهر ويوغر الصدور
ويوجب النفور وقد قال رسول الله صلعم لا يدخل الجنة
من في قلبه مثقال ذرة من كبر وقال رسول الله صلعم لعمه
العباس رضي انهاك عن الشرك بالله وعن الكبر
فان الله تعالى يحتجب عنهما وحكي ان سليمان بن داود

عليهما السلام جلس يوما على بساطه بجنوده من الانس والجن
والطير والوحش ثم امر الريح فرفعت البساط نحو السماء حتى سمعوا
زجل الملائكة بالتسبيح وسمعوا صوت قائل يقول لو كان في
قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفنا به اكثر مما رفعناه
وقال بعض العلماء ان للدولة امراضا يخاف عليها
ان تموت بها اخطرها اربعة اشياء احدها ما يعرض للملك
من الكبر الثاني ما يعرض له من العصبية فان دولته في نهاية
الى التمزق تضطرب لخروجه عن حدود السياسة الثالث
ما يعرض له من الحرص فانه اذا حرص ظلم وعسف الرعية الرابع
هيجان الرعية فانه اذا عرض له شيء من ذلك فليبادر با
لحسم وحكى المدائني قال رأيت رجلا بعرفات وهو على بغلة بمركب
من ذهب والغلمان والخدم بين يديه والناس حوله و
هو لا يعبأ بأحد منهم فنظرت اليه متعجبا وقلت له يا هذا
ليس هذا موضع التكبر انما هو موضع التعظيم والخشوع
فانتبه عن غفلتك واصرف الخدم من بين يديك في
هذا الوقت واقبل على الله تعالى بخضوع وخشوع فانه
يقبل عليك برحمة منه ورضوان قال فلم يلتفت الي وتركته

وانصرفت فلما كان العام المقبل عبرت بالجسر ببغداد فوجدت
ذلك الرجل اعمى يتصدق من الناس فقلت له انت الذي
كنت في العام الماضي على بغلة بعرفات قال نعم انا ذلك الرجل
لما تكبرت في موضع يتواضع الناس فيه وضعني الله في موضع
يتكبر عن مثله الناس انشدني بعض اهل الادب
يا مظهر الكبر اعجابا بصورته مهلا فانك بعد الكبر مسلوب
ولو فكر الناس فيما في بطونهم ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
يا ابن التراب ومأكول التراب غدا اقصر فانك مأكول و
مشروب واعلم ان من قطع اسباب الكبر عنه وحسم مواده واعتاض
به تواضعا وخشوعا وتعظيما لله تعالى فقد اكد اسباب الشرف
ومواد النعم وازاح عنه المقت واستعطف اليه القلوب
الوصف ~~الوصف~~ الحادي عشر الحسد اعلم ان الحسد داء
عظيم من ادواء النفس لا يشفى سقيمه ولا يبرأ في سليمه مع ما
فيه من افساد الدين واضرار البدن لان الحاسد يدوم
همه ويكثر غمه ويذوب جسمه ويذهل عقله عن صواب الرأي
ويشتغل قلبه عن صحيح الفكر وهو اقبح من البخل لان
البخيل يحب ان لا يبذل احد شيئا من مالا يملكه فكان

اعظم قبحا واشد ذما وليس شيء اعظم ضررا من الحسد قال رسول الله
صلعم ان الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال
بعض الحكماء يكفيك من الحسود انه يغتم وقت سرورك فانه عدو
الله الحسود لنعمة كانت على الحاسد نعمه وكان يقال الحسد نار لا
الحسد وكتب بعض الحكماء الى صديق له قد حسدك من لا
ينام دون الانتقام وطلبك من لا يقصر دون الظفر بك
فليكن حذرك بعد الثقة بالله تعا على حسب ذلك وقيل مكتوبا
على قصر حاتم بعض الملوك الحسود لا يسود ابدا والذي خبث
لا يخرج الا نكدا وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه لن
يصل الحسد الى المحسود حتى يصل الحاسد غمه تعب دائم وعقل هائم
وشتم لازم وما رايت ظالما يتشبه بالمظلوم الا الحاسد
انشد لى بعض اهل الادب كم من حسود اطال الله حسرته
ما عتاص ثم انك يا ام من حسده وحاسد الجنة طول الدهر في تعب على ما
يزيده الحسد المذموم في كمده ان الحسود المظلوم في كد يخاله
من يراه مظلوما ذا نفس دائم على نفس يظهر منه ما كان
مكتوما واعلم ان اسباب الحسد ثلثة احدها بغض المحسود
قبل ظهور النعمة عليه فاذا ظهرت عليه نعمة او اشتهرت عنه

فضيلة

فضيلة آثرت النفس الدنية له حسدا على ذلك الثاني
ان يظهر على المحسود نعمة او فضيلة كاملة يعجز الحاسد
عن تحصيلها ويقصر همته عن ادراكها ويكره تقدمه عليه بذلك
واختصاصه به دونه فيحسده الثالث ان يكون بالحاسد
شح بالفضائل المكتسبة وبخل بالنعم الموهوبة وليس يقدر
على منعها منه ودفعها عنه اذ هي ليست في يده ولا مفوضة
اليه فيحسده على ما منحه الله تعالى من عطاياه العميم وفضله الجسيم
وهذا السبب داء ليس له دواء فان كان الحاسد ذا قوة
واقتدار حدث عن حسده الانتقام من المحسود وان كان ذا
عجز وضعف حدث عنه هم دائم وشتم لازم فينبغي ان يحسم عنه اسباب
الحسد ويانف من التعاطيه ويستنكف من صحبة مساويه ليدفع
ضرره ويتوقى اثره ولا يعاتب قضاء الله تعالى فيرجع مغلوبا
ولا يعارضه في امره فيصبح مسلوبا ومما ذكر من تاثير الحسد
ضرر عواقبه حكاية نختم بها هذا الفصل ذكر اهل التواريخ
ان بهرام بن يزدجرد الملك الفرس كان صديقا لخاقان
ملك الترك وكان بينهما مهاداة وتلطف وان بهرام اشتهر
امره بالقوة والشجاعة والكرم وحسن السيرة والعدل

في الرعية فحسده خاقان على ذلك حسدا شديدا وكان له وزير
فذكر ذلك له فضلها وسأله التدبير في هلاك بهرام فقال
له الوزير ان كتم الملك ذلك سعيت له فيه فقال سأكتم وثبت
مدة ثم سأل الوزير عما صنع فيه فاستبصره فلما تكرر ذلك
منهما قال له الوزير ايها الملك لا حيلة لي فيما كلفتنيه وانما
استبطيتك رجاء ان يزول ذلك من قلبك فاني رايت الحامل
لك عليه انما هو فرط الحسد وتدبير الحاسد راجع عليه بالمضرة
واخاف ان يصيب الملك مكيده فيقع فيها قال فغضب
خاقان عليه ثم اطلع الوزير الآخر على ذلك وكان فيه شر
وخبث وحسد وحيلة فتكفل لخاقان بتبيل مراده ثم انه
يذنب له في الحيلة منه ولا الحى منه في ذلك وضمن له ان قبل
بهرام ونجا اعطاه رياسة الجند وجعل ذلك خالدا في ولده وان
هلك دون مرامه شرف ولده تشريفا يخلد ذكره ابدا وان الغاتك
استصحب اخاه معه وتوجها الى دار ملك بهرام فلما وردا قصر بهرام
فلم يزل يتلطف حتى باعه من حافظ القصر المتوكل بحراسته ليلا
فجعل ذلك الغاتك يتحبب الى مولاه بحسن الطاعة ويصلح الخدمة
حتى تمكن عنده واختص به وان سيده تخلف عن حراسته

برص

بمرصد له في استتباب الغاتك فتمكن ذلك الغاتك الى ان خزن
سلاح بهرام وكانت بازاء قصره فالقى فيها نارا وثبط اصحابه
عن المبادرة الى اطفائها حتى اشتد عملها فارتفعت الصيحة
فخرج بهرام من قصره على فرس له بسلاح معه فانتهز الغاتك
فيه الوصمة ودنا من بهرام وبيده خنجر قد اخفاه في كمه فنظر اليه
بهرام في ضوء النار فراى دلائل الريبة ظاهرة عليه فتفرس
فيه الشر فجمع رجليه ووثب عن ظهر فرسه في رأسه على الغاتك
وقبض على يده فوجد الخنجر فاخذه منه بيمينه وجمع يديه معا في
شماله وانطلق به يقوده حتى ادخله القصر فخلا عنه وساله عن
امره فصدقه الحديث فقال له بهرام اما انت فلك ذمتنا
على حفظ نفسك والاحسان اليك اذ كنت انما اتيت الذي
اتيت طاعة لخاقان ومناصحة له وبذلت نفسك في رضاه
ومثلك من يصطنع ونحن نحفظ عليك نفسك التي ضيعتها
صاحبك غير انا نريد ان نحبسك مدة ثم نطلقك ونحن اليك
لغرض نريد ان نفعله فدلنا على اخيك فدله عليه فارسل
اليه من قبض عليه وحبسهما في قصره مكرمين واخذ عليهما
ان يكتما امرهما وكان قد دفع الى بهرام ان رجلا من بحثته زارعا

في بعض الرساتيق له ابنة لم يسمع بامرأة خلقت على مثل
صورتها طولها ستة اذرع وشعرها يسحب على موطئ قدميها
وكان جلدها في لونه وصفائه كأنه قشور الدر رومي متشابه
الخلق بديعة الهيكل رقيقة التخطيط لا يستطيع من رأى
عضوا من اعضائها ان ينقل بصره عنه الا بعد مجاهدة
النفس واذا قابلت عيناها عيني ذي لب اضطرب قلبه
فلا يسكن حتى يضمها الى صدره ويرشف من ريقها وكان
لها مع ذلك الجمال ادب وعقل وحزم فنزعت نفس
بهرام اليها ثم تنزه ان يكون تحته ابنة زارع فنقع نفسه عنها
الانفة ونخوة ثم نهى ان يذكرها له احد وامر العامل على البلد الذي
هي فيه ان يتفقد امرها ومنع اباها من انكاحها حتى اذا احدث
عليه من خاقان ما ذكرناه احضر رجلا من اصحابه داهية
ومكر وحيلة فندبه للمكيدة لخاقان وامره بما سنذكره واعطاه آلة الحاج
واعطاه من الذهب والفضة ونفيس الجوهر وذخائر الملوك
ما ظن انه يحتاج اليه في عمل المكيدة وامره ان يسير متنكرا في
زي تاجر الى والد تلك الجارية التي ذكرناها فيشتريها منه
ليستعين بها على ما ندبه اليه وارسل الى العامل على بلد ابيها

ويطالبه

ويطالبه بما يبيعه من المال ففعل ذلك فجاء التاجر واشترى
منه ابنته بوزنها ذهبا وهذا شيء كان يفعله اهل الخراج
من الفرس اذا ضيق السلطان عليهم باعوا اولادهم قال
ثم ان التاجر قصد بها بلاد الترك حتى حل بمدينة خاقان
فقصد الى الوزير الساعي له في المكيدة ببهرام فاستهدى اليه
هدايا نفيسة وتنفق عنده بالتحف الى ان انس به الوزير
وخف على قلبه فلبث عنده عاما ثم انه قال له انني احببتك
ايها الوزير حبا شديدا ولي عام انازع نفسي في اتحافك بتحفة
لم يحظ احد بمثلها وكانت نفسي تضن بها ثم قد سمحت بايثارك
فقال وما هذه التحفة قال جارية طولها ستة اذرع وشعرها
يسحب على موطئ قدميها كأنما كسي جلدها قشور الدر قال فلما
سمع الوزير الصفة استفزه الهوى اليها وجعل يتقاضاه
باحضارها فلما احضرها ووقع بصره عليها لم يملك نفسه ان دب
عليها فعانقها وقبلها ورشفها ثم التفت الى سيدها وقال له
سل ما شئت وزن حكمك فقال حظي القرب منك والحضور عندك
قال فبذلك وخذ من المال ما شئت قال لا حاجة لي فيه ثم
خرج من عنده مبادرا الى باب قصر الملك خاقان فقال لبعض

نفاته ان عندي نصيحة نخاف فوتها فادخله على خاقان
في الحال فسأله عن نصيحته قال اني قصدت الملك بتحفة لا
تصلح الا له فسألت الوزير الفلاني ان يوصلها الى الملك
فاستأثر بها واعتدى وبذل مالا كثيرا على كتمان ذلك الستر
فلم افعل قال وما هذه التحفة قال هي جارية صفتها كذا او
كذا فارسل خاقان من فوره رجالا من ذوي النكر في دوبه
وامرهم بالهجوم عليه وحفظ الحال التي يرونه عليها وان يأتوه
به وبالجارية محجوبة عن الابصار ففعلوا ذلك وقالوا انهم ابصروها
بين يديه خالية منجردة فسألها خاقان عما نال منها فقالت انه نزع
وقلبني وجردني ونظر الى سائر بدني وهم ان يفتضني فهجم هؤلاء
القوم عليه فامر خاقان ان يقطع يديه وتقلع عينيه وتقطع
لسانه وشفتيه ففعلوا ذلك بالوزير ثم ان خاقان خلا بالجارية
وسألها ابكر هي ام ثيب فقالت بل بكر فلم يملك نفسه ان
افتضها فلما نزعها ازالت عن رأسها قناعا فمسحت به
ذكره فحس فيه من ساعته تنملا ثم بعد ذلك ظهر فيه نفخ
ثم ابتدا به الوجع الشديد فعلم انه سم فتناول موسى
فقطع به ذكره وداواه بالجارية فنجيت عنه وحفظت وطلبوا

مولاها

مولاها فلم يظفروا وان خاقان عالج نفسه حتى برئ ثم احضر الجارية
فسألها عن نفسها واهلها وبلدها فاخبرته ولم يكن يعلم من
امر مولاها اكثر من انه رجل تاجر اشتراها من ابيها بوزنها
ذهبا وسألها عن القناع فقالت كنت ابنة سيدي وانه نفخ
انه يهديني للملك وان من شأن الملوك اذا وقع واحد منهم
على جارية ونزع عنها ان يمسح ذكره بما على رأسها كائنا ما كان
فان لم تفعل ذلك سقطت عن الملك وتوصلت لسخطه فعلم
خاقان انها مخدوعة فلم يتعرض لها بشر ولما عاد صاحب
بهرام اليه واخبره بما تم له من المكيدة امر بهرام باحضار
الفاتك الترك واخيه واحسن اليهما وكتب معهما كتابا الى
خاقان يقول فيه ان الحسد والبغي اوردا اباك واوردا وزيرك
وزير السوء موارد الندم وقد كنا انزلناك بمنزلة الاخ قبل
ان نعرف خبث نيتك فينا وحسدك لنا فلما علمنا ذلك اردنا
بك ما اردته بنا فقضى الله لنا عليك بنجاح السعي لعلمه
بصلاح نيتنا وخبث نيتك والآن فابق الله تعالى
على نفسك فلسنا نوصل لك بسوء اذا لزمت حسن النظر على
النفسك بما امتنانا قال فلما انتهى الكتاب الى خاقان

من ابن اخي ثم انه اذا خلفته الحيرة والانفة فتهيأ لقتال
بهرام في امم من الترك لا يحصى وسار الى ارض فارس
فانتخب له بهرام الجادا من اساورة الفرس وتعبية فهزمه
بهرام وقتل رجاله ونهب امواله واستولى على بلاده و
كان سبب آثاره شدة النقمة الحسد والبغي **الوصف**
الثاني عشر العجلة اعلم ان العجلة رديئة العاقبة مذمومة
الا ثمرة ينتجها طيش وتهور اولها ملامة وآخرها ندامة
لا يفارقها الزلل ولا يتعداها الفشل وقد قال رسول الله
صلعم العجلة من الشيطان وكان يقال لا يوجد العجول
محمودا ولا الغضوب مسرورا ولا الشرة غنيا وقيل انه اجتمع
اربع ملوك من الروم عند حكيم من حكمائهم فقالوا اوصنا
ايها الحكيم وصية ننتفع بها فيما صار الينا من امر الملك فقال
من استطاع منكم ان يمنع نفسه من اربعة اشياء فهو حقيق
ان لا ينزل به مكروه وهي العجلة واللجاجة والعجب والتواني
فثمرة العجلة الندامة وثمرة اللجاجة الحيرة وثمرة العجب البغضة
وثمرة التواني الذلة وكان يقال التثبت في الامور معقل
اهل التجارب والعجلة في الامور داعية كل محذور واوصى ملك

من

من ملوك اليمن من يخلفه من بعده فقال اوصيك بتقوى الله
فانك ان اطعته يملك ويرضى عنك ومتى رضي الرب عن
عبده ارضاه واوصيك ان لا تعجل فيما لا تخاف فيه الفوت فان
العجلة ندامة واذا شككت في امره فشاوره واذا اتهمت فاستبدل ل
واذا استكفيت فاخبره واذا قلت فاصدق واذا وعدت
فانجز واذا اوعدت في حق فانفذ واعلم انك اذا ضبطت
حاشيتك ضبطت قاصيك والسلام واعلم ان العجلة مذمومة
الا في افعال البر وصنايع المعروف فانها حينئذ محمودة قال
بعض الحكماء على الملك ان يعمل بخصال ثلاثة تأخير العقوبة
في سلطان الغضب وتعجيل مكافات المحسن والاناة في
ما يحدث فان له في تأخير العقوبة امكان العفو وفي تعجيل المكافات
بالاحسان المسارعة في الطاعة من رعيته وفي الاناة انفساح
الرأي وانفلاح الصواب وذكر بعض الملوك في وصية له
لولي عهده اذا هممت بخير فعجله واذا هممت بخلافه فتأن فيه
وارحم ترحم وكان يقال العجلة مكروهة قبيحة الا في ثلثة اشياء
في اصطناع المعروف اذا امكن وفي تزويج البكر اذا
خطبت وفي دفن الميت اذا مات **الوصف الثالث**

في المزاح اعلم ان المزاح شاغل عن الامور المهمة
مذهل عن النوائب الملمة يذهب الهيبة والوقار ويسيء
عن وسمه به مقدار مزح عن الحقوق ويفضي الى العقوق
ويوغر صدور الاصحاب ويجانب محاسن الآداب
ويذهب البهاء ويجري السفهاء فيرحق المزاح فانه حمقة يورث
الضغينة اوله حلاوة وآخره عداوة قال عمر بن العزيز
رضي اتقوا المزاح فانه حمقة تورث الضغينة قال اكثم
بن صيفي المزاح يذهب البهاء والمهابة فاحذروه و
اوصى مسلم بن قتيبة اولاده فقال لا تمازحوا فيستخف
بكم نظرائكم ويجترى عليكم كفاؤكم ومن مشكلة المعيبة فتعلقه
للصحبة اوله فرح وآخره ترح وقيل اذا مازح السلطان
هان عند رعيته واذا سفه ذهبت هيبته وقيل في منثور
الحكمة من قلة عقله كثرة مزحه وقيل المزاح معضل الداء عز
الدواء وقيل خير المزاح لا ينال وشره لا يقال وقال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه من اكثر من شيء عرف به ومن مزح
استخف به ومن كثر ضحكه ذهبت هيبته ومن عرض
نفسه للتهمة فلا يلومن من اساء به الظن وقال محمد بن

العاص

العاص لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا
الدني فتجترئ عليك وكان يقال لكل شيء بذر وبذر
العداوة المزاح انشدني بعضهم اترك مزاح الرجال
ان مزحوا مزاح الفتى مرونة ورب قول يسيل منه دم وقيل
آخر واياك المزاح فانه يجرئ عليك الطفل والدنس
النذل ويذهب ماء الوجه بعد حيائه ويعقبه من بعد
عزته ذلا وقال آخر ولقد حبونك يا بني وصيتي فاسمع
مقالة ناصح عليك شفيق احذر المزاح مع المراء فدعهما خلقان
لا ارضاهما لصديق انى بلوتهما فلم احمدهما لمجاور جار ولا لرفيق
والجهل قد يضع الفتى في قومه وعروقه في الناس اي عروق
حتى تراه مجانبا ذا بغضة في الحي غير محبب موموق واعلم ان
النفوس متى سلك بها الجد والزمت به سئمت منه وضجرت
واستثقلت حمل الحق وربما افضى بها ذلك الى ضيق الفطن
وسوء الخلق فينبغي ان نرطبها بقليل المزاح ونسيم الدعابة
وليكن كما قال ابو الفتح البستي افد طبعك المكدود بالجد
راحة ترحه وعلله بشيء من المزاح ولكن اذا اعطيته المزح
فليكن بمقدار ما يعطى الطعام من الملح وقال رسول الله عم

ان لا افرح ولا اقول لا حقا وقال سعيد بن العاص لابنه
يا بني اقتصر في مزاحك فان الافراط فيه يذهب بالبهاء و
تجري عليك السفهاء وان تقصار عنه بالكلية يغضك
الى اصحابك ومؤانسيك فامزح معهم ولكن بمقدار ما يحصل
لهم به الانس منك من غير افراط وتحذر مع هذه الشريطة ان
تمازح عدوك فيصير ذلك طريقا له الى اعلان المساوي فقد
قال بعض الحكماء اذا مازحت عدوك ظهرت عيوبك الوصف
الرابع عشر الضحك كثرة الضحك يضاهي المزاح في الملامة والقبح
ولا تقتضيه حال الملوك وارباب المناصب لما فيه من زوال
الهيبة وذهاب الوقار وقلة الادب وقال رسول الله صلعم
لابي ذر الغفاري اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب
ويذهب بنور الوجه وقال عمر بن الخطاب رضه من كثر
ضحكه قلت هيبته ومن اكثر من شيء عرف به ولكن لا بد ان يرى
الانسان او يسمع ما يغلب عليه الضحك منه او تمسه الحاجة
اليه لايناس الجليس فينبغي اذا اضطر الى شيء من ذلك ان يجعله
تبسما من غير قهقهة واسترسال ويراعي فيه الشريطة التي قدمناها
في المزاح الوصف الخامس عشر الغدر اعلم ان الغدر بعد عقد العهد

ام

ام وعاقبته مهالك ودمار ولا تنقضنها حتى ينتهي امده
وينقضي مدده قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اوفوا با
لعقود وقال الله تعالى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وروي
سليمان بن عامر قال كان بين معويه وبين الروم عهد
فسار معاويه في ارضهم كانه يريد ان يغير فقال له عمرو بن
عبسة سمعت رسول الله صلعم يقول من كان بينه وبين قوم
عهد فلا تحل عقده ولا يشدها حتى يمضي امدها او ينبذ
اليهم على سوآء قال فانصرف معاويه ذلك المقام وقال
بعض الحكماء الغدر يسرع الى الهلك ويفضي الى الملك
وكان يقال سمين الغدر مهزول ووالي الغدر معزول و
جيش العدوان مغلول وبنيان الطغيان مثلول وكان
يقال لكل عاثر راحم الا الغادر فان القلوب تجمعه على الشماتة
بمصرعه وقال حكيم لبعض ملوك زمانه اوصيك بخمس خصال
ترضي بهن ربك وتصلح بهن رعيتك لا يؤمنك ارتفاع
السهل اذا كان المنحدر وعرا ولا تعدن وعدا ليس بيدك
وفاؤه واعلم ان الامور متعاقبة فكن على حذر واعلم للامور
جزآء ومكافاة فاتق العواقب واياك والغدر فانه

اقرب الاشياء صرعة واوصى ابو مسلم الخراساني قوما
بعثهم الى منازلة قوم عدو لهم فقال اشعروا قلوبكم الجرأة
فانها سبب الظفر واكثروا من ذكر الضغاين فانها تبعث
على الاقدام والزموا الطاعة فانها حصن المحارب واحذروا
من العثرات الغادر مصروع ويحكى ان موبذان قال
لفيروز ملك العجم لما عزم على نقض العهد الذي كان بينه
وبين الخشنواز ملك الهياطلة وخروج الى بلاده ايها الملك
ان الرب تعالى يمهل الملوك على الجور ما لم يشرعوا في هدم
اركان الدين فاذا شرعوا في ذلك لم يمهلهم وان عهد الميثاق
من اركان الدين فلا تنقضه فلم يلتفت اليه فيروز وخرج
لطالب الخشنوار فهزم جيشه وقتله واستولى على بلاده وقد
اوضحنا في هذا الباب من رذائل الاوصاف الذميمة والاخلاق
اللئيمة ما احتمله كتابنا هذا ولنختمه بذكر عوارض ردية ربما
عرضت للملوك او بعضها فاضرت بهم في خرجتهم عن حدود
الاعتدال وهي ثلثة اعراض **العرض الاول والثاني**
الهم والغم اعلم ان هذين العرضين اذا طرا واشتد افراطهما
فانهما يجلبان من الالم والاذى على النفس والجسم ما لا

يمكن

يمكن تلافيه ويؤديان الى التقصير في المطالب والتقصير
في التدبير مع ما تظهر في الجسم من النحول وفي العقل من الذهول
وهذان العرضان لا مندوحة لاحد عنهما ولا بد من
طريانهما في مقابلة الحوادث المؤلمة والنوائب المهمة فالهم
هو ما يتوقع النفس حدوثه وطريانه في الزمن المستقبل
من الامور المهمة والغم هو الكمد للنفس وحزنها على فوات
ما ذهب في الزمن الماضي فينبغي للملك ان يدفع عنه
وجده عند طريان احدهما وينال شيئا من اللذة والسرور
بالاشياء المباحة في الشرع بقدر ما يبلغ مصلحته ويحفظ
به صحته وينبغي ان يكون مقدار اصابته من ذلك ما يحصل
به الاعتدال من غير افراط فيه فان الاكثار من اللهو يحصل
به من الهم لانه يلهيه عن تدبير مصالح المملكة وكان الاعتدال
في ذلك اقسط وقد كان الملك العادل نور الدين محمود بن
زنكي رحمه الله اذا طرى عليه احد هذين العرضين نزل الى
الميدان وشرع يلعب بالكرة والصولجان نهاره اجمع فاذا
جن عليه الليل بسط رقعة الشطرنج وجعل يلعب حتى يغلب
عليه النوم **العرض الثالث** السكر من الشراب اعلم ان

السكر حرام في جميع الاديان وانما اختلفوا في عين المسكر
وقد جمع اهل العقل على قبح السكر مع تحريم الشرايع وهو
من الامراض الرديه المفضيه بصاحبها الى البلايا والاسقام
وقد ذكر اهل الطب ان الافراط من السكر ربما احدث منه في وقته
على صاحبه علة السكتة والاختناق ومثلا بطن القلب
الحالب في الدماغ ويحدث منه في غير وقته الحميات الحاره
والاورام الدمويه والصفراويه وتحدث منه الرعشه والفالج
هذا كله مع ما يجلب على صاحبه من فقد العقل وهتك
الستر وافشاء السر والاشتغال عن درك المطالب
ولا يكاد صاحبه يسوله حال ولا يستقيم له امر في تدبيره ولا
يزال منحط الرتبه عند بطانته مسلوب الوثوق به في اعين الناس
قال الشاعر متى تبلغ الخيرات او يستطيعها ولو كانت الخيرات
منك على شبر اذا بت سكران واصبحت مسحنا خمارا وعاودت
الشراب من العصر واكثر ما ينصب الغوائل والمكايد
للملوك في حال سكرهم هذا كله مع يؤول السكر بصاحبه
في الآخره الى العذاب المهين والنكال الدائم

الباب الرابع في كيفية رتبة الملك واوليائه في حال جلوس

وركوبه

وركوبه اعلم ان ملوك الامم على اختلاف اجناسهم كانت
لهم سنن وآداب تميزوا بها واتسموا بها وتهم بالمواظبة عليها
يضيق كتابنا هذا عن شرحها ولا فايدة في ذكرها لان
الشرع ورد بالنهي عن التشبه بها بل نقتصر في ذلك
على مثال ما رتبه خلفاء بني العباس ومن قبلهم من ملوك
الفرس لينسج الملوك على منوالهم ويحذوا حذو امثالهم
ونذكر من ذلك قدر الحاجه على سبيل الاختصار فنقول
ينبغي للملك ان يحصل جلوس طبقات اعوانه واوليائه
على ثلاث مراتب المرتبه الاولى يجلس فيها الجند والغلمان
الذين ليست مزية لهم على غيرهم المرتبه الثانيه يجلس فيه القواد
المتوسطون الذين قد تولوا الاعمال من قبل الامراء ومن يجري
مجراهم من الطواشيه وغيرهم المرتبه الثالثه يجلس فيه القواد
والاكابر الذين يتولون الاعمال ويخطب لهم على المنابر
وكبراء الحجاب والعلماء والقضاة وهذه المرتبه تسمى
دهليز الخاصه ومعنى هذا الترتيب من الشرف اذا جلس الناس
لا يختلط قوم بغيرهم ولا يعلو احد منهم في الجلسه على من هو فوقه
والسطقهم الحجاب طول جلوسهم فاذا وجدوا احدا جلس

في غير مرتبته اذن موه اليها ويجلس صاحب الحجاب ملاصقا
للوزير والباب الذي يوصل منه الى الملك لانه اول من
يصل اليه ويكون الستر مسبلا على الباب الذي يمسكه البوابون
الخول ولا يطلبونه لاحد لاجل الاطلاع منه الى صحن
الدار التي فيها الملك فاذا خرج الملك مع حاشيته وجلس
على سريره المفروش وقف على راسه الخادم صاحب
الحجاب فيدخل وحده لا يشاركه لكن بعضه حتى يقف
في صحن الدار بين يدي الملك ثم يستدعي الوزير فيتقدم الحاجب
يمشي معه الى ان يقرب من السرير فيتقدم وحده وزحفه الحاجب منه م
افرادا لما يعامل به سائر الناس من التقدم معه
فيخدم الملك ثم يقف على يمنة السرير على نحو خمسة اذرع
منه ثم يدخل امير الجيش بعده ويمشي معه الحاجب كما فعل
بالوزير فيخدم الملك ثم يقف على يسرة السرير ثم يدعى
بالحجاب فيدخلون وبالخدم الروس الاستاذين فيدخلون
ثم يدعى بالامراء القواد فيوصلهم الحجاب ويقفون على
مراتبهم يمنة ويسرة على حسب محلهم وموقعهم من الاختصاص
ولا يتقدم احد على غيره ثم يدعى بالعلماء والفقهاء

والقضاه

والقضاة فيجلسون دون الوزير على يمنة السرير ثم يدعى رؤسا
المتطببين فيقفون بارزين فاذا احتيج الى مسالتهم عن
شي بعد موالاة الملك عند خروج الناس ثم يدعى بالغلمان
والجند ومن حضر الدار ويقفون بارزين صفا فوق اخر خلف
الناس ثم يخرج الناس على طبقاتهم بعد وقوفهم ساعة وبعد
يلحظهم الملك ويثبت بعد حضورهم ويعرف من تخلف من خدمهم
وليحذر كل من وقف بين يدي الملك ان يتسار اثنان
او يتحدثان ثم يتخلف الوزير ساعة طويلة وقد تنحى صاحب
المذبة الكبيرة من موضعه الى ان يفرغ مما يحتاج الى ذكره
ويأخذ الوزير المذبة الصغيرة فيذب بها ويكون صاحب الحجاب
واقفا بالبعد من السرير بحيث يستدعي اذا احتيج اليه ثم يخرج
بعد ذلك الوزير ومعه الحاجب فيجلسان في الديوان وينظران
في اعمال الملك المهمة وحوائج داره ويرجع الناس الى مراتبهم
واعمالهم واذا قدم الحاجب احدا من الاولياء لتقبيل اليد
او الخدمة مشى محاليا سيفه وقدمه بعضده الايسر ويكون
يد الحاجب اليسرى على سيف المتقدم فاذا قبل يد الملك
اخذه الحاجب وتسلمه من الحجاب الاقرب منهم فالاقرب الى

منهم الاقرب الى ان ينتهوا في رتبته واذا اراد الملك ان
يركب في موكبه فسبيل جميع الناس ممن ذكرنا ان يمشوا بين
يديه واسلحتهم مشهورة الى ان يصلوا الى مواضع الركوب فيركبون
وقد تقدمهم قطعة من الحجاب قدام الموكب يطوفون ويمنعون
احدا من سلوك الطرقات ويكون الجنائب الخاصة قدام
الموكب يختص منها ما اراد وكذلك اصحاب الجوارح وكلاب
الصيد واللهو ويتقدمون الموكب ثم يسير خلفهم الحجاب
ونوابهم يتصفحون الموكب ويترددون فيه فيمنعون احدا
من لعاته المرور في خلاله ثم يسير صاحب الحجاب قدام الملك و
بينه وبين الملك مقدار ما ان ناداه او استدعاه سمعه ويتبعه
الملك ويكون الوزير وراءه فاذا استدعى صار بيده على موكب
الملك يخاطبه ولا يكلف الملك ان يلتفت اليه بعنقه
فاذا استتم كلامه رجع الى ورائه ويكون خلف الوزير وجوه
الخدم والرؤساء وساير طبقات الاولياء ثم يتبع ذلك نقال
الشراب والات المرمل ويكون بارزة بحيث ترى ولا يزحمها
الموكب ويكون معها بغال الكسوة فيها خلع معدة ويكون
معها بغل عليه صندوقان يعد فيهما ما خف من الاطعمة

مثل

مثل الاوساط واللعانات والاقراص ونحو ذلك ويكون خلف
الخزانة خادم الجوايز والصدقات ومعه عيبه فيها صرار فيها
من خمسة دراهم الى مائة الف درهم فاذا الملك بمبلغ دفعه وارسله
الى صاحبه ويكون في الموكب العلماء والفقهاء والقضاة
والمؤذنون يسيرون في وسط الموكب لئلا يلحقهم الزحمة واذا
وصل الملك الى باب من ابواب قصره او متنزهاته التي يسلكها
نزل الحجاب والخدم ومن في الموكب من امراء الجيش وصاحب
الشرطة ووجوه الحجاب ومشوا بين يديه الى ان يخرج من
ذلك الباب ثم يركبون واذا عاد الى قصره ترجل الناس ومشوا
الى ان يصلوا الى المواضع الذي يقف فيه الحجاب ويكون
البوقات التركية والطبول تضرب عند ركوبه ونزوله ولا
ينبغي للملك ان يكثر من الركوب والظهور من قرة فان
هيبة الاسد في قلوب اهل البلد الذين لم يتكرر منهم الرؤيه
له اعظم من هيبته في قلوب رعاة الضان الذين يرونه
كل وقت ولا يطلب اللبث والاحتباس في قصره فان اتباع
الضاريه اذا لم تر منه الراعي بلغت مرادها من الضان

الباب الثامن في بيان فضل المشوره والحث عليها

اعلم ان المشورة عين الهداية وسبيل الرشاد الى الامر
وايضاح المبهم من الاراء ومفتاح المغلق من الصواب
وقد حث الشارع عليها وندب الخلق اليها قال الله تعالى
لنبيه صلعم فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر وقال
الحسن البصري رضه امره بالمشاورة لتستولي الراي الصحيح
فيعمل به وقال الضحاك لما علم الفضل ويعود بها من النفع ولان
ارسال الخواطر النافية واجالة الافكار الصافية لا يكاد
يذهب عنها ممكن ولا يخفى عليها جايز والمستبد برايه بعيد
من الصواب من ذلك وقد كان رسول الله صلعم راس العقل
بعد الايمان بالله تعالى التودد الى الناس وما استغنى مستبد
برايه وما هلك احد من مشورة واذا اراد الله بعبد هلكة
كان اول ما يهلكه برايه وقال صلعم تمحوا عقولكم بالمذاكرة و
استعينوا على اموركم بالمشاورة وقال علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه وقال بعض البلغاء مع الاستشارة
احمد من الصواب بالاستبداد وقال بعض الحكماء نصف
رايك مع اخيك فشاوره ليكمل لك الراي وكان يقال
اذا اشكلت عليك الامور فارجع الى راي العقلاء ولا تانف

من

من الاستشارة وستنكف من الاستبداد فانك ان تسال
وتسلم خير لك من ان تستبد وتندم وقال بعض الحكماء اليونان
اضعف الحيل خير من اقوى الشدة واقل التودد خير من اكثر التعلق
والزلة رسول النقصان المهم واذا استبد الملك برايه عمي عليه الرشد
وقال حكيم من فرس النظر في الامور من الحزم والعزم في الراي
سلامة من التفريط وداعية الى الظفر والتدبر والفكر يكشفان
عن الفطنة ويكشفان عن الحزم وشاورة الحكماء ثبات
في اليقين وقوة في البصيرة ففكر قبل ان تعزم واعزم قبل ان
تصرح وتدبر قبل ان تهجم وشاور مثل ان تقدم وكان يقال
ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ولا حصنت النعم بمثل
المواساة ولا اكتسب البغضة بمثل الكبر وقال عبد الملك بن
مروان لان اخطى وقد استشرت احب الي من ان اصيب
وقد استبددت برايي وامضيته من غير مشورة لان المقدم
على رايه يزري به امران تصديقه رايه [illegible] الواجب عليه تكذيبه
وتركه من المشورة ما يراد به [illegible] انشد بعضهم شعر اذا الامر
اشكل انفاذه ولم تر منه سبيلا فسيحا فشاور [illegible] ستره
اخاك اخا اللبيب النصيحا فربت [illegible] ما فرح الناصحون

وابعد من الزلل رايا صحيحا ولا يلبث المتفقه الرجال
اذا امسوا وان يستهلكها وقال محمد [illegible] الوراق في المعنى
ان اللبيب اذا توفق امره فتق الامور مناظرا وتشاورا
واخو الجهالة يستبد برائه فتراه يعتسف الامور تحيرا وادفع
ثم شاور صديقك في الخطب المشكل واقبل نصيحة صاحب
متنصحا فالله قد اوصى بذاك نبيه في قوله شاورهم وتوكل

الباب السابع في بيان الاوصاف اهل الشورى وحكايات لائقة

اختلف الناس في اصل الشورى هل الاولى ان
يجمعهم الملك على الرأي او ينفرد بكل واحد منهم في المشورة فذهبت
العرب والفرس وملوك الهند الى ان الاولى اجتماعهم في
اريبا دالرأي واجالة الفكر ليذكر كل واحد ما قدحه خاطره
وسنحه فكرته حتى ان كان هناك قدح في الرأي ذكره
وان توجه عليه نقضه وانه لا يسع في الرأي مع اجتماع التوابع
عليه خلل لا ظهر دانتهروا وذهبت الروم وملوك القبط الى
ان الاولى انفراد كل واحد منهم بالمشورة ليحيل فكره ويستجد
خاطره طمعا في الحظوة بصواب الرأي فان التوابع اذا
انفردت استكدها الفكر واستوعبها الجهد واذا اجتمعت

كان

كان اول جزء بالرأي منسوبا وينبغي ان يجتمع في اهل الشورى
سبع شروط عليها مدار المشورة وبها ينتظم شمل الصواب احدها
الفطنة والذكاء لئلا تشتبه عليهم الامور فيلتبس ولا يصح
مع اشتباهها عزم ولا تمام مع التباسها حزم الثاني الامانة
لئلا يخونوا فيما ائتمنوا عليه ولا يغشوا فيما استنصحوا فيه الثالث
صدق اللهجة لينشر الملك بحسن سيرته اليه ويعمل برأيهم فيما اشاروا
به عليه الرابع ان يسلموا فيما بينهم من التحاسد والتنافس
فان ذلك يمنعهم من الكشف عن الصواب الرأي الخامس ان يسلموا
فيما بينهم وبين الناس من العداوة والشحناء فان العداوة
تصد عن التناصف وتحجب عن صواب الرأي السادس
ان لا يكون واحد منهم من اهل الاهواء فيخرجهم الهوى من الحق
الى الباطل فان الهوى خادع الالباب وصارف عن
الصواب السابع ان يكونوا من كبار الدولة ومشايخ الاعوان
لان المشايخ قد حنكتهم التجارب وعركتهم النوائب وقد شاهدوا
من اختلاف الدول ما اوضح لعقولهم صواب الرأي وقد
كانت العرب تقول المشايخ اشجار الوقار ومنابع الاخبار
لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم وقد كان يقال عليك بآراء

مؤنة ملكه الرابع ان يكون لو تبته والعادة المهوى لا
للرأي الخامس استهانته بنصايح العقلاء وآراء ذوي الخلفه
قال كسرى انوشيروان الحزم ذوي الرأي ومن لا رأي له لم
يستشيره عاقل ويطيعه قال الشاعر اذا ما امورا اعورت
لي احتيا لها لا نقض ذا لب وقل مثل قوله اذا ما الامور
عليك التوت فشاور لبيبا ولا تعصه وقال ابو الفتح البستي
مؤنة لا تستشر غير ندب حازم يقظ قد استوى منه اسرار و
اعلان فللتدابير فرسان اذا ركضوا فيها اتروا كما للحرب
فرسان وللامور مواقيت مقدرة وكل امر له حد وميزان فلا
تكن عجلا في الامر تطلبه فليس يحمد قبل النضج بحران وسنختم
هذا الباب بثلاث حكايات موضحة لما نحن بصدده الحكاية الاولى
قيل ان كسرى انوشروان وصفت له ارض من التخوم والماء
وكثرة العمائر وحصانة المعاقل ووصف له ملك الارض
بعظم الجوم وبلادة الفهوم وشجاعة النفوس وقوة الآن
والبصيرة على ملازمة الطاعة لملكهم ولين العباد فرمت نفس
كسرى الى تملك الارض وسال عن ملكها فاخبر انه
غلام من الاراكنة وانه شاب منقاد لشهوته مقبل على

لذته اللاه رعيته قد انزبت قلوبها ودة وانصرفت ميالها
الى ما عنده قال فجمع كسرى وزرائه واعلمهم ان نفسه تايقة الى
تملك تلك الارض وعرفهم صفات الاركن واقبال رعيته
على طاعته ومحبته فاجتمع رأيهم على ان ينتدب الاستفساد رعيته
ذلك الاركن رجالا يحسنون نصب الدعوات وقلب
الدول قال فحضر رجالا من دهاة العجم ونساكهم وامرهم
بالاموال ونصب لهم مثالا يحدون عليه فنفذوا لما امرهم
وتفرقوا في تلك المملكة واعجل لكل منهم قوته فيما انتدب له واحكموا
امرهم في عامتهم ونشروا الدعوة في مدينة الاركن وغيرها من
قراه ورساتيقه ومعاقله وثغوره واستمالوا قلوب الرعية الى
كسرى ثم كتبوا بذلك الى كسرى ما حضر المرزبان الذي يلي تلك
الارض وامره ان يتجهز اليها بخمسين الف فارس سوى
اتباعهم مكتب الى الاركن ويحرضه فيه فانتبه الاركن
من غفلته وبحث عنه الا وقف على حقيقته كان اول مكنته
بدوره على خمسة رجال اربعة منهم هم وزراؤه وجلساؤه وخامسهم
والي من رئيس الزمانة الذين يأخذون عنه الذين و
كان حكيما عالما قال فجمعهم الاركن واطلعهم على ما انتهى اليه

من فساد الرعية وتجهيز جيوش انوشروان الى جهتهم وامرهم بالنظر في ذلك واعمال الفكر فيه ليخلصوا الى ادارة الراى
فقال احد الوزراء ان ربقة الراى ان يستصلح الملك رعيته
فيهم ابدا بهار عبات وقلوب آمنات فان العدو اذا علم كان
ذلك جنيًا عن الاقدام وان اقدم لقيناه بكل جنة وقلوب
سليمة فقال له رئيس المزامزة هذا الذى كان فساد الرعية
او جبه جور وعسف سيرة فيها الحكم العف دبا ناجه علته
واثماف دسولانا اورده عليهم الجهل بمواقع الصواب
والبطر ترادف النعم وقد قيل اربعة اذا افسدهم البطر لم تزدهم
التكرمة الا فسادا الولد والزوجة والخادم والرعية فان هذه
الاربع اذا ما جت لم تزدهم المداراة والرفق الا هيجانا وطغيانا
وانما نعانا نحسم موادها قال الملك صدق الحكيم قال الوزير الثانى
الراى ان نتقرب بمن صلح من الرعية ثم نفسد منها حتى يرجع
راغمة منقادة ثم نلقى عدونا بمن لا نخاف دخله فقال رئيس
المزامزة هذا انفع بعد ذلك من جيشه وادعى الى الطاعة
من دعاته لانا نعلم ان رعيتنا لا تخلو من عاقل محروم لم
يمنعه من سل سيفه الا الخوف واذا فعل الملك ما اشرت به

فقد

اباحه سل سيفه واذا سله ما يسله لنا انما يسله علينا ويتبعه
الجمهور بما قد طبعوا عليه من حب الملوك والتعصب للضعفاء
وقد قيل اربعة من استقبلها بالعنف والردع فى اربعة احوال
ملك بها الملك فى حال غلمته والرعية فى حال هيجها وقالت
الحكماء انه شىء يردع العامة عند هيجها معاناة الحديث
فى حال انبعاثه الى سطح الجد ما الاطلة الرادعة فقال الملك
الملك صدق الحكيم قال الوزير الثالث الراى ان يطلب
الملك بتعيين من فسدت طاعته بالامنية التقاء من الحوادث
فاذا تعينوا عوملوا بما تقتضيه احوالهم من قلة او كثرة
فقال رئيس المزامزة ان البحث الآن عن هذا خطر لانه لا آمن
ان يفطن له واذا فطن له خاف المريب فحذر ثم لا يخلو امره
بعد ذلك من حالتين اما ان يتحرك الى جهة عدونا فيقصده
بالنصائح والدلالة على العورات ثم يقاتل معه على بصيرة
ليبيت للعدو لانه يطلب العود الى وطنه واهله وماله واما
ان ينفصل عنا ولا يرهبنا بل يكاشفنا بالعداوة ويتكثر
علينا بالكثير من الرعية فينصرونه علينا وان لم يكونوا
على مثل رايه لان فى الرعية من اعتقده الحرمان ومن اعتقده

يخصمهم والبليغ كان يحجم
والعليل كان يرمى

التي ذيب وجمهور الرعية يتعصبون على الاجناد
لانهم لم يعدموا منهم اذى واستطالة فانهم سومحوا افسدوا
المملكة وان قصد المسيء بالعقوبة خاف البريء ان يتعدى العقوبة
اليه فانحاز الى المسيء لعلة المشاكلة له ولو كان عدوا له كما
ان الكلبين اذا تهارشا فرايا ذيبا تركا التهار
رشهما وتحققا على الذيب وان كان ... في الخلقة لكنهما
يتعاديان فيصطلحان عند النغو ون عليه وكذلك العامي
لا ينظر الى الملك من حيث حكمته في الخلق الانساني بل
ينظر اليه من حيث نفوذه وانفته وعلو همته وجرائه و
شجاعته وكثرة ماله فينافره ويانف بالعامي الذي هو
في كل جهله وطبعه وغير ذلك من اخلاقه للذين فيحمله حمقه
وجهله على الخروج من واجب الطاعة فيكون اذوه في الرعية
انفذ من امر الملك في الجند وقد قيل ثلاثة ان كاشفتهم بامتحان
ما عندهم في ثلاثة احوال تحتهم احدهم المؤدب لك اذا امتحنت
ما عنده من العلم في حال تاديبك الثاني صديقك اذا
امتحنت ما عنده من البذل في حال فاقتك الثالث
زوجتك اذا امتحنت ما عندها من محبتك في حال كبوتك

وامتحان

وامتحان الرعية في هذه الحال اشبه شيء بما ذكرناه وقد قالت
الحكماء ان للدولة امراضا يخاف عليها ان تموت بها
اخطرها اربعة اشياء ما يعرض للملك من الكبر وما يعرض له
من الغضب فان دولته في هاتين الحالتين تسقط بخروجه
عن حد الاعتدال في السياسة والثالث ما يعرض له من
الحرص فانه اذا حرص عسف وظلم والرابع تهيج الرعية
فقال الملك صدق الحكيم قال الوزير الرابع وكان اوسعهم علما
وافضلهم رايا الى واضحابي كاصابع الراحة في حاجة بعضها
الى بعض وقوام بعضها ببعض وكل ما يستمد من نور عقل
الملك ونظره الينا استمداد النجوم الدراري من نور الشمس واني ارى
غير ما راه اصحابي لا مترفعا عليهم ولا عائبا لارائهم لان
العقول والرد الى الملك لا الى غيره فان اذن الملك ذكرته
فقال الملك قل ايها الوزير الناصح فلك ولاصحابك عندنا
الثقة بكم والكرامة لانكم في المحن صحة لنا والاراء الينا كالحواس
الخمس للقلب فسجدوا له ثم رفعوا رؤوسهم فقال الوزير ان
الرعية قليلة النظر في العواقب غير متحفظة من المعاطب
وقد دب فيها سم الفساد ومكاشفتها الان خطر

والتطرف بها ومن في الملك والعدو قوي الطمع شديد الحرص
متشعر بالبطر ولا يرضيه الا التغلب ولا مندوحة له عن
محاربته فان راى الملك ان يصرف همته اولا الى الاستظهار
باتخاذ معقل حريا من فيه على اهله وخاصته وذخايره
ومن حصل نيته من رعيته فان اتخذ في مملكته معقلا منيعا
يطل على سائر الارض اطلال زحل على الكواكب وتمنع منيع ذلك
لو تيذ الهوى فرات الما وقد كان بعض اسلاف الملك
اثر فيه آثار الحكمة فان راى الملك ان يتم به سبلغه ثم يودعه
ذخايره ويجعله للاتي منه استظهارا يلتقي عدوه ان اقدم على
بلاده فان ظهرت خيانة انصاره الجا زبا ولياته الى
ذلك المعقل والزم نفسه الصبر وانتظر الفرج فصدق الملك
براى الوزير ووقع اجماعهم على ترجيحه ثم ركب في خاصته وحماته
حتى اتى ذلك المعقل فحشد اليه الاعوان والزمهم الاسراع
في اكمال بنائه وبادر من فوره فنقل اليه خاص بيوت امواله و
نفايس ذخايره ونحا الى سلاحه وشحنه بالاقوات والاطعمة
ومع ذلك ليستد الثغور وان المرزبان افتتح اطراف بلاده
بالجيوش المتوافرة ونازل الثغور وظهرت دعاة كسرى في

تلك

في تلك الناحية فيمن استمالوه من اهلها فظهر المرزبان من
نازلة ثم جعل يطوف بلاد الاركن لا يمتنع عليه مرام حتى
وافته جنود الاركن قد افضته بعض المدافعة فانهزم من قد ثبت
نيته في الاركن وانهزم المناصحون بانهزامهم واستولى المرزبان
على تلك الارض والجا الاركن واتباعه المناصحون الى
ذلك المعقل فاحدقه المرزبان حتى اشرف على معقله فرآه
منظرا رايعا ومعقلا مانعا لم يمكنه النزول بساحته فرجع
من فوره الى البلاد وقولى فيها الولاة والعمال واستقامت
المملكة للمرزبان ثم ان اعتام الوس جعلوا يعاملون اهل
الهند بها بالقسوة والغلاظة ويبعثون بهم ويسخرون
منهم فبدت الشحناء في النفوس وراى اهل الهند انه لا خراج
بلادهم لحل ويصرف الى غيرهم وقد جعلوا تحت حكم الاعاجم فداخلتهم
الغيرة والحمية ثم وقفوا افضل ما كان وافيه ونشته ما صاروا
اليه فبسطوا السنتهم بالتسخط وتوقف المرزبان عن دعهم
ليلا يوحشهم فكان ذلك سببا الى زيادته واما الاركن فان وزره
اشاروا عليه بالبطش وكف الاذى وبسط العدل والاحسان
وبذل المال والصفح عن المجرم وتالف المتوحش فكانت

سمعته تزداد حسنا والنفوس اليه ميلا والالسنة شكرا
والمرزبان بعكس ذلك واتفق ان غلاما من غلمان المرزبان
على بعض الثغور اساء السيرة فقام اليه ناسك من نساك
الهند يعظه فغضب عليه وامر بقتله فثار اهل البلد
على العامل فقتلوه فبلغ الخبر الى المرزبان فجاء بجنوده فانحاز
اهل تلك الناحية الى حصن الاركن ثم ثارت الهنود في
البلاد على ولاتهم من العجم فقتلوهم وخرج الاركن من حصنه
فجمع اليه اهل البلاد وسار المرزبان راجعا الى بلاده لما قامت
عليه الرعية وخرج من تلك المملكة وعاد الاركن الى دار مملكته
يجري على سنن العدل قامعا للشهوات باذلا المراحات
متعلما ما افادته التجارب من الآداب حتى بلغ اجله **الحكاية**
الثانية قيل لما عزم الامين على انتزاع العهد بالخلافة
من جهة المامون وكان المامون امير خراسان كتب اليه الامين
يستدعيه ويذكر حاجته اليه وانه يريده لامر مهم تضيق عنه
الكتب وان جواسيس المامون وعيونه ببغداد كتبوا اليه
يخوفونه ان اخاه الامين يريد تحويل الخلافة عنه الى ولده
موسى الناطق فاطلع عليه المامون خاصته على الخبر واستشارهم

في امره فاشاروا عليه ان يثبت مكانه وينتظر الفرج ويبعث
الى اخيه يعتذر اليه ويتعلل بالعلل ففعل ذلك فعلم الامين بحين جهاز
باخيه حجاز وولاه خراسان وجمع معه جمهور خراسان

فخرج على بن عيسى بالجيوش فارس اجمعوا وعلم
فبلغ ذلك الى الى مون لمثل امامها
انه انه عن مقاومته فاضطرب الى
بعث اليه على بن عيسى امره فعارضه
بان وزراءه محبتهم له ركب احد ودب
يشاور يتق شيخ تدبيرهم اه بالعارضة قل نظر
في الطر مه و مجوسي قد رق له وره
من ه من كبره فناه الذي هو يستاذن
المامون يقصنا بصيرته مطلعا ادخل عليه الحجاب
ان يحمل الى وابه كبر سنه
قاصده على خل عليه الى الموضع
ويد بعد

ولما استوى المامون ووزراءه في ذلك الموضع ادخل عليه ذلك
الشيخ المجوسي فامره بالجلوس في حاشية المجلس ثم اقبل

على خاصته واخبرهم بما انتهى اليه من امر علي بن عيسى وامرهم
بادارة الفكر في الراي في ذلك وهو يظن ان ذلك لا يحسن
المخرج منه فقال احد الوزرا الراي اصطناع اجناد من اعتام
الوثن لا يعرفون علي بن عيسى فيلتقاه بهم قبل دخوله ارض
خراسان فقال الوزير الثاني الراي ان يبادر بالارسال
الى اخيك معتذرا ومتنصلا مما يريده منك اليوم ومستنظرا لصنع الله
تعالى في غد فانك مكره على الخروج من عهد الخلافة اكراها
لم يخف على احد من الناس فهو حق لك متى امكنك طلبته
وكنت فيه على حجة ظاهرة قال الوزير الثالث الراي ان تجمع من
يثق بولائه من ذوي النجدة والشجاعة فترحل عليهم فتقصد بهم
بعض هذه الممالك الكافرة المجاورة لنا فتقصد فيهم القتال فلعل الله
تعالى ان يظفرك بهم فتصير بهم الى مملكة منيعة توددنا وتوقع
الينا من كان على مثل امرنا فتمتنع فيكا حتى ينقضي الله امره
قال الوزير الرابع الراي ان تتجاوز الى ملك الترك مستجيرا به
ومستعينا على اخيك الغادر فهذا امر يزيد الملوك قد ذاقها
ما لا قبل لها به فلما سمع المامون كلامهم جميعا قال لهم قوموا
اعين الناس حتى ننظر فيما ذكره كل واحد منكم ثم انه التفت

الى الشيخ

الى الشيخ فناداه ورفق به وساله عن حاجته فقال بالعربية
اني جئت لحاجة فوصل الى ما سواوكد منها فقال له المامون
تكلم بما في نفسك قال ايها الامير لا تصد عنك حقارة قدري
فان الدرة النفيسة لا يزري بها حقارة الغواص فقال
له المامون ما بنا عندك ايها الشيخ رغبته فتكلم بما عندك
قال اني سمعت ما اشار به القوم عليك وكل منهم يجتهد
في الاصابة واني لست ارضى شيئا مما قالوه واني وجدت
في الحكم التي احدثها اباني عن ابائهم انه ينبغي للعاقل اذا دهمه
ما لا قبل له به ان يلزم نفسه التسليم لاحكام الحكيم ويحسب فعل
وقاسم الحظوظ ولا يترك مع ذلك الدفاع بحسب طاقته فانه
ان لم يحصل على الظفر حصل على العذر فقال له المامون
ان هذا الرجل الذي هو قاصدنا املك منا للبلاد ولا يمكننا
مقاومته قال الشيخ ينبغي ان تجد مع هذا من نفسك ولا تصغي
الى من ينطق به فانه ما اكثر من كثرة البغي ولا اقوى من قوة
الظلم وان اخاك ظالم لك باغ عليك فهو هالك لا محالة وانت
منصور عليه ظافر به ومن حدثك حديثا ان خلوت
منا له نلت منا له فقال المامون هات يا شيخ قال ان الحنوز

ملك الهياطلة لما اسر فيروز بن يزدجرد ملك الفرس اراد اطلاقه
اخذ عليه عهدا ان لا يغزو بلاده ولا يقصده بمكروه ولا
يتعرض اليه بسوء ووضع في اقصى تخوم ارض الهياطلة صخرة
واوثق فيروز ان لا يتجاوزها احد منهما تلك الصخرة بجيش ولا
بمكروه لصاحبه ثم اطلقه بعدما اوثق منه اخشنوار بالعهود
فلما وصل فيروز الى دار ملكه داخلته الحمية والانفة وعزم على غزو
اخشنوار وعلى اخذ بلاده واستيفاء ثاره فجمع وزراءه وشاورهم
في ذلك فحذروه النكث وخوفوه عاقبة البغي والغدر فما ردعه
عما عزم عليه فذكروه ايمانه التي حلفها لاخشنوار والصخرة التي
بين المملكتين فقال لي عاهدت بان لا اتجاوزها بجيوشي و
انا اذا بلغتها حملتها على فيل بين يدي جيوشي فلا اكون ناكثا
ولا غادرا فلما سمعوا ذلك منه علموا ان الهوى قد وقع به على
حد الرضى بهذا القول والتأويل فامسكوا عنه ثم ان
فيروز جمع مرازبته وهم اربعة مع كل مرزبان منهم خمسون الف
فارس وامرهم بالتجهز لحرب اخشنوار ملك الهياطلة فلما فعلوا
ذلك سار بهم فيروز وظن ان جيوشه لا غالب لها لكثرتها
وشدة شوكتها فعارضه موبذان موبذ في طريقه فقال

الملك لا تفعل فان رب العزة وخالق العالم لم يمهل الملوك
على الجور ولا الظلم اذا اخذوا في هدم اركان الدين وان
العهود من اركان الدين فلا يتعرض له بسوء فيهلك فلم
يلتفت الى كلامه وسار راكبا هواه في معصيته ومخالفة
نصحائه حتى انتهى الى الصخرة التي جعلها حاجزا بين ارضه و
وارض اخشنوار لما بلغه مسير فيروز اليه حمل نفسه على التثبت
وفوض امره الى الرب الاعلى وسأله ان يغضب لعهوده و
مواثيقه التي لم يرع حقها فيروز ولا خاف تبعة نكثها واخذ
مع ذلك بالحزم في سد ثغوره وجمع جنده ثم خرج الى فيروز بعد
ما توسط ارضه وعاث في بلاده ففاجاه اخشنوار وصدقه
الحملة فكشف فيروز منهزما واصطلم ما كان بيده وقتل اخشنوار
رجاله وغنم امواله وامعن في طلب فيروز فظفر به وقتله واسر
اهل بيته وحماة اصحابه واستولى على بلاده كل ذلك بسبب الغدر
ونقض الميثاق وكذلك سبب اخاك بغدره بك ونقض
ميثاق ابيك وانت ظافر به لا محالة قال فلما سمع المأمون
كلام الشيخ تهلل وجهه وطابت نفسه فقال قد سمعت مقالتك
مصادفت منا قبولا وشكرا عليها ثم امر بحباه واكرمه

وعمل برايه فالجح الله عمله وبلغه من الخلافة امله   الثالثة
ان عبد الملك بن مروان لما ندب الناس لقتال عبد الله
بن الزبير وخرج بالجيش متوجها الى مكة شرفها الله وعظمها
وكان قد استصحب معه عمرو بن سعيد بن العاصي وكان عمرو
وقد انطوى على دغل نيته وفساد طويته وتطاعيه ونيل الخلافة
فلما كان ببعض الطريق تمارض عمرو بن سعيد واستاذن عبد
الملك في العود الى دمشق فاذن له فلما دخل دمشق صعد المنبر
فخطب الناس خطبة نال فيها من عبد الملك ودعا الناس
الى خلعه من الخلافة فاجابوه الى ذلك وبايعوه واستولى
على دمشق وحصن صورها وحمى ثغورها وبذل الرغايب ثم
اتصل الخبر الى النعمان بن بشير امير حمص فنزع يده من الطاعة
ايضا وكذلك نايل بن قيس ملك فلسطين وكذلك صنع
زفر بن الحارث امير قنسرين ثم تشوق اهل الثغور للخلاف فبلغ
ذلك عبد الملك بن مروان فخرج على وزرائه واهل خاصته
فاطلعهم على ما بلغه وقال هذه دمشق دار ملكنا قد استولى
عليها عمرو بن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير قد استولى على الحجاز
والعراق واليمن وهذا النعمان بن بشير امير حمص وزفر امير

قنسرين ونايل بن قيس امير فلسطين قد نزعوا ايديهم من
الطاعة وبايعوا الناس لابن سعيد وقد تشوق اهل
الثغور للخلاف فما عندكم من الراي قال فلما سمعوا مقالته
ذهلت عقولهم ونكسوا رؤسهم فقال لهم ما لكم لا تنطقون
فهذا وقت الحاجة اليكم فهل ترون الرجوع الى دمشق اصوب
ام التوجه الى ما خرجنا اليه احزم ام اللحاق بفلسطين اجود ام
النزول على حمص واستنزال النعمان منها اكرام الانحياز في هذا
الوقت الى مصر ثم كيف ترون الراي فقال له افضلهم لا راي
عندنا في هذا والله لقد وددت ان اكون حجرا على عود من
اشجار تهامة حتى ينقضي هذه الفتنة قال فلما سمع عبد الملك
كلامه علم انه لا غنى له عندهم فقام عنهم وارسل يلزم موضعهم
ودخل من فوت منفردا وهو يقول   لتكاثرت الظبا على خداش
فما يدري خداش ما يصيد وامر جماعة من اصحابه ان يركبوا مبتعدين
منه بحيث يرون اشارته اذا اشار اليهم وسار ثم تبعه القوم فلم
يزل سايرا منفردا حتى لقي شيخا كبير السن ضعيف الجسم منحني
الظهر من الانحناء فسلم عليه عبد الملك ثم قال له ايها الشيخ
الك علم بمنزل هذا العسكر فقال بلغني انهم نزلوا بارض كذا وكذا

مسلكنك بالحيلة فيها انا اقول لك فيما سألتني عنه قول المقتضي به
حكمك وان كان الخطب عظيما قال عبد الملك لا ارجو ان يرشدك
الله ويرشدني بك قال الشيخ ان عبد الملك خرج لمحاربة عبد
الله بن الزبير فظهر من مشية الله تعالى ما صده عن ذلك واني
مشير عليك ان تعتقد حال عبد الملك فان رايته قد قصد عبد الله
بن الزبير فاعلم انه مخذول لا محالة لانه يلج في طلب ما منع منه وان
رايته رجع من حيث جاء فارجو له السلامة والنصر لانه مستقبل
فقال له عبد الملك ايها الشيخ اوضح لي ما ذكرت لينطبع في
فهمي صورته قال الشيخ ان عبد الملك اذا قصد عبد الله بن الزبير
كان في صورة ظالم له لان ابن الزبير لم يعطه قط طاعة ولا وثب
له على ملكه فاما اذا قصد عمرو بن سعيد فانه يكون في صورة
مظلوم لان عمروا رجل من رعيته طلب الخلافة واغتصب
دار ملك لم تكن له ولابيه بل كانت لعبد الملك ولابيه ثم ان
عمرو بن سعيد ظالم له من وجه آخر وذلك انه ابن عم عبد الملك
وعن عبد الملك عهد له وكان محتاجا اليه فلما خرج عبد الملك
لتشديده نصيب عمرو بن سعيد منه اوفر حظ غدره و
نكث عهده وخذله ثم سعى في اجتثاثه من اصله وشمت به

قال فهل بلغك شيء مما يقول الناس في امر الخليفة قال فما
سؤالك عن ذلك قال لاني اريد اللحاق به والدخول عليه
وقد سمعت ان عمرو بن سعيد قد خالفه الى دمشق واستولى
عليها فقال الشيخ اني اراك اديبا واحسبك حسيبا فهل
يجب ان انصح لك قال نعم ايها الشيخ قال ينبغي لك ان تصرف
نفسك عن هذا الامر الذي ترغب اليه فاني لا امن للذي
انت قاصده قد الحلت عرى ملكه وتداعت اتباعه واضطربت
اموره وان السلطان في حال اضطراب اموره كالبحر في حال تموجه
لا ينبغي ان يقرب احد منه فقال له عبد الملك ان الحيلة
لم تبلغ بي في مغالبة نفسي في كل ما ترغب اليه واني اجدها
متنزعة الى صحبة هذا الامر نزعا شديدا ولا بد لي من ذلك فهل
لك ان تخبرني بما ترى من الراي في تدبيره لهذه الخطوب التي
دهمته حتى احض ذلك الراي عليه واتنفق به عنده فلعلي ان
اكون سببا لتقربي منه فقال الشيخ ان حكمة الله تعالى وعزته
لتقتضيان حجب العقول والآراء عن النفوذ في بعض
النوازل واني لاظن ان هذه النازلة التي نزلت بالخليفة
من النوازل التي لا ينفذ فيها الراي واني اكره مع ذلك

ان ارد

عدو بما تم رجوع عبد الملك الى دمشق استقالة فهو شبه
بالتفويض والتسليم لامر الله تعالى ولا شك انه يظفر
بمن خانه وبغى عليه ونقض عهده فان الباغي مصروع
واذا ظفر به استقال النعمان فر وقر من عمد العاصي من اهل
الثغور ورجعوا الى الطاعة عند معاينة الظفر بهم وبن سعيد
قال فسر عبد الملك بمقالة الشيخ وعزم على اتباع ما راه وقال
له جزاك الله خيرا يا شيخ فقد احسنت فيما اشرت في خبرني بالسمك
داير منزلك فقال الشيخ وما تريد من ذلك قال لاقضي
حقك فارفع الي حوايجك فاني انا عبد الملك فقال الشيخ و
انا ايضا عبد الملك فهلم بنا نرفع حوايجنا جميعا الى من انا
وانت له عبدان ثم تركه الشيخ وانصرف فانصرف عبد الملك
الى منزله وشرع في ان يعمل براي الشيخ وعمل به فانجح و
بالله التوفيق **الباب العاشر في معرفة اصول السياسة**
والتدبير اعلم ان الملك العظيم يحسن به ان يكون في
تصاريف تدبيره وسياسة اموره متشبها بطباع
ثمانية ومنها الغيث فانه ينزل متواترا في اربعة اشهر من السنة
فيساوي بين كل اكمة مشرفة وموضع منخفض ويعم كل من جانبه بقدر

موضوع

في ارتفاعه وهبوطه فيخرج من تلك البقاع وما تحوي منه نباتها
في الثمانية الاشهر الباقية من السنة وكذلك ينبغي للملك ان
يعطي جنده واعوانه في اربعة اشهر للثمانية اشهر الباقية
فيجعل رفيعهم ووضيعهم في الحق الذي يستوجبه في القسمة بينهم
على حسب ما يراه من المصلحة على قدر مراتبهم كما يستوي الغيث بين
بقاع الارض واما الشمس فانها تستقصي نحو ما وحده وقعها في
الثمانية الاشهر الباقية نداوة الغيث الذي تواتر في اربعة
اشهر وكذلك ينبغي ان يستقصي قبض ما حل من خراجه في الثمانية
الاشهر الباقية من السنة واستيفاء جميع حقوقه من رعيته
من ثمرة غلاتهم وماشيتهم وغير ذلك من الحقوق الواجبة له
عليهم كما تستقصي الشمس نداوة الغيث من الارض وامارة فانه اذا طلع
لتمامه انتشر نوره على الخلق وانس الناس لضوئه واشراقه
واستوى في ذلك القريب والبعيد وكذلك ينبغي للملك ان
يكون بهجته ورتبته واشراقه في مجلسه وايناسه لرعيته به
وعدله مثل القمر في طلوعه واشراقه فلا يخص شريفا دون
وضيع بعدله وايناسه فلا يحتجب عنهم فتظلم احوالهم وتزول
انسهم وتبطل انتفاعهم كما اذا احتجب القمر في الليالي السود

واما الريح فانها تلطفها محيطة بالعالم السفلي وكذلك ينبغي
للملك ان يكون بلطفه وحذق جواسيسه وعيونه محيطا بمعرفة
احوال رعيته وقواده وولاة ثغوره واعماله وحاشيته
وجنده عارفا باخبار اعدائه ونظرائه عالما بما يعملون وبما يأمرون
بالعيون الثقاة والجواسيس الثقاة واما النار فيكون مثلها
في الحدة على اهل الدعارة والفساد واصحاب الشر كما لا يبقي احدا
منهم ولا يذر ولا يترك لهم عينا ولا اثرا واما الماء فانه مع لينه
وسلاسته يقتلع الاشجار العظيمة ويهدم من قاومه بالثباتة
وكذلك ينبغي للملك ان يكون لينا لمن لاينه شديدا على
من خالفه ينصب لاعدائه الغوائل مع لينه ورفقه حتى
يقتلعهم كما يفعل الماء، واما الارض فانها توصف بكتمان السر
والاحتمال والصبر على المكاره وكذلك ينبغي للملك ان يكون
مثلها في جميع ذلك واما الموت فانه يأتي بغتة ويقصم اهل
اللذات على ما هم عليه ولا يقبل ممن نزل به رشوة وكذلك
ينبغي للملك ان يبغت عدوه من حيث لا يشعر به ويقصم اهل
العداوة والدعارة في حال غفلاتهم كما يفعل الموت في
اعلم ان المملكة مثلها مثل البستان فينبغي ان يسوسها الملك

في غالب الاحوال كما يسوس صاحب البستان بستانه
فمن ذلك انه ينتخب اهل الشكيمة من جنده وذوي الشوكة من
اعوانه فيجعلهم في اقاصي بلاده واطراف مملكته ليحفظ بهم
الرعية كما يفعل صاحب البستان فانه يخرج الشجر ذوات
الشوك وما فضل من العيدان فيحيط بها على الشجر المثمرة
والرياحين الطيبة ليمنعها من اهل الفساد والدواب المؤذية
ثم يطهر رعيته من اهل الفساد والزعارة ويخرجهم من بينهم
او يصلحهم باقامة الحدود واظهار السياسة فانه اذا فعل ذلك
صلحت احوال الرعية وانتعشوا وكثر خيرهم كما يفعل صاحب
البستان فانه ينقي بستانه من الحشيش الذي لا فائدة
فيه ويخرج ما فيها من الشوك والنبات الخبيث فينتعش
زرعها وينمو شجرها ويطيب ثمرها ومتى حل خراج الملك او
او تعين له حق على رعيته من اموال الثمار والغلات فلا يؤخر
قبضه عن وقت محله فيكون معرضا للهلاك بآفات الزمان
كما يفعل صاحب البستان فانه لا يؤخر اجتناء ما نضج من
ثمره وما طلع من ورده لانه ان لم يتبادر الى التقاطه سقط
على الارض واحاطت به الآفات وينبغي ان يتعاهدها،

جنده واعوانه الذين ما تواخر خدمته وطاعته ويوضح
لهم من بيت ماله رزقا يقوم بكفايتهم فانهم ارجى للملك
عند بلوغهم وارشد نصحا في خدمته من غيرهم كما ينبغي لصاحب
البستان خوالف شجرة الهالكة بالسقي والتربية لما يرجوه
من خيرها واستطالة ثمرها ومتى تباغض ولدان من
فؤاده وكانا متى ودين وربما نتج منهما او من احدهما ما لا
يمكن الملك تلافيه كما يتوقى صاحب البستان بين الشجرتين
اذا تداخلت اغصانهما لعلمه ان خيرهما لا يرجى ما دامتا
كذلك واعلم ان الرعية وان كانت ثمارا مجتناة وذخاير
مقتناة وسيوفا منتضاة واحراسا مرتضاة فان لها
نفارا كنفار الوحوش وطغيانا كطغيان السيول و
متى قدرت على ان تقول قدرت على ان تصول وهم ثلثة
اصناف فينبغي للملك ان يسوسهم ثلاث سياسات
صنف من اهل العقل والديانة والفضل يعلمون فضل
الملك وطول عنايته ويرثون له من ثقل اعبايه فسياسته
تكون بالترغيب والترهيب تحصل بالبشر عند لقائهم
واستماع احاديثهم وحسن الاصغاء اليهم وصنف فيهم
خير

خير وشر فسياسته مقرونة بالترغيب والترهيب وصنف
هم السفلة الرعاع اتباع كل زاعق فسياسته بهوان
ما خافه غير متيقظه وعقوبته غير منوطه ولا يتحقق ذلك منه
الا ان يكون اغلب وصافه عليه الرحمة للرعية لان
الملك انما يتميز عن السوقة بفضيلتين فضيلة ذاتية
وفضيلة آلاتية اما فضيلة ذاتية فبحسن خصال رحمة
تشد رعيته ويقظة تحوطهم وصولة تذب عنهم وفطنة
يكيد بها الاعداء وحزامة يبلغ بها الغرض اما اذا
امكنه واما فضيلة آلاتية فخفة وفي ووفور امواله
وكثرة اجناده وحصانة معاقله واتخاذ المباني الفو
واعداد الملابس السنية وتحصيل الذخاير النفيسة
ولا ينبغي للملك ان يعتمد على فطنته وقوة حيلته و
كثرة ماله وجنده وحصانة معاقله فيترك الاستعداد
للنوازل والتحكل بما يجوز وقوعه من الحوادث فيكون
مثله كمثل خطيب اعتمد على فصاحة لسانه وقوة بديهته
فترك تزوير القول وترتيبه ثم صعد المنبر فيوشك ان
الحيلة لا قبل نزوله فانه اذا نزل به ضاقت

عنه الحيل فهو في المثل كالسكر الذي يسكر على الارض
التي يخاف غرقها فانه ان عمل قبل وصول الماء اليها
فانه يثبت ويمنع الضرر عنها وان وصل الماء اليها فلا
ينجح حيلته فيه بالسكر انشدني بعض اهل العلم اقدر
بغيرك ان تعنك في اعجبه وانظر وانت من الامور بمنظر
واذا هممت بورد امر فالتمس من قبل مورده طريق
المصدر واذا خاف الملك وجه الكيد الذي به عدوه فينبغي
ان يحترس من مثلها لانه اذا لم يحترس من مثلها كان
بمنزلة الرامي الخاسر في الحرب الذي لا تدبير معه فهو ان
اصاب برميته مستهدف رميه غيره وكذلك الملك
اذا احتال على عدوه بضروب الحيل ثم لم يتحفظ من كل
ما يظن ان يبلغه من عدوه كان عمله مؤنة عليه غير نافع
له في العاقبة وقد كان يقال احترس من تدبيرك على
عدوك كاحتراسك من تدبيره عليك فرب هالك بما
دبر وساقط في البئر الذي حفر وجريح بالسلاح الذي
شهر وينبغي للملك ان ياخذ في ساير اموره بالحزم وصدق
العزم ولا يترك الاحتراس والحذر فقد روي عن النبي

صلواته

صلواته قال الحزم سوء الظن ولا يكون ظنه حقيقة
بل للحذور والاحتياط وقيل لبعض الحكماء ما الحزم
قال ان تحذر من كل ما يمكن وقوعه قيل فما العجز قال ان
تامن مما يمكن وقوعه وقال بعض الشعراء لا يترك الحزم
في شيء تحاذره فان سلمت فما في الحزم من باس العجز ذل
وترك الحزم منقصة واحزم الحزم سوء الظن بالناس
واذا حاول الملك امرا عرض له فليشمر في طلبه عند امكان
الفرصة ولا يتراخى عنه لصعوبة فان وثبة الاسد
على الارنب مثل التي يثب بها على الفيل ومن استهان
الملك بالامر الصغير عاد كبيرا فان القروح التي تظهر في
الجسد اذا استهان بها الانسان لصغرها صارت الى
اعظم العلاج واكثر المداواة انشدني بعضهم ولا تحقرن
عدوا رماك وان كان في ساعديه قصر فان السيوف
تحز الرقاب وتعجز عما تنال الابر واذا وقع الملك في
امر من عدوه يخاف فيه على نفسه وسلطانه فينبغي ان
يعطي بلسانه كل ما يرضي عدوه مظهرا للرفق والانقباض
وهو مع ذلك يكون متيقظا متحرسا للوثبة عليه اذا امكنته

الوصه كالصقر الذى يظهر الرله والانقباض عند صيده
ثم ينقض انقضاضه اذا امكنته الوصه ينال فيها ما
حاجتها وقد كان يقال الحزم التزام مداجاة العدو ما دامت
له ريح هابة ودوله مقبلة كما ان الحزم اضاعة الوصه فيه اذا
ركدت ريحه وادبرت دولته قال بعضهم فى هذا المعنى ولوا
عجزت عن العدو فداره وامزح له ان مازح وفاق فى النار
للماء الذى هو ضدها تعطى العلاج وطبعها الاحراق فان
دهمه امر لا طاقة له به فى امر من امور مملكته واشرف منه على
ان يذهب كله وراى ان يتلطف الحيلة فى ان يرجع اليه
بعضه فليفعل ذلك ويكون رابحا ولا يذهب به الاسف
والانفة والتمادى حتى يذهب كله فيكون مغبونا فان
العاقل اذا اشرف له ابنان على الهلكة وطمع فى نجاة احدهما
لموت الاخر فان نفسه تسمح بموته لنجاة اخيه ولا يداخله الاشفاق
عليهما والجزع فيهلكا جميعا واذا عادى الملك رجلا فلا
يعادى كل جنسه فانه ربما انتفع ببعضهم انتفاعه باهل
مودته فان السيف الذى يقتل بحده ويقطع بمضاربه هو
من جنس الدرع الذى يتحصن به عن مضاربه حد السيف

ولا

ولا ينبغى للملك ان يشتد جزعه على ما فاته وذهب
عنه فان فعل ذلك تعجلت له المساءة بما لا يقدر على استدراكه
ثم يشغله ذلك عن تدبير ما يستانف امره واصلاح باقى
شانه وربما افضى به الحال الى الهلاك فان شدة الجزع
مهلك وقد حكى ان ملكا من ملوك الفرس على سريره
فى يوم نوروز وجعل الناس يهدون له اصناف الهدايا
فدخل عليه الموبذ ومعه طرف مغطى فى هداه اليه فلما كشف
عنه راى فيه تحفتين فقال ما هذا قال ايها الملك ان احدهما
بازى والاخرى دراجة وانى رايت البازى ارسل على
الدراجة فلم يزل يتبعها ومضى يطير بين يديه الى ان انتهيا
الى رجبة(?) قد وقعت فيها نار فحمل الجزع الدراجة على اقتحامها
وحمل البازى الحرص على اتباعها فاحترقا جميعا فرايت
ان خير الهدايا هذه الموعظة فاهديتها لك فاجتنب
ايها الملك الافراط فى الجزع والحرص فانهما سايقان
الى الهلكة فقال الملك ما اهديت لى هدية انفع من
هذه الهدية ومتى صنع الملك بخطايا الراى شيئا
فاصاب فيه فلا يعاودنه ثانيا طمعا فيما ناله اولا

فان من وطئ حية مرة فنجا منها جدير ان لا يتعرض لها
بالوطئ مرة اخرى واعلم ان كبار اعوان الملك ومشايخ
دولته الذين صحبوا اسلافه من الملوك هم اقوى دعائم مملكته
واثبت اركان دولته لانهم وان نزل بهم الزمان بجده فقد
بقى كرم جوهرهم ومحض مودتهم فهم يزدادون في النصح اجتهادا
وفي البؤس صبرا وجلادة ومثلهم كمثل دعائم المنسج للبيت
فانها كلما مر عليها الزمان ازدادت قوة وصلابة حتى ان
الارضة لو جاوزت نقب عود ما لم تنفذ عملها فيها فتكون
البيت بها اقوم واثبت وينبغي للملك ان لا يصحب في اعوانه
كذابا ولا مطبوعا على شر لان الكذاب اذا حدث كذب
واذا حدثه الملك لم يصدقه لما يظن في نفسه والمطبوع
على الشر غير تارك لطباعه لانها املك به فيكون الملك
معه على خطر ولا يطمع الملك في استقصاء جهله ونقلها عن
طباعها فانهما بمنزلة الثور الذي يطعم الدسم والحلاوة ليسمن
جسمه ويحسن وجهه فهو وان سمن جسمه لا يزداد وجهه
الا قبحا ومتى تمكن الملك بضبط اموره ويصول على عدوه
بقوم ليس منهم على ثقة من راى ولا حق ظن فهو منهم

على

اعظم خطرا حتى يكلهم ان استطاع على الراي والادب
الذي بمثله يكون الثقة او يستبدل بهم ولا يغرنه منهم قوته
منهم على نحرهم في نماموا في ذلك كراكب الاسد الذي يهابه
من ينظر اليه وهو لمركبه اهيب ومتى اسرف الملك في توسعة
الارزاق على جنده ابطرهم ومتى ضيق عليهم احقدهم فيكون
في هاتين الحالتين معرضا للهلاك فان الاسباب
التي تجر الهلاك الى الملك ثلاثة احدها من جهة الملك و
هو ان تغلب شهواته على عقله فلا تسنح له لذة الا اقتنصها
ولا راحة فيها الا افترصها الثاني من جهة الوزراء وهو
تحاسدهم المقتضي لتعارض الآراء فلا يبقى احدهم الى
حق الا فنده وعارضوه الثالث من جهة الجند
وخواص الاعوان وهو النكول عن الجلاد وترك المـ صحة
في الجهاد وهم صنفان الصنف الاول وسع الملك
عليهم الارزاق فابطرهم الترف والتنعم وانقادوا للذات
فظنوا بنفوسهم وخافوا عليها عند لقاء الاعداء فمنعهم
ذلك من الاقدام والصنف الثاني قدر الملك عليهم
الارزاق فانطووا منه على حقد وشقاق فنصبوا له

الغوايل والسلوه عند النوازل وينبغي للملك ان يتوقى
اسباب الفتن ونتايجها المقتضيه الى اختلاف الكلمه
والخروج عن الطاعه فيحسم موادها ويقطع اسبابها فقد
قيل ان ملكا من ملوك العجم كتب الى حكيم من حكمايهم يقول ان
الحكماء قد اكثروا من وصف اسباب الفتن بمبانيها
ومعانيها فكتب اليه يقول ينشيها ضغاين وينتجها
الجماع لم يقمعها هيبة وجراه عامه يولدها استخفاف بالخاصه
واكدها وانبساط الالسنه بضماير القلوب وغفلة ايام
ملتذ وتقبضه قوى حزم ولميتها عن الب وذل الملوك
ودركا النعيه وموت الامل وتمكن الرعب فكتب اليه ان
الذي وصفت كما وصفت فان الامور لدفع ما ذكرت
فكتب اليه الحكيم اخذ العده لكل ما يخاف وقوعه وايثار
الجد على الهزل والعمل بالعدل في الرضى والغضب وكتب
عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف ان صف
لي الفتنه حتى كاني انظر اليها فكتب اليه الحجاج ان
الفتنه تلقح بالنجوى وتنتج بالشكوى ويقوم بها الخطباء
وحصادها بالسيف وحكي ان عثمان بن رضي الله عنه

قال

قال يوما لخاصته وهو محصور وددت ان رجلا صدوقا
اخبرني عن نفسي وعن هولاء القوم يعني الذين يحاصرونه
فقام رجل من الانصار انا اخبرك يا امير المؤمنين
انك تطاطات لهم فركبوك وتغافلت عنهم فطلبوك وما
جراهم على ظلمك الا فرط حلمك قال صدقت اجلس ثم
قال له فما تعلم ما سبب نيران الفتنه قال نعم سالت
عن ذلك شيخا باعقه في العلم فقال لي ان الفتنه ينشيها
امران احدهما اثره تضغن الخاصه والثاني علم تجري
العامه قال فهل سالته عما يخمدها قال نعم ان الذي يخمدها
في ابتدايها استقالة العثره وتعميم الخاصه بالاثره دون
غيرهم فاما اذا استحكمت الفتنه فلا يخمدها غير الصبر فقال
عثمان هو ذاك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين

الحادي عشر في الجلوس لكشف المظالم

اعلم ان جلوس الملك لكشف

وقصص المظلومين والفصل بين المتنازعين من اعظم
قوانين العدل الذي لا يتم الصلاح الا به اعانه ولا يتم
التناصف الا به وقد كانت ملوك الفرس يرون ذلك
من قواعد الملك واوتين من افرد للمظالم يوما معلوما

يتصفح فيه قصص المتظلمين من غير مباشرة للنظر عبد
الملك بن مروان وكان اذا وقف منها على مشكل ردّه الى
قاضيه ادريس الاودي فينفذ فيه الحكم وكان ادريس المباشر
عبد الملك هو الآمر ثم زاد ظلم الولاة وجور النواب بعد ذلك
فاحتاجت الحالة الى المباشرة فجلس عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه فكشف المظالم وهو اول من باشر ذلك بنفسه
وجعل يراعي السنن العادلة وردّ مظالم بني امية على اهلها
حتى قيل له وقد شدّد عليهم انا نخاف عليك العواقب
من ردّها فقال ان كل يوم اخافه واتقيه غير يوم القيامة لا
وقيته ثم جلس لكشف المظالم من خلفاء بني العباس المهدي
حتى عادت الاملاك الى مستحقيها ثم جلس لها المهتدي ثم
احتجب الخلفاء لتظاهر الترك وتجبرهم عليهم ودفعوا امر المظالم
الى وزرائهم ولما افضى ملك الشام الى الملك العادل نور الدين
محمود بن زنكي رحمه الله ابتنى له دارا في قلعة دمشق وسماها
دار العدل فكان يجلس فيها يتصفح قصص المظلومين
ويفصل بين المتنازعين ولديه الفقهاء والائمة الذين يرجع
اليهم عما اشكل عليه من امور الشرع ويبيت القضايا و

يفصل

ويفصل كلما انهي اليه في ذلك اليوم وجعل منه السنة في
جميع مدائن الشام حدثني الفقيه ابو طاهر ابراهيم بن
الحسين ابن الحصني الحموي قال كنت عند الملك
العادل محمود بن زنكي في دار العدل بدمشق وقد اخرج
املاك اهل الشام فجعل ينظر فيها فلما انتهى الى ذكر خراج
معرة النعمان قال لي قد عزمت على انتزاع املاك
اهل المعرة من ايديهم فقد رفع الي اهل الخبرة من الثقات
ان جميع اهل المعرة يتعارضون انها لهم فيشهد
احدهم لصاحبه في دعوى ملك حتى يشهد ذاك
معه في دعوى اخرى وان الملك الذي في ايديهم انما حصل
لهم بهذه الطريق قال فقلت له ايها الملك ان الله تعالى
اوجب عليك العدل في رعيتك فانظر واكشف وتوقف
في الامور اذا رفعت اليك فان اهل المعرة خلق كثير
يستحيل تواطؤهم على شهادة الزور وانتزاع الاملاك
من اربابها بمجرد هذا القول لا يجوز قال فاطرق ساعة
ثم رفع راسه وقال اني امسكها عليهم ثم اكشف عنها
بعد ذلك والتفت الى كاتبه وقال اكتب كتابا الى

الى الموالى في المروة يمسك جميع الملك الذى في ايدى اهلها
حتى يستخرج البينة في ذلك فيكتبه ويضعه بين يديه
ليضع علامته فيه واذا اصبح على شاطئ بردا ابيغ و
يقول اعدلوا ما دام ملككم ما فلاح النفع والضرر
واحفظوا ايام دولتكم انكم منها على خطر فانها الدنيا وزينتها
طيف ما يبقى من الاثر فلما سمعه الملك العادل بتولونه
وهملت عيناه بالدموع ثم نظر اليه وقال نعم جاءه موعظة
من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ثم استدار
نحو القبلة وقال اللهم انى استغفرك واتوب اليك
مما جرت عليه الآن ثم تناول الكتاب فمزقه وجعل
يستغفر الله تعالى جميعا ذلك اليوم وينبغى للملك اذا
جلس لكشف المظالم ان يتكمل مجلسه بحضور خمسة اصناف
من الناس لا غنى له عن حضورهم ولا ينتظم امور نظره
الا بهم الصنف الاول الفقهاء والعلماء اصحاب الفتوى
ليرجع اليهم فيما اشكل ويسألهم عما اشتبه عليه واعضل
الصنف الثانى القضاة والحكام لاستعلام الخصوم
وتنفيذ القضايا والاحكام الصنف الثالث

العدول

العدول ومشايخ البلده ليشهدهم على ما اوجبه من الحقوق
وامضاه من الحكم الصنف الرابع الكتاب ليثبتوا ما جرى
بين الخصوم وما اوجبه الشرع المطهر لهم او عليهم من
الحقوق الصنف الخامس الكبار من حماة دولته واعوانه
وخاصته لتظهر بهم الرهبه وتحصل بهم الهيبه فيخاف
المعتدى فيه ويشتد ازر المظلوم فيلتمس فاذا استكمل
مجلسه بمن ذكرناه شرع حينئذ في تصفح القصص
وتفقد الامور والنظر في امور الرعيه والولاة والعمال
على ما قدمناه في وصف العدل في الباب الخامس
الثانى عشر في بيان ادب صحبة الملوك اذا اخلصك
الامير لخاصته وجعلك من اهل مجالسته فالزم الصمت
واستعمل الوقار ولا تحدثه ما دام ولا تعد حديثك عليه ثانيا
ولا تحصل حديثا بحديث ولا تعارض احدا في حديث و
اخفض من صوتك واختصر في نطقك ولا تعب احدا عندهم
وان كثرت عيوبه وعظمت ذنوبه واذا جالست الملك
فغض عينيك وضم شفتيك ولا تقولن في غيبته
ما لا تقوله في حضرته ولا تأمن ان يكون له عليك

عيون ترفع اليه اخبارك وتورد عليه اسرارك انشد لي
بعضهم اذا صحبت الملوك فالبس من التوقي اجل ملبس
وادخل اذا ما دخلت اعمى واخرج اذا ما خرجت اخرس
واذا كان لك الى الملك حاجة فلا ترفعها اليه ما لم يكن
وجهه بسيطا وقلبه نشيطا ولكن على مقدار جاهك لا على
مقدار همتك واذا طلبتها منه فعظم المقال ووفق الاجلال
ولا يحملك فرط ميله اليك على التبسط عليه بالسؤال فتنحط
رتبتك وتذهب حرمتك واذا تحدث الملك فاقبل عليه
بوجهك واصغ اليه سمعك واشغل بحديثه خاطرك
وبمنظره ناظرك واسمعه استماع متطرق له مستثبت فان
ذلك يفضي الى نفعك ويبعدك منه بعد قربك ولا تكاشفه
بالنصيحة في الخلوة ولا تتبسط عليه في الخلوة فان النصح
في الملا توبيخ والتبسط عليه تفضيح انشدني بعض اهل
العلم تعمدني بنصحك في انفراد وجنبني النصيحة في الجماعة
فان خالفتني [illegible] فلا تغضب اذا لم تعط طاعه
فان النصح بين الناس ضرب من التوبيخ لا ارضى استماعه
واذا قربك باسه وادناك من محله فالزم الاحترام

وفي

وقابله بالاعظام ولا تحرك ما تراه من انسه الى الصباح
ومكروه المزاح واياك وازالة الحشمة واضاعة الحرمة والمهل
في الكلام والشره في الطعام فان هذه الاحوال يدعو الملك
الى الملال ولا تساور في مجلسه انسان ولا تحدق الى احد من
الغلمان واذا دخلت على الملك فحيه باحسن تحيه وتواضع
له بالكليه ولا تكثر من الدعاء بحضرته ولا تسال عن حالته
ولا عن مبيته في ليلته ولا مبكره من نومته ... ولا تبادر الاكل نهما
وكل مما يليك والحل المضغ [illegible] في فمك [illegible] واجعل نظرك
الى الطعام الذي بين يديك ولا [illegible] ينظر الى من
حواليك ولا تاكل بكل الاصابع [illegible] وقم عن المائده
وانت جايع ولا تحدق ببصرك الى الطعام [illegible] ولا الى ما
حضر من طرائف الالوان بل يكون [illegible] نظرك الى
الملك عند كلامه والاطراق عند مضغه [illegible] لطعامه
لا تنتقل من الصحفة الى غيرها [illegible] شيئا من [illegible] اللحم ولا
يتعرض بمشمشة العظم ولا يتحول [illegible] اللقمة من
جانب فيك الى الجانب الاخر [illegible] ولا تسمع
بمضغك وبلعك صوت طعام [illegible] لان المقصود

من طعام الملك لمواكلته والتجمل بلطف كرامته ومن
قام من الطعام لغسل يده فسبيله ان يبعد عن حضرته
الى الموضع حسب مرتبته ولا يتبصق في الطشت
بصاق يعلو صوته ولا يستعمل بين يديه السواك ولا يتبعه
التنخع ولا يدلك بالمنديل يديه ليمسح به فمه وشفتيه ولا
تكلم في يده شيئا من الطعام على حال من الاحوال و
سبيل ساير الملك ان لا يساويه في مجنبة ولا يبدي راس
دابته من دابته ولا ياخذ عليه مهب الريح في مسايرته
ولا يركب فرسا شغبا ولا حرونا فيتقف عنه ولا كثير
الصهيل ولا ما فيه عيب يضحك منه وينبغي للملك ان
يكون عارفا بالمنازل والمناهل داريا بكل ما يقع
عليه عين الملك ويسال عنه من المياه والانهار والصحاري
والانحا ومضى ساعات الليل والنهار عارفا بالكواكب
وانتقالاتها ومنازل القمر وتيمنا تهاوان لا يظهر التعب
والكلال وان يخفي العطاس والسعال وليكن متعقد
الكهه ظريفا في محادثته صبورا على السهر غير متشاغل
بالفكر حافظا للاسرار وما يطلع عليه من الاخبار معتمدا

على

على الصيانة مؤديا للامانة فاذا لاعب الملك بالشطرنج
فلا ينظر في لعبه التي دق عليه فاما في حال الفروسية
ولعب الصولجان فقد اطلق الملوك التحادق عليهم
في الميدان   الثالث عشر في معرفة ما يكاد
به الملوك في غالب الاحوال اعلم ان مكايد الاعداء
وحوايل الحساد وطرق المضار واسباب الدواهي كثيرة
ولا يحيط بطرفيها علم البشر ولا يحصرها معقول ذوي الفكر
فيجب على الملك الاحتراز والتحفظ من كل ما يتصور عليه من
المكايد ويمكن فعله من نصب الغوائل ويعتبر بمن سلفه من
ارباب الممالك وما نصب لهم من المكايد والمهالك
فيحسم عنه موادها ويقطع اسبابها ويحذر من مثلها وقد
ذكرنا في الباب السادس في وصف الحذر من حكاية بهرام
وخاقان وما نصب كل واحد منهما لصاحبه من المكيدة
ما فيه اعتبار لذوي البصاير والافكار واكثر ما دهيت
الملوك دهيت في غالب الاحوال من امور نحن ذاكروها
انشاء الله تعالى فمن ذلك السموم القاتلة التي يتلطف بها
الاعداء في الحيلة بوصولها الى الملوك على يد النسوان

والغلمان وهي تصنع غالبا في عشرة اشياء، السرج
والسرير والكرسي والحلي والآنية والطعام والشراب
والنقل له والثياب والفرش الذي ينام عليه فينبغي
للملك ان يكون متفقدا لذلك محترسا منه ونذكر
من العلامات الواضحة على مصير السم في هذه الاشياء
ما فيه كفاية للفطن بحيث اذا علم ان ذلك الشيء
مسموم فينبغي للملك ان يتفقد ثيابه في كل يوم وفراشه
وغاشيته سرجه وكرسيه الذي يجلس عليه فان علامته
ذلك ان كان مسموما ان يظهر في صفحة الوانها لمع كالوسخ
يضرب الى سواد من غير وسخ ويكون صديدها وحواشيها
في نظر العين كانها بالية واما عود السرج والسرير والكرسي
اذا كان ملطوخا بالسم فانه يكمد لونه ويعلوه كالغبرة واما
الحلي والآنية وما يستخرج من معادن الارض كالذهب
والفضة والنحاس والرصاص والحديد والجواهر فان
ذلك كله اذا كان مسموما يعلوه كالوسخ واما اواني الخزف
والفخار فانها اذا كانت مسمومة تحدث دسومة ورطوبة
وربما افرط ضعف لونها حتى يظهر فيها بريق ليس من ذاتها

وربما

وربما ذهب بريقها الذي هو من ذاتها واما الطعام
فيستدل عليه من وجهين احدهما بالنار فان الطعام
المسموم اذا وضعت منه شيء في النار لم يصعد دخانه
مستطيلا الى الهوى بل يدور على ذلك الطعام ويسمع له صوت
شرار وايضا ربما ظهر منه اذا احرق رائحة مسمة الثاني
ان يعرض الطعام على الطير والدواب التي هي معدة في
دار الملك لمعرفة الطعام المسموم اما الطير فمنها الذواب
فانه اذا اكل من الطعام المسموم انكر صوته ومنها
الصرد والعقعق، فانهما اذا اشتما رائحة الطعام المسموم صوتا
باعلا صوتهما ومنها طائر من جنس الاوز الصيني يقال
له الهيش فانه اذا رأى الطعام المسموم او شم رائحته مات
منه وجعل يلوي مشيته ومنها الكركي فانه اذا شم رائحة
الطعام المسموم او اكله فانه يدور حتى يطحن مغشي عليه و
منها الفواخت والعقعق فانهما يموتان باكل الطعام المسموم
تتشوف اليه وتعلق باكله وبهواه ومنها طائر من طيور الماء،
احمر العينين يقال له جنون فانه اذا نظر الى الطعام المسموم
او شم رائحته ذهب حمرة عينيه ومنها طائر من طيور الماء،

ايضا يقال له جنون فانه اذا نظر راى الطعام المسموم
خ آلى الارض مغشيا عليه والدواب المعره لذلك فمنها
السنور فانه اذا اكل من الطعام المسموم اوشم رايحته نفر
من موضعه ولم يستوفيه ومنها القرد فانه اذا اقدم اليه
الطعام المسموم ايضا لم يتمالك حتى يهرب منه ويصعد
في الاشجار والحيطان فهذا كله يستدل به على الطعام
المسموم فينبغي لخادم المتقدم للطعام ان يمتحنه بالنار وعرضه
على الطير والدواب التي ذكرناها قبل احضاره بين يدي
الملك واذا كان الطباخ بصيرا حاذقا عرف السم اذا
طرح في القدور بالامارات الداله عليه فان قدر الارز
اذا وضع فيها السم ابطا نضجها واذا انزلت عن النار
انعقد فيها سريعا وصلب حبها ونفور من القدر بخار كلون
عنق الطاووس وقدور المرق اذا وضع فيها السم فلا
يلبث الا قليلا حتى ينشف المرقة منها ويبقى اللحم يابسا
لا مرقة عليه ومهما بقي منه تغير لونه وكدر واما دليل معرفة
الشراب المسموم فان كل شراب حلو اذا طرح فيه السم يظهر
فيه خطوط مستطيل كلون النحاس ويظهر في الحامض

خطوط كلون شعاع الشمس ويظهر في الماء والنبيذ خطوط سود
واما معرفة الفواكه المسمومه فان التي لم يدرك منها يظهر للعين
كانها مدركه والتي قد ادركت منها تظهر كانها لم يدرك لتغيرها
وانقباضها وكل رطب منها تراه كانه لم يدرك ~~بعد~~ كانه منهري
وكل يابس تراه منقبضا شحا وجميع الفاكهه يذهب
صفآء لونها ويعلوها غبره وكدره واللين منها يصلب
والصلب منها يلين واعلم ان من وضع السم في بعض
منده ان شيا او صنع مكيده من مكايد الاعدآء من
النسوان والغلمان والخدام وغيرهم لا بد ان يظهر عليه
من الرذيله امارات لا يخفى بها عن الفطن اللبيب
فينبغي ان يتصفح وجوه خدمته وغلمانه وجواره ونسائه
في كل وقت فان المريب لا يملك نفسه ان يصفر لونه او يخفي
او يتلعثم ريقه ويخفق فواده او يعض على شفته السفلى
او يدير عينيه او يكثر تلعثمه ويرعد فرايصه او يعثر
في مشيته او يكثر تثاوبه ويعرق جبينه او يفتل هدب
ثيابه ويعبث بها او ينكث الارض بابهام رجليه او
ينقطع عما يريد ان يتكلم به او يكثر القيام عن العمل الذي

يعمل مثله ولم يتمه بعد عذر يحتج منه امارات تدل على الريبة
فليراعيها الملك من متولي طعامه وشرابه ومتولي خزانة ثيابه
وفراشه وسروج دوابه وغيرهم من خدم حرارة وثقاة الاحوال
التي يتصدها اهل المكايد في الغالب فمنها المواضع الضيقة
والطرقات المجهولة فلا ينبغي ان يسلكها حتى يكون امامه
دليل خبير بذلك الموضع ويتقدمه في حال سلوكه جماعة من
اعوانه ومنها الموكب عليه في المواضع الضيقة او في
الاعياد والمحافل فلا يأمن ان يلج بين خواصه من يريد
شرا ومنها الامعان في طلب الصيد والانفراد فيه عن
الخاصة وثقاة الاعوان فلا يأمن ان يدس عليه اهل
العداوة من يوقع به الفعل او يمكن له الاعداء الكمون الريبة
في المواضع الوعرة او يعرض له احد السباع الضارية
عند انفراده ومنها الورود الى الانهار في اغتسال الماء
صاحبه في الماء الجاري من اسر الجليل واسهلها على
المغتال لان الماء معين له على جريمته لا سيما اذا كان رجال
الملك من وراء ظهره فينبغي ان لا يرد ماء حتى يتقدمه من
اعوانه من يختبر شطوطها ومشارعها ومنها حالة

شدة السكر وحال شدة الحر وحال ظلام الليل لان
في هذه الاحوال تغفل الحفظة ويشتغل كل واحد منهم
بمصلحته ومنها حال سروره ولهوه وطربه في مجلسه وسكره
من شرابه فان الحفظة ايضا يسكرون او ينامون فيتمكن
منه المغتال ومنها الثقة الى النسوان والركون اليهن
في مكر النساء وحيلهن اكثر من ان يحيط مع ضعفهن
ونقصان عقولهن فلا يأمن مكرهن وغيرتهن
ودهائهن فقد بعد من من الاحوال على ما يمكن منه
الرجال فليراع الملك جميع ما ذكرناه وما يحفظ بباله من
اشباه ذلك وامثاله مع تسليمه لامر الله تعالى وقضائه
وقدره والله الموفق   الرابع عشر فيما ينبغي
للملك من سياسة الجيش وتعبية الجنود اعلم ان الملك
اذا انفصل بجنوده متوجها الى اعدائه فينبغي له ان يصنع
في تعبيتهم وسياسة امورهم عدة حتى يتم بذلك مصلحتهم
وينتظم به الفتهم احدها استعراضهم قبل المسير بهم فيتفقد
خيلهم التي يعتمدون عليها فلا يدخل فيهم كبيرا ولا
صغيرا ولا حطيما كسيرا لان ذلك كله ومنها في المجاهدين

وانما يستعد للاعداء القوة وما يظهر به الهيبة والرهبة
قال الله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقال رسول الله صلعم
ارتبطوا الخيل فان ظهورها لكم عز وبطونها لكم كنز وتتفقد
جميع اسلحتهم وبرآئتهم وامتعتهم ويامرهم باتخاذ قويها
واستبدال ضعيفها الثاني ان يرفق بهم في السير الذي
يقدر عليه ضعيفهم ويحفظ به قوة قويهم ولا يجد السير
فيهلك الضعيف ويستفرغ قوة القوي قال رسول الله صلعم
ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق فان المنبت
لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى الثالث ان يراعي من معه من
المقاتلة وهم صنفان مسترزقة ومتطوعة اما المسترزقة
فهم اصحاب الديوان فيفرض لهم العطاء من بيت المال
من بحسب الغنى والكفاية واما المتطوعة فهم الخارجون عن
الديوان الذي في جوار الثغر فيعطون من بيت المال من
الصدقات دون الفيء من سهم رسول الله صلى الله
صلوا المذكور في آية الصدقات الرابع ان يعرف
على الفرق ويبعث عليهم النقباء فيكون عارفا بجميع

احوالهم

احوالهم من عرفائهم ونقبائهم وقد فعل ذلك رسول الله صلعم
الخامس ان يجعل لكل قائد من قواده شعارا يسميه اصحابه
ليصيروا به عن غيرهم متميزين بالاجتماع فيه متضافرين
السادس ان يتصفح الجيش عند مسيره فيخرج منهم من
كان فيه تخذيل للمجاهدين وارجاف بالمسلمين او كان
عينا للمشركين فقد فعل ذلك رسول الله ورد عبد الله بن
ابي بن سلول المنافق في بعض غزواته لتخذيله للمسلمين
السابع ان لا يستنصر عند اللقاء بمن خالفه في العقيدة
والمذهب او لمن ظهرت عليه امارات البغضاء او لمن اساء
ادبه على الملك او قصر خدمته لان العوض لهؤلاء في مثل
هذا الوقت يقضي الى افتراق الكلمة وحصول الفشل قال
الله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم يعني
دولتكم وقيل معناه قوتكم الثامن ان يحرس الجيش من
غرة يظفر بها العدو فينبغي ان يتتبع المكامن ويحفظها عليهم
ويحفظ سواد من يحرس ما يامنون به على انفسهم واموالهم ليسكنوا
في وقت الدعة ويامنوا ورائهم في وقت المحاربة التاسع ان
يختار لهم موضع نزولهم لمحاربة عدوهم فيقصد اوطأ الارض

مكانا واكثرها مرعى وماء واوسعها اطرافا واكتافا ويكون
الموضع قريبا من جبل او شجر فان ذلك كله اعوان لهم على
المنازلة واقوى لهم على المرابطة العاشر اعداد لوازم ما
يحتاج اليه الجيش من زاد وعلوفة ليفرق ذلك عليهم في اوقات
الحاجة حتى تسكن نفوسهم الى مادة تبعثهم على الطلب
ليكونوا على الحرب اقدر على منازلة العدو اقدر الحادي عشر
ان يتعرف اخبار عدوه بالجواسيس الثقات الذين يكون
له عندهم مكانة ليكونوا خبيرا باحوالهم وسالما من مكرهم وليأمن
الغرة في الهجوم عليهم الثاني عشر ترتيب الجيش في مصاف
الحرب والتعويل في كل جهة على من يراه كفوا لها ويتفقد
الصفوف بنفسه من حصول خلل يقع فيها ويراعي كل
جهة يميل العدو اليها بمدد من يكون عونا لها الثالث
عشر ان يحض المجاهدين على القتال ويقوي نفوسهم ويشعرهم الظفر
ويذكر لهم اسباب النصرة ويصغر العدو في اعينهم ويعدهم الاقطاع
والزيادة في الرزق اذا ظهرت منهم النكاية في العدو الرابع
عشر ان يذكرهم ثواب الله تعالى وما اعد لهم في الآخرة من
النعيم المقيم ويذكرهم فضل الشهادة ويعدهم بابقاء

رزقهم

رزقهم على اولادهم من بعدهم الخامس عشر ان يشاور
ذوي الرأي منهم واهل الخبرة بالقتال والمشايخ من اعوانه
واهل دولته ويرجع اليهم فيما اعضل ويسلم الامر اليهم فيما
سلك بها من الخطأ وسلم من الزلل السادس عشر ان
يلزم جيشه بما اوجبه الله تعالى من حقوقه وبما امر الله تعالى
من عبادته لانه من تجاهر عن الدين كان احق الناس بان
لا يلتزم احكامه والفصل بين حلاله وحرامه وقد قال
رسول الله صلى الله عليه انهوا جيوشكم عن الفساد
فانه ما فسد جيش قط الا قذف الله في قلوبهم الرعب
وانهوا جيوشكم عن الزنا فانه ما زنى جيش الا ان لا يترك
احدا من جيشه ويتشاغل بمجاوزة او زراعة لان ذلك يصرف
الاهتمام عن مصابرة العدو وعن الصدق في الجهاد وقد روي
ان نبيا من بني اسرائيل حين اعد قتالهم فقال لا يغزون
معي رجل بنى بناء لم يكمله ولا رجل تزوج امرأة لم يدخل
بها ولا رجل زرع زرعا لم يحصده فاذا سار الملك با
لجيش ودخل ارض العدو فينبغي ان يكون طلائع عسكره
ومقدمة جيشه كالنهر الجاري فان النهر في اول جريه

يتحلل بما قرب من الارض المستويه فاذا بلغ شرفا من الارض
وقف عنده حتى يتقوى بالقادمين وراءهم ثم يعلوا ذلك
الشرف وكذلك وينبغي ان يكون طلايع الجيش التي
يتقدم عليه لا تهجم عند ما يرى من القوه من العدو امامها
الا بان يتقدم من ورايها فاذا انتهى الى [illegible] دقيقة على من
قربه وعلته كعلو النهر اذا استمد من ورايه ولا ينبغي ان
يوردها الى الجهة المجهوله حتى يتقدم اليها من يختبرها من
طلايعه فقد كان يقال لا تطا ارض عدوك الا على تحرز
احترس وتوقى افة اس فانك لا تامن ان يكون قد نصب
لك فيها اشتراك ودفن الغوايل وانياك والنصر
بالله تعالى **الباب الخامس عشر فيما ينبغي** اعلم ان الملك
اذا توجه بالجيش الى لقاء المشركين لزم على الجيش من
الحقوق امران احدهما ما يلزمهم من حق الله تعالى الثاني
ما يلزمهم من حق الملك فاما ما يلزمهم من حق الله فاربعة
اشياء احدها مصابرة العدو عند اللقاء الصفين
ولا ينهزمون منهم فما دون لان الله تعالى قد كان
فرض على كل مسلم ان يقاتل عشرة من المشركين فقال تعالى

يا ايها النبي حرض المومنين على القتال ان يكن
منكم من المشركين يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا
مايتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا ان الله تعالى بعد
ذلك خفف عنهم لما شق عليهم الامر فاوجب على كل مسلم
ان يقاتل رجلين من المشركين فقال عز وجل الآن
خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة
تغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن
الله ان الله تعالى امر على كل مسلم ان ينهزم من مثليه الا
لاحد امرين اما متحرف لقتال فيأوي الى استراحة او لمكيده
ويعود الى قتالهم واما ان يتحيز الى فئة اخرى ليجتمع معها
على قتالهم لقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال
او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله الثاني ان يقصد
بقتاله نصرة دين الله وابطال ما خالفه من الاديان
فيكون بهذا الاعتقاد حايز الثواب الله تعالى ومطيعا
له في امره ولا يقصد بقتاله فايده تحصل من الغنيمة فيصير
من المكتسبين لا من المجاهدين الثالث ان يؤدي الامانة
فيما حازه من الغنايم ولا يغل منها شيئا بل يحمل جميعه الى المغنم

ليغنمهم بين الغانمين الذين شهدوا الوقعة لان لكل واحد
فيها حقا الرابع ان لا يحابي في نصرة دين الله ذا قرابة او
مودة فان حق الله تعالى اوجب ونصرة دينه الزم قال الله
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون
اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق الاية واما ما يلزم
الجيش من حق الملك فاربعة اشياء احدها التزام طاعته و
الدخول في ولايته والقبول لامره ونهيه ما لم يامرهم بالمعصية
فان طاعة الملك واجبة في غير المعصية لقوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم قال
ابن عباس رضي الله اولوا الامر هم الامراء وقال رسول الله
صلعم اسمعوا واطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشي فاذا امر
بمعصية فلا يجوز طاعته لقوله عم لا طاعة لمخلوق في معصية
الخالق الثاني ان يفوضوا امرهم الى رايه ويكلوه الى تدبيره
حتى لا تختلف آراؤهم فتختلف كلمتهم ويتفرق جميعهم فان ظهر
لهم صواب في شيء خفي على الملك ينبغي ان ينبهوه سرا ليرجع الى
الصواب الثالث المسارعة الى امتثال امره ونهيه في المعصية
الرابع ان لا ينازعوه في شيء من قسمة الغنائم اذا قسمها
فيهم

فيهم بل يرضوا به في القسمة فانه يساوي بينهم فيها كما سوى
الله تعالى فيها بين القوي والضعيف وماثل بين الدني
والشريف وسنذكر صفة القسمة في بابها ان شاء الله تعالى
الباب السادس عشر في المصابرة مع المشركين اعلم ان
فريقا من المؤمنين وفريقا من المشركين اذا تقاتلا وجب على
المؤمنين مصابرتهم ما صبروا وان طالت بهم المدة ولا يولوا عنهم
وبهم قوة فقد قال الله تبارك وتعالى يا ايها الذين آمنوا
اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون قال الحسن
معناه اصبروا على طاعته وصابروا اعداء الله ورابطوا في سبيل
الله وينبغي للملك ان يرتب جيشه ويجعل لكل طبقة من
اعدائه شيئا منهم من جيشه في نحرهم كما في الاذن اذا دخلها
فلا صيلة ارقوه في اصاحه من آلهتا الذي هو من جنسه واذا
حمل على اعدائه فليكن كالذي اذا حمل لا يتناوله ولا رجعة
حتى يبلغ غايته ومنتهاه من مقصده وكذلك ينبغي ان
يجتهد الملك في جملته حتى يوغل في عدوه ويبلغ غايته منه
واذا دعا احد من المشركين الى البراز جاز للمسلم ان يخرج
اليه لان ابي بن خلف دعا رسول الله صلى الله عم يوم احد

الى البراز فبرز اليه فقتله وفي يوم بدر من المشركين ثلاثة نفر
وهم عتبة بن ربيعة وابنه الوليد واخوه شيبة بن ربيعه
ودعوا الى البراز فبرز اليهم من الانصار عوف ومعوذ ابنا
عفراء وعبد الله بن رواحة فقالوا يا قوم انا لا نعرفكم فليبرز
الينا اكفاؤنا من قريش فبرز اليهم ثلاثة نفر من بني هاشم
وهم علي بن ابي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة
بن الحارث بن المطلب فاما علي كرم الله وجهه فبرز الى الوليد
فقتله وبرز حمزة الى عتبة فقتله وبرز عبيدة الى شيبة فا
ختلفا ضربتين اثبت كل واحد منهما صاحبه فمات شيبة
لوقته وحمل عبيدة حيا فمات بعد ذلك وروي ان عمرو بن ود
العامري دعا الى البراز يوم الخندق في اول يوم فلم يجبه احد ثم
دعا في اليوم الثاني فلم يجبه احد ثم دعا في اليوم الثالث فلم
يجبه احد فقال يا محمد الستم تزعمون ان قتلاكم في الجنة عند ربهم
يرزقون وقتلانا في النار يعذبون فما يبالي احدكم ان يقدم على كرامة
من ربه ويقدم عدوه الى النار ثم انشد ـ ولقد دنوت الى النداء
بجمعهم هل من مبارز ووقفت اذ جبن المشجع موقف القرن المناجز
اني كذلك لم ازل متسرعا نحو الهزاهز ان الشجاعة في الفتى والجود

من

من خير الغرائز قال فقام علي بن ابي طالب رضي الله عنه واستاذن
رسول الله عم في مبارزته فاذن له وقال اخرج اليه في حفظ الله
وعياذه ثم قال فخرج علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وهو يقول
ابشر اتاك مجيب صوتك في البراز غير عاجز ذو نية وبصيره
يرجو الغداة نجاة فايز اني لارجو ان اقيم عليك نايحة الجنايز
من طعنة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز قال فتجاولا ساعة ثم حمل
كل واحد منهما على صاحبه وثارت بينهما عجاجة اخفتهما عن
الابصار ثم انجلت عنهما واذا علي رضي يمسح سيفه بثوب عمرو
وهو قتيل واذا اراد المسلم ان يدعوا الى البراز مبتديا جاز ذلك
لان جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فعلوه وقد
روى ابو هريرة رضي الله سئل عن المبارزة بين الصفين
فقال لا باس وينبغي ان لا يبارز الا من اشتهر قوته وعلمت
شجاعته لان الضعيف اذا بارز لم يؤمن ان يقتل فتضعف
قلوب المسلمين ويجوز لآحاد الجيش ان يحمل منفردا على جيش
المشركين وقد كان يفعل ذلك جماعة من الصحابة رضي الله عنهم
وروي ان الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية حضرت حرب
القادسية ومعها بنوها اربعة فقالت لهم تمرا ولا الليلى يا.

اسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ووالله الذي لا اله الا هو
انكم لبنو رجل واحد كما انتم بنو امراة واحدة ما خنت اباكم ولا فضحت
خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم وقد تعلمون ما اعد
الله تعالى من الثواب للمسلمين في حرب الكافرين واعلموا ان
الدار الباقية خير من الدار الفانية يقول الله تعالى ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون
فاذا رايتم الحرب غدا قد شمرت عن ساقها واضطرمت
لظى على سياقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها تظفروا
بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة قال فخرج بنوها من عند
قائلين بنصحها فلما كان الصبح باكروا مراكزهم فحين تقابل
الصفان حمل احدهم على جيش المشركين وهو ينشد ويقول
شعر يا اخوتي ان العجوز الناصحة قد نصحتنا اذ دعتنا البارحة
مقالة ذات بيان واضحة فبادروا الحرب الضروس الكالحة
فانتم بين حياة صالحة • وميتة تورث غنما رابحة فلم يزل يضربهم
بسيفه ويطعنهم برمحه حتى استشهد رحمه الله تعالى ثم حمل الثاني
وهو يقول قد امرتنا بالسداد والرشد نصيحة منها وبرا
بالولد فباكروا الحرب حماة في العدد اما لفوز بارد على الكبد

او ميتة تورثكم غنم الابد في جنة الفردوس والعيش الرغد • فلم
يزل يضربهم بسيفه حتى استشهد رحمه الله ثم حمل الثالث
منهم وهو يقول نصحا وبرا صادقا ولطفا فبادروا الحرب العوان
زحفا حتى تلفوا آل كسرى لفا وتكشفوهم عن حماكم كشفا
انا نرى التقصير عنهم ضعفا والقتل فيهم نجدة وعرفا فلم يزل
يقاتل فيهم حتى استشهد ثم حمل الرابع منهم وهو يقول لست
لخنساء ولا للاكرم ولا لعمرو ذي السناء الاقدم ان لم ارد في
الحرب جيش الاعجم اما لفوز عاجل ومغنم او لوفاة في السبيل
الاكرم فلم يزل يطعن فيهم برمحه حتى استشهد رح فلما بلغ
خنساء الخبر قالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وارجو من
ربي ان يجمعني واياهم في مستقر رحمته فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال اعطوا الخنساء ارزاق اولادها الاربعة واجروا
عليها ذلك حتى تقبض قال فلم تزل تاخذ عن كل واحد منهم
مايتي درهم في كل شهر حتى قبضت رضي وينبغي ان يكون
سواد العسكر وجمهور الموكب كامتداد النهر اذا طمى وزخر لا يمر
بشي الا علاه ودفنه الباب السابع عشر في معرفة
مسالك اهل الردة واهل البغي وقطاع الطريق اعلم انا نعتقد في

هذا الباب على ذكر ما يجوز للملك فعله ويوضح قواعد المذهب
في ذلك من غير ذكر خلاف ولا تطويل ليقع الفعل في محاربتهم
موافق للشرع وهو ثلاث فصول **الفصل الاول** في معرفة
قتال اهل الردة اذا احكم بالاسلام قوم ثم ارتدوا عن دين الاسلام
الى اي دين خالفه لم يجز اقرارهم عليه لان الاقرار بالحق
يوجب التزام احكامه ثم لم يخل حال اهل الردة من امرين
احدهما ان يكونوا في دار الاسلام افرادا لم يتحيزوا بالمنعة
بها ويتميزون عن المسلمين فيها الثاني ان يتحازون الى
دار ينفردون بها عن المسلمين حتى يصيروا فيها ممتنعين
فان كانوا في دار الاسلام منفردين فلا حاجة الى قتالهم
لدخولهم تحت القدرة بل يجب ان يؤخذهم بالتوبة مما دخلوا
فيه من الباطل فان تابوا قبلت توبتهم واجري عليهم حكم الاسلام
ومن اقام منهم على ردته بعد ذلك وجب قتله رجلا كان
او امراة لقوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه و
اختلف العلماء في كيفية قتل المرتد والوقت الذي يقتل فيه
فمنهم من قال يقتل في الحال لان حق الله تعالى اذا وجب
لا يجوز تاخيره ومنهم من قال يؤجل ثلاثة ايام لان علي بن

ابي طالب

ابي طالب كرم الله وجهه انظر المستورد العجلي بالزيادة ثلاثة
ايام ثم قتله بعد ذلك ويقتل ضربا بالسيف ومنهم من قال
يقتل ضربا بالخشب واذا قتل لم يغسل لم يكفن ولم يصل عليه
ولم يدفن في مقابر المسلمين ويكون ماله فيئا في بيت مال
المسلمين واما اذا انحاز اهل الردة الى دار ينفردون بها عن المسلمين
حتى صاروا فيها ممتنعين وجب قتالهم على ردتهم ويجري على
قتالهم اهل الحرب في جواز قتلهم غرة وبياتا ومقبلين ومدبرين
ومن اسر منهم جاز قتله ولا يجوز استرقاقه واذا غنمت اموالهم لم
يقسم بين الغانمين بل يكون مال من قتل منهم فيئا لبيت
المال ومال من لم يقتل موقوفا على اسلامه فان عاد الى الاسلام
رد عليه ماله **الفصل الثاني** في معرفة قتال اهل البغي واذا
خرجت طائفة من المسلمين وخالفوا راي الجماعة وانفردوا عنهم
وخرجوا عن قبضة الامام الاعظم وتحيزوا بدار وامتنعوا بالمنعة
وجب قتالهم بعد ان ينذرهم فان لهم ما ينقمون منه ثم يحذرهم
وانذرهم فان رجعوا الى الطاعة كف عنهم وان ابوا قاتلهم لقوله
تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما
فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر

الله وقد كان ابو بكر الصديق رض قتل مانعي الزكوة و
قاتل علي كرم الله وجهه الخوارج بالنهروان وقاتل معاوية
بصفين واعلم ان قتالهم يخالف قتال المشركين من عشرة اوجه
احدها لا يهجم عليهم غرة ولا بياتا ويجوز ذلك في قتال المشركين
الثاني ان تقصد بقتلهم ردعهم وردهم الى الحق ولا
يعمد الى قتلهم الثالث يقاتلهم مقبلين ويكف عنهم مدبرين
الرابع ان لا يجهز على جريحهم الخامس ان لا يقتل اسراؤهم
السادس ان لا يغنم اموالهم ولا تسبى ذراريهم السابع ان
لا يستعين في قتالهم بمشرك معاهد ولا ذمي الثامن ان لا
يهادنهم الى مدة ولا يوادعهم على مال فان هادنهم الى مدة لم تلزم
فان ضعف عن قتالهم انتظر بهم القوة عليهم وان وادعهم على
مال بطلت الموادعة ثم ينظر في المال فان كان من صدقاتهم
او خراجهم لم يرده عليهم وان كان من خالص اموالهم رده اليهم
ولا يجوز ان يتملكه عليهم التاسع ان لا ينصب عليهم العرادات
والمنجنيقات ولا يحرق عليهم المساكن ولا يقطع اشجارهم لان
دار الاسلام تمنع ما فيها كل ذلك بخلاف قتال المشركين
فان احاطوا باهل العدل وخافوا منهم الاصطلام جاز ان

ان يدفعوا

يدفعوا عنهم ما استطاعوا من اعتماد قتلهم ونصب المنجنيقات
عليهم ورميهم بالنار ونحو ذلك لان المسلم اذا اريدت نفسه
جاز له الدفع عنها بقتل من ارادها اذا كان لا يندفع الا
بالقتل ولا يجوز ان ينتفع بدوابهم ولا اسلحتهم ولا يستعان
به في قتالهم قال ابو حنيفة رحمه الله الفصل الثالث
في معرفة قتال قطاع الطريق وان جمعت طائفة من اهل الفساد
على شهر السلاح وقطع الطريق واخذ الاموال وقتل النفوس
ومنع السبل فهم المحاربون الذين قال الله تعالى في حقهم
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الا رض
فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم
من خلاف او ينفوا من الارض قال الشافعي رحمه الله
من قتل منهم واخذ المال قتل وصلب بعد قتله ومن قتل
ولم يصلب ومن اخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من
خلاف ومن لم يقتل ولم يأخذ المال ولكنه كثر وهيب واخاف
السبيل عزر بالحبس وهو النفي من الارض وقال مالك
رح من كان منهم ذا راي وتدبير قتل ومن كان ذا
بطش وقوة عزر وحبس واعلم ان قتال قطاع الطريق

كقتال اهل البغي في عامة احوالهم ومخالفه من خمسة اوجه الاول
الثاني لا يجوز ان يعمد الى قتل من قتل منهم في حال الحرب بخلاف
اهل البغي الثالث انهم يؤاخذون بما استهلكوه من دم
او مال في حال الحرب وغيرها بخلاف اهل البغي الرابع انه
يجوز حبس من اسر منهم ليعلم براءه من غير خلاف بخلاف اهل
البغي الخامس ان ما جبوه من الخراج والصدقات يكون
يكون كالماخوذ على وجه الغصب والنهب لا يسقط
عن اهل الخراج والصدقات ويكون ضمنه مستحقا
عليهم لمن اخذوه منه بخلاف اهل البغي الباب
الثامن عشر في معرفة قسم الغنيمة والانفال اعلم ان المسلمين
اذا اخذوا من الكفار ما لا باتحاف الخيل والركاب فهو غنيمة
يجب على الملك ان يقسمه بين الغانمين فيجعله خمسة اخماس خمس
منها لاهل الخمس الذين قال الله تعالى في حقهم واعلموا انما
غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل واربعة اخماس للغانمين و
ينبغي ان يقسم ذلك جميعه في دار الحرب لان رسوله عم
قسم غنائم بني المصطلق على مياههم وقسم غنائم حنين

باوطاس

باوطاس وهو واد من حنين ولا يدخل سلب المقتول
في القسمة بل يكون للقاتل دون غيره لان النبي عم جعل السلب
للقاتل فان كان الجيش كلهم فرسانا سوى بينهم في القسمة
وكذلك ان كانوا رجالة وان كان بعضهم فرسانا وبعضهم
رجالة جعل للراجل بينهما واحدا وللفارس ثلاثة اسهم بينهما
للراجل وسهمين للفرس ويجعل من قاتل من لم يقاتل في
القسمة سواء وكذلك من حضر بفرسين او اكثر لم يزد سهمه على
من حضر بفرس واحد واذا بعث الملك سرية من الجيش الى جهة
الكفار فغنمت السرية شاركهم في ذلك اهل الجيش وكذلك
ان غنم اهل الجيش شاركهم اهل السرية لان رسول الله صلى
لما هزم هوازن حنين اسرى سرية قبل اوطاس فغنمت فقسم
غنائمهم بين الجميع ومن فتل من اهل الجيش معلا بعضى
الى الطريق او كالمخبر والدلالة على طريق او قلعة او التقدم
بالدخول الى دار الحرب جاز للملك ان ينفله من الغنيمة زيادة
على سهمه لان رسول الله صلى الله وسلم كان يفعل ذلك
ويقتضيه العقل وبالله التوفيق الباب
التاسع عشر فيما ينبغي للملك ان يفعله عند قفوله بالجيش

اعلم انه ينبغي للملك اذا قفل بالجيش من غزاة او سفر ان
يفعل كما كان يفعل رسول الله صلعم في قفوله من غزواته
او اسفاره فانه كان يكبر على كل شرف من الارض ثلث
تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت ابدا بيده الخير وهو على كل
شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا
حامدون صدق الله وعده ونصر عبده واعز جنده
وهزم الاحزاب وحده كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه
ترجعون وينبغي اذا اشرف على مدينته ان يحرك دابته و
يقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم يرسل
الى نوابه واهل مدينته فيخبرهم بقدومه ليخرجوا الى لقائه
لان الرعية يتعزون بطلعة الملك عليهم ورجوعه اليهم كما
تتعاشر النبت بوابل القطر واذا دخل البلد فليقصد
المسجد وليصل فيه ركعتين كذلك كان يفعل رسول الله
واذا دخل منزله واستقر على سريره فليقل توبا توبا لربنا
اوبا لا يغادر خطيئة ولا حوبا ثم يرفع حجابه ويفتح بابه و
ياذن لوجوه بلدته ويباشر رعيته بالدخول اليه لتهنيته

بما

عافاه الله عليه وحقيقته لديه من شمول النعم وحسن المنقلب
ثم يكثر من الصدقة والصلاة ويوسع في العطايا والهبات
ويرد المغصوب والظلامات ويكشف عن احوال من
حبسه من اهل الجنايات ويستكثر من صنايع المعروف
واعمال البر فانه اذا فعل ذلك كان شاكرا لله تعالى وكان
لمزيد النعمة مستحقا ولتتابع الاحسان من الله مستوجبا

الباب العشرون في الحث على استماع المواعظ وقبولها من الناس

اعلم ان استيلاء الدنيا على الملوك في اقبالها
عليهم ربما شغلهم عن امر الآخرة واغفلهم عن مهمات
الدين فيجنحون الى اللذات ويهملون امر الديانات
لان النفوس مطبوعة على الميل الى الترف وايثار التنعم
وكراهة التكليف فلا ينبغي ان تخلو مجالسهم من علماء الدين
واصالح المساكين ليتنبهوا بهم عند طريان الغفلة ويذكر
وهم عند طرو الشهوة ويوضحون لهم نهج الآخرة ومعالم
الشريعة وقد كان ذلك شعار الملوك الغابرين والخلفاء
الراشدين في مجالسهم الحكماء واستماع مواعظ العلماء و
كانوا في ثلث طبقات فمنهم طبقة لاستماع الموعظة والتذكر

نبذوا ملك الدنيا الذي يفنى ليعتاضوا عنه ملك الآخرة
الذي يبقى واخرجوا ذلك من قلوبهم وايديهم واهتموا بامر
الآخرة والعمل لها لينالوا الفوز الاكبر والنعيم الدائم و
منهم طبقة عند سماع الموعظة اخرجوا ملك الدنيا من قلوبهم
ولم يخرجوه من ايديهم واهتموا بامر الآخرة مع بقائهم في الملك
وهذه الطبقة مجاهدتهم عظيمة ومثلهم في ذلك مثل
من الزم نفسه الظمأ ويحضر به نهر بارد ينظر اليه ويقدر على
تناول شربة وهذا كان مقام الخلفاء الراشدين واوليائهم
وعمالهم ومن سلك سبيلهم ومنهم طبقة اصمتهم حب الدنيا
ونيل لذاتها عن استماع المواعظ واعمى ابصارهم عن كل
مذكر واعطفوا ثروا اللذات على المهمات وقطعتهم الشهوات
عن امور الديانات وسأذكر من اخبار اهل الطبقات الثلث ث
ما يكون فيه رياض لذوي الافكار ورياضات لاولي الابصار
حكايات الطبقة الاولى خمس روضات **الروضة الاولى**
ما حكاه اصحاب الحديث ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل
عمير بن سعيد الانصاري رضي الله عنه على حمص واعمالها فلبث
بها سنة كاملة فجلس يوما وعنده رجل من اصحاب عمر بن

الخطاب

الخطاب كان قد اتاه يستدعي منه ما اجتمع عنده من
المال فحضر عنده رجل معاهد فجعل يتكلم ويرفع صوته
فقال له عمير اسكت اخزاك الله فقال له الرجل الذي عنده
من اصحاب عمر يا عمير اما سمعت رسول الله صلعم انا خصم
المعاهد واليتيم ومن خاصمته خصمته يا عمير اتق الله من
ان يكون خصمك من تحتك وكما تحب ان يصنع الله بك
فاصنع برعيتك قال فبكى عمير بكاء شديدا ثم اغتنما
الا منه له فعمد الى جرابه وزاده واداوته وقصعته وما تهن على
عصاه وحملهن على عصاه وحملهن على عاتقه وخرج من حمص
ماشيا حتى قدم على عمر رض فسلم عليه فرد عليه السلام متثبتا قلما
ثم قال له يا عمير ما هذا الذي ارى بك من سوء الحال اخبثت
بعدي ام بلادك بلاد سوء ام هذه خديعة منك فقال له عمير يا
امير المؤمنين الم ينهك الله عز وجل عن التجسس ما الذي
ترى لي من سوء الحال الست تراني صحيح البدن قد جئتك
احمل الدنيا فقال له عمر وما الذي وما جئت به من قال جرابي
فيه زادي واداوتي فيها مائي لشرابي ووضوئي وقصعتي
لعجيني وعكازي اذب بها عن نفسي قال عمر صدقت

رحمك الله فما فعل المسلمون قال عمير تركتهم يوحدون الله تعالى
ويصلون ولا تسأل عما وراء ذلك قال فما فعل اهل الذمة
قال اخذنا منهم الجزية عن يد وهم صاغرون قال فما فعلت
من المال قال ما انت وذاك اني لما قدمت حمص اجتهدت
رايي وجمعت من بها من المسلمين فاخترت منهم رجالا فاستعملتهم
ثم نظرت فيما اجتمع من بها من المال فقسمته في اهله
ولو كان عندنا فضل لاتاك فقال يا عمير واين راحلتك
قال لم يكن لي راحلة فقال اما كان في رعيتك من يتبرع
لك بدابة تركبها بئس المسلمون وبئس المعاهدون ثم قال
لابنه عبد الله جئني بصحيفة لانه جدد لعمير عهده الرجوع الى
عمله فقال عمير لا والله لا اعمل شيئا ابدا قال عمر ولم ذاك قال
لاني ما نجوت فاني قلت يوما لمعاهد اخزاك الله وقد قال
رسول عم ومن خصم المعاهد ثم اتى قبر رسول الله عم فقال
السلام عليك يا رسول الله ثم قال السلام عليك يا ابابكر
ثم بكى عمر وقال ماذا لقيت بعدكما اللهم الحقني بصاحبي
لم اغير ولم ابدل وبكى معه عمير طويلا ثم قال يا عمر الحق باهلك
وكان بيته على ثلاثة فراسخ من المدينة قال ثم قدم بعد ذلك

رجل

رجل على عمر بمال من عند بعض عماله فدعى رجلا من اصحابه
اسمه حبيب فدفع اليه صرة فيها مائة دينار وقال انطلق
الى منزل عمير فاقم عنده ثلاثا وتفقد حاله ثم اعطه هذه الصرة
فاتاه حبيب فوجده بفناء بيته يتفلى في الشمس فسلم عليه
فقال له عمير من اين اقبلت قال من المدينة قال تركت عمر
قال صالح قال لعله جار في الحكم قال لا قال فلعله وضع
السوط في اهل القبلة قال لا ولكنه ضرب ابنا له الحد فمات
فقال اللهم اغفر لعمر فانه يحبك ويحب رسولك ويحب اقامة الحد
فنزل عنده حبيب ثلاثة ايام يعشيه كل يوم قرصا مادوما
بزيت فلما انقضت الثلث قال له عمير ارتحل عنا رحمك الله
فقد اجعتنا وانك لم تصادف عندنا فضلا ولكنا اثرناك
فقال له حبيب خذ هذه الصرة فان عمر بعثها اليك فلما صارت
في يده قال صحبت رسول الله عم فلم ابتل بشيء من الدنيا و
صحبت ابابكر كذلك ثم صحبت عمر ابتليت يوم صحبت عمر وجعل
ينتحب ويبكي فقالت له امرأته لا ابكيك رحمك الله ضعها
حيث شئت قال صدقت فراح الى بعض حلقاتك ففعلت
فجعل يصيره الدنانير ثلاثة واربعة وفوق ذلك وتحته

حتى قسمها في فقراء جيرانه وعاد حبيب الى عمر فاخبره فاسترجع
لذلك ولبث اياما واستدعى عميرا فقال ما صنعت بالدنانير
قال اقرضتها الله ليوم فقري قال هل عليك دين قال
لا فامر عمر رضه له بوقر بعير تمر وبثوبين فقال اما الثوبان
فاقبلها واما التمر فلا حاجة لي اليه لاني قد تركت عند
اهلي صاعا من شعير وهو مبلغهم الى وقت ثم انصرف عمير
الى اهله فقال ما لبث الا يوما فخرج عمر رضه وقال لاصحابه
تمنوا فتمنوا فقال لكني اتمنى رجالا مثل عمير استعين بهم على
امور المسلمين **الروضة** الثانية ما حكاه الاصمعي فان كان النعمان
بن امرء القيس بن عمرو الاكبر حتى اشرف على الخورنق وهو الذي
بناه فلما نظر الى ما حوله وكان في فصل الربيع وقد اخذت
الارض زينتها فسرح طرفه مليا فيما حوله وكان معجبا بالشقايق
التي يقال لها شقايق النعمان ومن اجل اعجابه بها وسعه
لها في الارض نسب اليه قال وكان هناك روضة شقايق
فلما تاملها وراى حسن تنضد الشقيق في منابته وقنوه حمرته
وخضرة سوقه وكيف به هبوب النسيم عليه وتناثر القطر
في ارجائه ارتاح قلبه اليه فامر ان يبسط له بازاء تلك الروضة

بساط وشي من الحبر المحلل فكان البساط كانه روضة مختلفة
باصناف النوار وضربت عليه قبة من الديباج الاحمر منضدة
من الجانب بما يضاهيها ويجانسها لونها ولبس من ثياب
الحبر افضل ما عنده ثم جلس في تلك القبة مواجها لتلك
الروضة اكابر قواده وخواص مملكته ووجوه رعيته وفيهم
عدي بن زيد قال فاعجب الملك بما هو فيه فقال لجلسائه
هل رايتم مثل ما انا فيه او علمتم ان احدا اوتي مثل ما اوتيت
قالوا ابيت اللعن ايها الملك ما راينا مثله وعدي بن زيد ساكت لا يتكلم
فنظر اليه الملك مستدعيا لكلامه فقال ايها الملك ان اذنت
لي تكلمت قال تكلم قال عدي ايها الملك ارايت ما جمعت
الشئ هو لك لم يزل ام شئ كان لمن كان قبلك زال عنه
وصار اليك قال بل كان لمن كان قبلي ثم صار الي قال
افتزهو عليك انك تحركت ام شئ عليك قال بل يزول عني
ويصير الى غيري قال فاراك ايها الملك سررت بشئ يذهب
عليك لذته ويبقى عليك تبعته يكون فيه قليلا وترتهن
فيه طويلا قال فبكى النعمان وقال له يا عدي فاين المهرب
قال احد الامرين الاول ان تقيم في ملكك وتعمل بطاعة ربك

على ما ترى وسأل والثاني ان يضع تاجك وتخلع اطمارك
وتلبس اسماكك ثم تلحق ببعض الجبال وحدك تعبد ربك حتى
ياتيك اجلك قال فاذا فعلت ذلك فما لي عنده قال حياة
لا موت وشباب لا يهرم وصحة لا سقم وملك جديد لا يبلى
وكل ما ارى الى فناء وزوال قال نعم قال فاي خير فيما يفنى
ويزول ثم انه ركب من موضعه وسار الى قصره والى
جانبه عدي بن زيد فاتوا على مقبرة فقال عدي اتدري ما
يقول هذه المقبرة ايها الملك قال لا قال انها تقول ايها
الركب المحيون على الارض المجدون كما انتم كنا وكما نحن تصيرون
قال ثم ساروا فمروا بشجرات متشارجات على جارية فقال عدي
ايها الملك اتدري ما تقول هذه الشجرات قال لا قال انها تقول
من رآنا فليحدث نفسه انه موقوف على قرن زوال وصروف الدهر
لا يبقى لها ولا ياتي به صم الجبال رب ركب قد اناخوا حولنا
يشربون الخمر بالماء الزلال عمروا دهرا بعيش حسن
امنين دهرهم غير عجال ثم اضحوا عصف الدهر بهم
وكذا الدهر حالا بعد حال
فلما انتهى الملك الى قصره التفت الى عدي وقال قد علمت
ان

المقبرة والشجرات لا يتكلمن وانما قصدت بذلك عظتي وقد
حصلت الموعظة فاذا كان الليل احضر عندي فان عندي
خبر امتي اطلعك عليه فلما كان وقت الليل حضر عنده عدي فوجده
قد لبس مسوح الشعر واخذ بهيئة السياحة فودع عديا ثم ارتقى
الى الجبل فلم يزل هناك يعبد ربه حتى به رحمة الله تعالى
ما رواه
الثالثة نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال
كان فيمن سلف ملك واراه الناس فلما اعجب بملكه قال
لوزرائه ولعمارته ابنوا لي دارا لا يكون فيها لا يكون
فيها عيب ففعلوا ذلك واراد ان يدعو الناس الى طعامه
في تلك الدار ثم اقعد بالباب رجلين وامرهما ان يسالا
كل من خرج من الدار هل راى فيها عيبا او في الطعام قال
ثم جاء رجلان عليهما الشوف فسالاهما فقالا نعم رأينا في الدار
عيبين قبيحين قالا وما هما قالا ان الدار تخرب و
صاحبها يموت فمضيا واخبرا الملك بما قالا فاحضرهما وسألهما
فذكرا له ذلك فاطرق الملك ساعة ثم قال لهما هل تعرفان
دارا لا تخرب ولا يموت صاحبها قالا نعم قال واين
هي قالا هي دار الله تعالى ربنا وربك وهي الجنة التي

التي تدوم نعيمها ولا يزول ملكها قال فصفها لي صفاها
له قال وباي شيء ينال هذه الدار قال بالعبادة لله
والانقطاع اليه قال وكيف يكون العبادة فشرعا له
الدين فوقع في قلبه انه الحق فقال اقيما عندي هذه
الليلة حتى افكر فيما ذكرتماه لي فان اقمتما في ملكي جعلتكما وزيرين
لا اعصيكما فان خرجت منه تبعتكما على كل حال ثم قام
فدخل على ابنته وكانت عاقلة فهمة فقص عليها ما ذكراه له
واخبرها انه تارك ملكه وخارج معهما فقالت يا ابت تنجي نفسك
وتتركني اهلك قال يا بنية انت عورة فكيف اصنع بك
فقالت اني اكف شخصي فلا يعلم احد اذكر انا ام انثى قال
فاخلعي ثيابك واخرجي ففعلت وخرجت مع ابيها الى الرجلين
فقال لهما سيروا بنا ما دام علينا ظلام الليل وهذا ولدي
اخذته معي فساروا حتى قطعوا المدينة وخرجوا منها ثم ساروا
حتى بلغوا الى دير فقالا له هذا موضعنا الذي نعبد ربنا
فيه فدخلوا اليه جميعا فاقام عندهما مدة طويلة يتعلم منهما
الدين واحكام الشريعة ثم خرج الرجلان عنهما فقالا له ما شانك
تمل ذاك احدنا قال لا ولكني اراكما تكرمان ما كنت فيه من

الملك

من الملك فاريد الى موضع لا اعرف فيه فاكون في عمار
الناس نكرة ومضى حتى اتى ديرا كبيرا كثيرا لاهل فيه
مساكن كثيرة فقال هل من منزل فقيل له ادخل فدخل واختار
مسكنا فكان هو وابنته يعبدان الله تعالى فيه وكان لاهل
ذلك مزرعة وعلى كل رجل من سكان الدير ان يتولاها
سنة كاملة فبلغت النوبة الى الشيخ وكان مريضا فقيل
له في ذلك فقال ان عذري واضح فقالت له ابنته يا ابت
انا اخرج عنك فخرجت الى المزرعة وهي مستترة فما كان يراها
الناس الا قائمة تصلي او في امر هي به مغتبطة قال وكان
بقربهم دير صغير ينسب الى رجل بعينه وكانت فيه ابنة جميلة
فجاءت تلك الابنة حتى اتصلت بها وهي تظن انها غلام
فجعلت تعرض نفسها وجعلت تلك تعتصم بها من شرها فلما
فلما رات الجارية انها لا تفعل قالت لاهلكنك ولاهلكن
اباك ثم انها ذهبت الى راعي فامكنته نفسها منه فحملت
فلما عظم بطنها فقال لها ابوها ما هذا قالت اني كنت
عند ولد الشيخ مطمئنة اليه لما رايت من كثرة عبادته
واجتهاده وكان هذا منه فجاء ابوها واهل ديره

فاخبروا اهل ذلك الدير الكبير بذلك وقالوا لا ينبغى
ان يكون هذا الشيخ وولده عندكم وهموا باخراجه
الا انه لشدة مرضه لم يقدر وعلى ذلك ثم توفى الشيخ مكانه
فلم ياخذوا في جهازه فقال علماؤهم انه لا ذنب له فاغسلوه
وكفنوه وادفنوه واطرحوا ابنه فلابد خل ديركم ففعلوا ذلك
فقالت دعونى ابنى لى بيتا في الصحرا ... شن نفسي فيه
من الساع صنعت لها بيتا فكانت فيه تعبد الله تعالى وتزور
قبر ابيها حتى كانت ليلة من الليالى مر بها رجل من اهل الدير فاذا
باب بيتها مفتوح فنادى ايا فتى فاجابته بصوت ضعيف
فقال احسبك مريضا قالت نعم قال فهل لك حاجة قالت
نعم اذا انا مت فلا يكشفونى ولا تنزعوا اثوابى واغسلوا
الى فيها وادفعونى لى ابى فقد حضرت الى جانبه ثم اصبحوا
فاذا قائل يقول مات ولد الشيخ فقال الرجل الذى اوصيت
اليه اوصانى بكذا وكذا فقال علماؤهم لا بد من سنتنا
ابعثوا اليه من يغسله نجردا من ثيابه ثم كفنوه وادفنوه
الى جانب قبر ابيه كما اوصى قال فلما جاء الرجال فكشفوا
عنها ليغسلوها فوجدوا امراة فغطوها ونادوا في الدير ان

الذى

الذى لا تموه انما هو امراة فبعثوا اليها النسا فغسلوها فلما
خبروا ما حشدوا الى الصلوة اليها عليها جميع من في تلك الارض
ثم دفنوا الى جانب قبر ابيها قال عبد الله بن عمر فلقد كان
اهل تلك الناحية اذا جاء بهم فاقة استسقوا الله تعالى فيسقون
ما حكى ان ملكا من ملوك يونان قام من مدينته
في بعض الغزوات فاتيته اليتيمة على طالبه بثيابه فلبسها
ثم ناولته المراة فنظر فيها وجهه فرأى في لحيته شوبة بيضاء
فقال بها ما هات المواضى فاتيته به فقصها فناولتها الجارية
وكانت حكيمة لبيبة عاقلة فوضعتها في كفها واصغت اليها
اذنها والملك ينظر اليها فقال ما هذا الذى تصنعين
قالت استمع ما يقول هذه الشوبة التى عظم مصابها بمفارقة
الكرامة ما سخطها الملك فقصها فقال الملك وما الذى سمعت
من قولها قالت زعم قلبى انه سمعها يقول كلاما لا اجترى
عليه لسانى خوفا من سطوة الملك فقال لها الملك قولى
ما شئت آمنة ان لزمت قانون الحكمة فقالت انها يقول
ايها المسلط الى امد قصير ان كنت قد علمت منك البطش
والاعتدا على اذ ظهرت على ظاهر بشرتك فلم اظهر في

في وقتي هذا حتى عهدت الى اخوتي من بعدي في ان خذ بثاري
منك اما باستيصالك او بتنغيص لذاتك وتنغيص قولك
حتى بعد الموت راحة لك قال فقال لها الملك اكتبي كلامك
فكتبته له في لوح بتدبره ساعة ثم نهض مبادرا فاتى هيكلا
من هياكلهم فنزع عنه تاجه وثياب الملوك وتزيا بزي النسك
وبلغ ذلك اهل مملكته فبادروا اليه وطالبوه بان يعود
الى ملكه وتدبره فامتنع عليهم وسالهم اقالته وتمليك غيره
فامتنعوا عليه وهموا باخذه قهرا فاصطلح اهل الهيكل
معهم على ان يتركوه في الهيكل يعبد ربه ويستنيب غيره
فيما يستناب فيه من الامور وينهى غير ذلك من الامور
العظام بنفسه مع اقامته في الهيكل فلبث على هذا الامر
حتى قبضه الله تعالى ما حكاه ابو عبد الله
محمد بن ابي محمد بن ظفر الحجازي رحمه الله تعالى ان ملكا من
ملوك الروم كان كافرا عابدا للعيا ذ بالله وكان اذا
ركب لم يرفع احد صوته الا بالثناء عليه وكان له وزير
مؤمن بالله تعالى قد ادرك بعض حواري المسيح وهو يكتم ايمانه
ويتحرى وقتا يمكن فيه دعوة الملك الى الله تعالى فركب

الملك

يوما فسمع شيخا رافعا صوته ببعض شانه فقال للاعوان
خذوه فلما اخذ الشيخ قال ان ربي الله فقال الوزير خلوا
عنه فخلى عنه الاعوان فاشتد غضب الملك على الوزير
ولم يتكره الانكار عليه في ذلك المقام فسكت ليوم الناس
ان الوزير فعل ذلك بامره فلما عاد الملك الى قصره احضر
الوزير وقال له ما دعاك الى هذا وقصدك ازرى بي بمشهد من
عبيدي فقال له الوزير ان لم يحمل الملك على اريته وجه
نصيحتي به وشفقتي عليه فيما اتيته به فقال الملك ارني
فاني لا اعجل عليك فقال الوزير اسال الملك ان
يجلس في مجلسه هذا خلف حجاب فيكون بحيث يرى ويسمع
ما يكون مني فقعد الملك كذلك ثم ان الوزير احضر قوسا
جيدة صنعها للملك بعض خدمه وكتب الصانع اسمه
عليها فاعطى القوس غلامه وقال له اني ساحضر صانع
هذا القوس فاذا حضر او حادثته فاقرأ انت اسم صاحبها
جهرا حتى يعلم انه قد سمعك ثم اكسرها وهو ينظر اليك فحضر القواس
ففعل الغلام ما امره به الوزير فلما كسر القوس لم يتمالك
صانعها ان ضرب الغلام فشجه فقال الوزير انضرب غلامي

لحضرتي قال نعم لانه كسر القوس التي هي صنعتي وعملي وهي
في نهاية الجودة والحسن فلاي شي كسرها وهو يعلم انها
صنعتي قال الوزير فلعله ما علم انها صنعتك قال بلى
ان القوس قد اخبره انه صنعتي قال الوزير ارايت قوسا
تخبر قال نعم ان اسمي كان مكتوبا عليها وقد قراه وانا اسمع
ثم ان الوزير صرف الصانع والغلام وقال للملك قد اوضحت
لك نصحي واشفاقي عليك وذلك انك لما اردت البطش
بالشيخ احذرك ان الله ربه تخف عليك من ربه ان يغضب
له كما غضب هذا القواس لقوسه فقال له الملك وهل
للشيخ رب غيري قال له الوزير الم تره ~~فقال له~~ الملك شيخا
والملك شاب فهل كان قبل ان يولد الملك لا رب له فقال
الملك ان ابي كان ربه قال الوزير فما بال الرب مملكة والمربوب
لي فسكت الملك ساعة ثم قال الآن علمت ان للملك والمملوك
ربا لا يزول فهل هو هو قال الوزير نعم قال فصفه لي ودلني عليه
فشرع الوزير يشرح له صفات الخالق واوضح له الدلالة
على ذلك فانشرح صدر الملك للايمان فآمن بالله تعالى
فلما رسخ في قلبه التوحيد قال اما لربنا خدمة يتقرب

اليه

اليه بها قال انه غني عن كل شيء قال فما ازكى شي
اذا فعلناه حصينا عنده قال بلى ان له وظايف امرنا
بها ورضي لنا فعلها ووعدنا عليها رضوانه والقرب منه
فذكرها له فذكر الصلوة والصيام وغيرهما من شرايع المسيح
عليه السلام فوقرها الملك وارتضى بها حتى صارت له
طبعا ثم قال يوما للوزير ما لك لا تدعوا الناس الى الله تعالى
كما دعوتني فقال الآن امتهم لهم قلوب قد قست ونفوس فظيعة
ونفوس عصيبة ولست آمنهم على نفسي فقال الملك انا افعله
ان لم تفعله انت فقال الوزير ليعلم الملك انهم ان لم تردهم
هيبته عني لم تردهم عنه وسآتيه بنفسي آيسا من النجاة
فليحذرهم الملك على نفسه ان اخبروا بالقتل ثم ان الوزير احضر
وجوه اهل تلك المملكة وولاة احكام رعاياه ووافق ضلها فلما
اجتمعوا في منزله قام فيهم خطيبا بالدعوة الى التوحيد فتوثبوا
عليه فقتلوه ثم اتوا الى الملك في جزوه بما كان من وزيره
فاظهر لهم الرضى بقتله فانقلبوا عنه راضين ثم ان
الملك ضاق صدره على وزيره فلما كان الليل لبس مسوح
النسك والتحق بالرهبان ونبذ ما كان فيه من الملك ولم

يزل لعبد الله تعالى حتى قضى نحبه تمت حكايات الطبقة الثانية
من ملوك خمس روضات   ما حكاه مالك بن
انس رض ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولى
الخلافة دخل عليه محمد بن كعب وعنده هشام بن مصاد
فقد وعظه فابكاه فقال له محمد الذي ابكاك يا امير المؤمنين
قال ابكاني هشام حين ذكرني وقوفي بين يدي ربي
فقال له محمد يا امير المؤمنين انما سوق من الاسواق منها
خرج الناس بما نفعهم ومنها خرجوا بما ضرهم فلا يكن من
قوم قد غرهم منها مثل الذي اصبحنا فيه حتى اتاهم الموت
فاستوعبهم منها فخرجوا منها ملومين لم ياخذوا لما احبوا
من الاخرة عدة ولا لما كرهوا جنة فقسم ما جمعوا من لا يحمدهم
وصاروا الى من لا يعذرهم فانظر يا امير المؤمنين الى
تلك الاعمال التي تغبطهم بها فاخلفهم تحب ان يكون معك
اذا قدمت على ربك فاستمتع منه وابدل حينئذ يوجد البدل
ولا تذهبن الى سلعة قد بارت على من كان قبلك ترجوا
ان تجوز عنك فاتق الله يا امير المؤمنين وافتح الباب
وسهل الحجاب وانصر المظلوم واردع الظالم يا امير المؤمنين

ثلاث

ثلاث من كن فيه استكمل الايمان من اذا رضي لم يدخله
رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق
واذا قدر لم يتناول ما ليس له قال فاشتد بكاء عمر بن
عبد العزيز وعلا نحيبه قال اللهم اعني على ما ابتليتني
به من امر عبادك وبلادك وارزقني فيهم العمل بطاعتك واختم
لي منك بخير وعافية   ما حكى ان سليمان بن عبد
الملك لما قدم المدينة اقام بها ثلاثا فقال ما ههنا رجل عابد
من التابعين اسمه ابو حازم ادرك جماعة من اصحاب رسول
الله صلى الله ونقل عنهم الاحاديث فبعث اليه فلما جاءه
واستوى به المجلس قال له سليمان يا ابا حازم ما لنا نكره الموت
قال لانكم اخربتم اخرتكم وعمرتم دنياكم فانتم تكرهون النقلة
من العمران الى الخراب قال صدقت يا ابا حازم فكيف القدوم
على الله تعالى قال يا ابا الحسن فكالغائب يقدم على اهله واما
المسيء فكالعبد الآبق يقدم على مولاه قال فبكى سليمان
وقال ليت شعري ما لنا عند الله يا ابا حازم فقال اعرض
نفسك على كتاب الله تعالى فانك تعلم ما لك وما عليك
قال واين اصيب ذلك من كتاب الله قال عند قوله

تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال يا ابا حازم
فاين رحمة الله تعالى قال قريب من المحسنين قال فبكى سليمان
واطرق ثم رفع راسه وقال يا ابا حازم من اعقل الناس قال
من تعلم الحكمة وعلمها الناس قال فمن احمق الناس قال من دخل
في هوى رجل ظالم فباع اخرته بدنيا غيره فقال ما يقولون فيما نحن
فيه فقال اعفني من هذا السوال قال سليمان انما هي نصيحة تبلغها
فقال ان اباك اخذوا هذا الامر من غير مشورة من المسلمين
ولا اجماع من رايهم فسفكوا الدماء على طلب الدنيا ثم ارتحلوا
عنها فليت شعري ما قالوا وما قيل لهم فقال لهم رجل من جلسائه
بئس ما قلت يا شيخ قال ابو حازم كذبت والله يا جليس
السوء ان الله تعالى اخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس
ولا يكتمونه فقال سليمان يا ابا حازم كيف لنا على الصلاح
قال تدع التكلف وتتمسك بالنصفة قال فكيف الطريق
الماخذ لذلك قال تاخذ المال من حله وتضعه في اهله
قال ومن يقدر على ذلك قال من قلده الله تعالى من الارض
ما قلدك قال اصحبنا يا ابا حازم تصيب منا ونصيب
منك قال اعوذ بالله من ذلك قال ولم ذاك قال

احاف

اخاف ان اركن اليكم شيئا قليلا فيذيقني ضعف الحيوة وضعف
الممات قال يا ابا حازم فدلني على ما اصنع قال اتق الله ان
يراك حيث نهاك او يفقدك حيث امرك قال ادع لنا يا
ابا حازم قال اللهم ان كان سليمان وليك فيسره للخير في الدنيا
والآخرة وان كان عدوك فخذ بناصيته الى فعل الخير واصلحه
في الدنيا والآخرة فقال سليمان يا غلام اعط ابا حازم مائة
دينار يقضي بها دينه قال لا حاجة لي اليها فاني اخاف
ان يكون عوضا من كلامي فيكون اكل الميتة احب الي من
اخذها ثم نهض فخرج من عنده فلما دخل عليه قال يا ابا حازم
اعطنا عظة ننتفع بها قال ان هذا الامر لم يصل اليك
الا بموت من كان قبلك وهو خارج عن يدك مثل ما صار
اليك فبكى سليمان وكاد يسقط عن جنبه فلما افاق قال
ابو حازم انما انت سوق ما نفق عندك حمل اليك من
خير وشر فاختر لنفسك ايهما شئت قال سليمان ارفع الي
حوائجك يا ابا حازم قال هيهات فاني قد رفعتها الى من لا
تحتجب دونه الحوائج فما اعطاني منها قنعت وما منعني منها
رضيت وذلك اني نظرت في هذا الامر فاذا هو على قسمين

احدهما لى والآخر لغيرى اما ما كان لى فلو انى اختلت
فيه بكل حيلة ما وصلت اليه قبل اوانه الذى قدر لى فيه
واما الذى لغيرى فذلك الذى لا تطمع نفسى فيه وكما منع غيرى من
رزقى كذلك منعت انا من رزق غيرى ثم تركه وانصرف قال
فما برح سليمان بعد ذلك متواضعا حتى مات [illegible] ما حكاه
ابو القاسم عبد العزيز بن حسن باسناده ان امير المومنين
المنصور بعث الى الاوزاعى وهو بالساحل فاحضره عنده
فلما استقر به المجلس قال له المنصور ما الذى ابطاك عنا يا
اوزاعى قال وما الذى تريد منى يا امير المومنين قال اريد
الاخذ عنك والاقتباس منك قال يا امير المومنين لا
تجهل شيئا مما اقوله لك قال وكيف اجهله وانا اسالك عنه
قال يا امير المومنين تسمعه ولا تعمل به قال فصاح به الربيع
واهوى بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا
مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فقال الاوزاعى يا امير المومنين
حدثنا مكحول بن عطية رضى قال قال رسول الله صلعم
ايما عبد جاءته موعظة من الله فى دينه فانها نعمة من الله سيقت
اليه فان قبلها شكره والا كانت حجة من الله عليه ليزداد

اثما ويزداد ذاته بها عليه سخطا وقد بلغنى يا امير المومنين ان
رسول الله صلعم قال ايما وال بات غاشا لرعيته حرم عليه
الجنة يا امير المومنين ان الذى لين لك قلوب الامة حين ولاك
امورهم لقرابتك من نبيه عم لحقيق ان تقوم لهم فيهم بالحق
وان تكون بالقسط ولا تقيم عليك دونهم الحجاب وان تبتهج با
لنعمة عندهم وانفس لما اصابهم من مكروه يا امير المومنين
لقد كنت فى شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس
الذين اصبحت تملك احمرهم واسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له
عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبعثك الله يوم القيمة
وليس منهم احد الا وهو يشكو بلية اذ خلتها عليه او ظلامة
سقتها اليه يا امير المومنين حدثنى مكحول قال كانت بيد
رسول الله صلعم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين
فاتاه جبرئيل عم فقال يا محمد ما هذه الجريدة التى كسرت بها قلوب
امتك وملات قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق استارهم وسفك
دماءهم وخرب ديارهم واخذ اموالهم واجلاهم عن بلادهم و
حارثه اذاقهم الخوف يا امير المومنين حدثنى مكحول عن زياد بن
عن حبيب بن سلمة رضى الله ان رسول الله صلى الله عم

دعى الى القصاص من نفسه في خدش خدشه اعرابيا لم
يتعمده فاتاه جبرئيل عم فقال يا محمد ان الله تعالى لم يبعثك
جبارا ولا متكبرا فدعى رسول الله صلعم الاعرابي فقال اقتص
مني فقال الاعرابي قد احللتك يا رسول الله بابي انت وامي
وما كنت لافعل ذلك ابدا فدعى له رسول الله صلى الله عليه بالخير
يا امير المؤمنين رض نفسك لنفسك وانزلها الامان من
ربك وارغب في جنة عرضها السموات والارض التي يقول
فيها رسول الله صلعم لقيد قوس احدكم من الجنة خير من الدنيا
وما فيها يا امير المؤمنين ان الملك لو بقي لمن كان قبلك لم يصل
اليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك يا امير المؤمنين اتدري
ما جاء في تاويل قول الله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها قال رسول الله صلى الله الصغيرة التبسم
والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الايدي وحصدته الالسن
يا امير المؤمنين بلغني ان عمر بن الخطاب رض قال لو ماتت
سخلة على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت ان اسأل عنها فكيف
بمن حرم عدلك وهو على بساطك يا امير المؤمنين اتدري ما
جاء في تاويل هذه الآية عن جدك عبد الله بن عباس

رض

رضى عنهما يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم
بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل
قال يا داود اذا قعد الخصمان بين يديك وكان لك في
احدهما هوى فلا تتمنى نفسك ان يكون الحق له فيفلح على صاحبه
فامحوك من نبوتي يا داود انا جعلت رسلي الى عبادي رعاه
كرعاة الابل الذين يعرفون الكسير ويدلون الهزيل على
الكلأ والماء يا امير المؤمنين انك قد بليت بامر لو عرض
على السموات والارض والجبال لابين ان يحملنه واشفقن
منه وقد حدثني جابر عبد الرحمن عمرة الانصاري ان عمر
بن الخطاب رضه استعمل رجلا من الانصار على الصدقة
فرآه بعد ايام مقيما فقال ما منعك من الخروج الى عملك
اما علمت ان لك فيه اجر المجاهدين في سبيل الله قال
لا قال فكيف ذلك قال لانه بلغني ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما من وال يلي شيئا من امور المسلمين
الا اتى يوم القيمة مغلولة يده الى عنقه فيوقف على جسر من
النار فينتفض به الجسر انتفاضة يزيل بها كل عضو
منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فان كان محسنا

نجا باجابته وان كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فهوى في
النار سبعين خريفا فقال له عمر ممن سمعت هذا قال من
ابي ذر وسلمان فارسل اليهما عمر رض وسالهما عن ذلك
فقالا نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى عمر رض
فقال واعمراه من يتولاها بما فيها فقال ابو ذر رضي الله عنه
من سلخ الله انفه والصق خده بالارض قال فبكى المنصور
واخذ المنديل فوضعه على وجهه وجعل ينتحب في بكائه حتى ابكى
الحاضرين فامسك الاوزاعي ساعة ثم قال يا امير المؤمنين
ان جدك العباس رضي الله سال رسول الله صلى الله عليه وسلم امارة على
مكة شرفها الله والطايف واليمن فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا عم النبي نفس تحييها خير لك من امارة لا تحصيها وهذه نصيحة
منه لعمه وشفقة منه عليه يا امير المؤمنين بلغني ان عمر بن
الخطاب رضي الله قال الا وان اربعة ائمة ظلف نفسه وعماله
فذلك كالمجاهد في سبيل الله تعالى يد الله باسطة عليه
بالرحمة وامام فيه ضعف ظلف نفسه وارتع عماله لضعفه فهو
على عماله وارتع نفسه فذلك هو الحطمة التي قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم شر الرعاة الحطمة الهالك وحده الذي ارتع

نفسه

دايم

نفسه وعماله فهلكوا جميعا يا امير المؤمنين بلغني ان
عمر الخطاب رضي الله قال اللهم ان كنت تعلم اني ابالي
اذا قعد الخصمان بين يدي على من مال الحق معه من قريب او
بعيد فلا تمهلني طرفة عين يا امير المؤمنين ان اشد الشدة
القيام لله تعالى بحقه وان اكرم الكرم عند الله التقوى وانه
من طلب العز بطاعة الله رفعه الله واعزه ومن طلبه بمعصية
الله تعالى واذله وهذه نصيحتي اليك والسلام عليك
ورحمة الله وبركاته قال فلما سكن عن المنصور البكاء
رفع راسه اليه وقال يا اوزاعي انت مقبول القول غير متهم
في النصيحة وقد سمعناها منك فصادفت قبولا ان شاء
الله تعالى والله الموفق للخير والمعين عليه يا ربيع ادفع الى
الاوزاعي ما تستعين به على زمانه قال يا امير المؤمنين اني
في غنى عن ذلك ما كنت ابيع نصيحتي بشيء من عرض الدنيا
ثم انه ودع المنصور   ما حكاه ابن عبد
ربه قال قدم امير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله تعالى و
عظمها حاجا فنزل في دار الندوة وكان يخرج في آخر الليل
الى الطواف فيطوف ويصلي ولا يعلم احد من الناس فاذا

طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا
عليه ثم يقام الصلوة فيصلي بالناس فان خرج
ذات ليلة حين اسحر فبينما هو يطوف اذا سمع رجلا عند
الملتزم وهو يقول اللهم اشكوا اليك ظهور البغي والفساد
في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فاسرع
المنصور في مشيته حتى ملا مسامعه من قوله فرجع فجلس
ناحية من المسجد وارسل اليه فدعاه فلما حضر قال له المنصور
ما هذا الذي سمعتك تقول من ظهور البغي والفساد في الارض
وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فقال الرجل يا امير المؤمنين
ان الله تعالى استرعاك امور المسلمين واموالهم فاهملت امورهم
واهتممت بجمع اموالهم وجعلت بينك وبين المسلمين حجابا
من الجص والآجر وابوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنت
نفسك فيها وبعثت عمالك في جمع الاموال وجبايتها واتخذت
وزراء ظلمة واعوانا غشمة ان نسيت لم يذكروك وان احسنت
لم يعينوك ثم قويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع و
السلاح وامرت بان لا يدخل من الناس الا فلان وفلانا
نفرا سميتهم ولم تامر بادخال المظلوم ولا الملهوف ولا الجايع

ولا

ولا العاري ولا الضعيف فلما رآك هؤلاء النفر الذين
استخلصتهم لنفسك واثرتهم على رعيتك قد صنعت هذا
كله قالوا هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخره الله تعالى فاتمروا
على ان لا يصلون اليك من اخبار رعيتك الا ما ارادوا
ومتى اخرجت عاملا في خلافهم امر اقصوه وابعدوه وبلغوك
عنه المكروه حتى يسقط من عينك فلما استهر ذلك عنهم اعظمهم
الناس وهابوهم وكان اول من صانعهم بالهدايا والاموال
عمالك ليتقووا على ظلم الرعية ثم فعل ذلك اهل القدرة و
الثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلات
بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركائك
في سلطانك وانت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين
الدخول اليك وان اراد قصته عليك عند ظهورك لم ياخذها
احد وان اخذها لم يوصلوها اليك واذا استغاث بك مظلوم
باعلى صوته ضربوه ضربا شديدا كما تبح الاسلام بعد
ذلك ولقد كان بنو امية لا ينتهي اليهم المظلوم الا رفعت
ظلامته وكان الرجل ياتي من اقصى البلاد حتى يبلغ باب
سلطانهم فينادي باعلى صوته يا اهل الاسلام فيبتدرون

اليه ويقولون ما لك فيه فيعرفون ظلامته الى سلطانهم
فينصف بينه وبين ظالمه ولقد كنت يا امير المؤمنين
اسافر الى بلاد الصين وبها ملك قد ذهب سمعه فجعل
يبكي فقال له وزراؤه لا بكت عيناك ايها الملك ثم بكاؤك
فقال لهم لست ابكي على ذهاب سمعي واني ابكي لان المظلوم يقف
بالباب يصرخ فلا اسمعه ثم قال لئن كان ذهب سمعي فما ذهب
بصري فنادوا في الناس لا يلبس ثوبا احمر الا مظلوم فكان
يركب في كل يوم فيله ويخرج لعله مظلوما فينصفه فهذا يا
امير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت عليه رأفته على المشركين
وانت مؤمن بالله تعالى وابن عم نبيه عليه افضل الصلوات
واكمل التحيات لا تغلبك رأفتك على المسلمين فما تقول
اذا انزع الله منك ملك الدنيا ودعاك الى الحساب غدا هل
ينفعك الندم اذا زلت بك القدم قال فبكى المنصور واعلن با
لنحيب ثم قال يا ليتني لم اخلق ثم قال كيف احتيالي ولم ار من
الناس الا خائنا فقال الرجل يا امير المؤمنين عليك با
لائمة المرشدين قال ومن هم قال العلماء فقال فقد فروا عني
وهربوا مني قال انما فروا عنك وهربوا منك مخافة ان يكلمهم

ع

على ما ظهر منك من قبيح عمالك ولكن افتح الباب وسهل
الحجاب وانصر المظلوم وخذ المال من حله واقسمه في اهله وا
انا ضامن لك ان من هرب بك يأتيك فيعاونك على صلاح
امرك فقال المنصور اللهم وفقني ان اعمل بما قال هذا الرجل
ثم جاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلاة فخرج يصلي با
لناس وقال للحرسي عليك بحفظ هذا الرجل حتى افرغ
من الصلاة قال فلما فرغت الصلاة التفت الحرسي يطلب
الرجل في موضعه فلم يره فاخبر المنصور بذلك فاشتد غضبه
على الحرسي وقال لئن لم تأتني به لاضربن عنقك فخرج الحرسي
يطوف عليه واذا به في بعض الشعاب قائم يصلي الفجر فقال له
اجب امير المؤمنين قال ليس لي الى ذلك سبيل قال فانه قد زعم
ليضربن عنقي ان لم آتيه بك قال انه لن يقدر على ذلك ثم اخرج
من جيبه رقعة مكتوبة وقال اجعل هذه في جيبك فان
فيها دعاء الفرج فانه اذا قرأه ذهب غيظه وخشع قلبه قال
من دعا فيه صباحا ومساء ذهبت ذنوبه ودام سروره وبسط
الله له في رزقه واعانه على عدوه وكان آمنا من ظلم الجبارين
ولا يموت الا شهيدا قال ثم كانه كان حصاة ملح ذابت

فلم اره ثم رجع الحسن الى المنصور فلما دخل عليه نظر اليه
وتبسم وقال ويلك الحسن الشيخ قال لا والله يا امير المؤمنين
ولكني وجدته وكان من حديثه كذا وكذا كيت وكيت فقال
المنصور ادفع الى الرقعة فدفعها اليه فنظر فيها وجعل يبكي
ثم انه نسختها وارسل بعشرة آلاف درهم وقال لا تعرفون
من كان الرجل قال الحاضرون لا يا امير المؤمنين قال
ذاك هو الخضر عليه الصلوه والسلام ثم دفع الرقعة الى من
قرأها على الحاضرين فكان فيها اللهم كما لطفت بقدرتك دون
اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت ارضك
كعلمك بما فوق عرشك وكانت الوساوس كالعلانية عندك
وعلانيته كالسر في علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع
كل ذي سلطان لسلطانك وصار امر الدنيا والآخرة كله
بيدك اجعل لي من كل هم امسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك
عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك عن قبيح عملي اطمعني
ان اسألك ما لا استوجبه مما قصرت ادعوك امنا واسألك
مستأنسا وانت المحسن الي وانا المسيء على نفسي فيما بيني
وبينك وانت التواب الرحيم وقيل هذه الآية من تتمة

دعاء

دعاء الخضر عليه السلام تودد الي وابتغض اليك لكن الثقة
بك احملتني على الجرأة عليك فعد بفضلك واحسانك
علي وانت ارحم الراحمين قال فلما رجع المنصور عليه الرحمة
الى بغداد بعث له وجاء به ثم انه فتح الباب وسهل الحجاب ولم
يزل عاملا بقوله حتى وصل الى رحمة الله تعالى
ما حكاه الفضل بن الربيع قال حج الرشيد فحججت
معه فبينما انا نائم ذات ليلة اذا سمعت قرع الباب فخرجت
فوجدته الرشيد فقلت يا امير المؤمنين لو ارسلت الي اتيتك
فقال ويحك انه قد حاك في صدري شيء فانظر لي رجلا اسأله فقلت
ان ههنا سفيان بن عيينة فقال امض بنا اليه فاتيناه
فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت اجب امير المؤمنين
فخرج مسرعا فقال يا امير المؤمنين لو ارسلت الي لاتيتك فقال
خذ لما جئناك له يرحمك الله فحادثه ساعة ثم قال اعليك
دين قال نعم يا امير المؤمنين قال يا ابا العباس اقض دينه
ثم انصرفنا فقال ما اغنى عني صاحبك شيئا فانظر لي رجلا اسأله
فقلت ههنا عبد الرزاق بن همام قال امض بنا اليه فاتيناه
فقرعت عليه الباب فقال من هذا قلت اجب امير المؤمنين

فخرج مسرعا فقال يا امير المؤمنين لو ارسلت الي لاتيتك
قال خذ لما جئناك له يرحمك الله فحادثه ساعة ثم قال اعليك
دين قال نعم يا امير المؤمنين قال يا ابا العباس اقض
دينه ثم انصرفنا من عنده فقال ما اغنى صاحبك شيئا
فانظر رجلا اسأله قلت ههنا الفضيل بن عياض
الفقيه الزاهد فقال امض بنا اليه فاتيناه فسمعناه يقرا
القرآن من كتاب الله تعالى وهو يردده فقرعت عليه
الباب فاجابني بصوته وقال من هذا قلت اجب امير
المؤمنين فقال مالي ولامير المؤمنين قلت سبحان الله العلي
الكريم اما عليك طاعة فنزل وفتح الباب ثم ارتقى الى الغرفة
فاطفأ السراج ثم التجأ الى زاوية واخفى خده فجعلنا نجول
عليه بايدينا فسبقت كف الرشيد اليه فقال الرشيد خذ
لما جئناك له يرحمك الله فقال يا امير المؤمنين ان عمر بن
عم ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة وقال لهم اني
قد ابتليت بهذا البلاء فاشيروا علي ما اصنع فعد الخلافة
بلاء وانت واصحابك تعدونها نعمة فقال له سالم بن عبد
الله ان اردت النجاة من عذاب الله عز وجل فصم عن الدنيا

ولكن

وليكن افطارك فيها الموت وقال له محمد بن كعب ان اردت
النجاة غدا من عذاب الله تعالى فليكن كبير المسلمين لك
ابا واوسطهم عندك اخا وصغيرهم ولدا فوقر اباك وارحم اخاك
وتحنن على ولدك وقال له رجاء بن حيوة ان اردت النجاة
غدا من عذاب الله تعالى فاحب للمسلمين ما تحبه لنفسك
واكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت متى شئت فهل عندك يا امير
المؤمنين مثل هولاء القوم او من يامرك بمثل هولاء الامر
واني لاقول لك هذا واخاف عليك اشد الخوف يوم تزل
الاقدام قال فبكى هارون الرشيد بكاء شديدا حتى غشي
عليه فقلت له يرحمك الله ارفق بامير المؤمنين فقال يا
ابن الربيع قتلته انت واصحابك وارفق انا به فلما افاق ق
قال زدني عظة فقال يا امير المؤمنين بلغني ان عاملا
لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه شكى اليه فكتب اليه عمر
يا اخي اذكرك سهر اهل النار في النار وخلود الابد فان
فان ذلك يطرد بك الى ربك نائما ويقظانا واياك ان
ينزل بك قدمك عن هذه السبيل فيكون آخر العهد
بك منقطع الرجاء منك فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى

قوم عليه فقال له ما اقدمك علي فقال له خلعت قلبي
فوالله لا وليت لك ولاية قط حتى القى الله تعالى فبكى
هارون رحمه الله ثم قال زدني رحمك الله فقال يا امير
المؤمنين ان العباس عم النبي عليه الصلوة جاء اليه وقال
يا رسول الله امرني امارة فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا عباس نفس تحييها خير لك من امارة لا تحصيها
ان الامارة حسرة وندامة يوم القيمة فان استطعت ان
لا يكون اميرا فافعل قال فبكى هارون ثم التمس زيادة
فقال يا شيخ زدني يرحمك الله قال يا حسن الوجه انت
الذي يسألك الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيمة فان استطعت
ان تقي هذا الوجه من النار واياك ان تصبح وتمسي وفي قلبك
غش لرعيتك فقد قال رسول الله صلى الله من اصبح غاشا
لرعيته لم يرح رائحة الجنة قال فاشتد بكاء هارون فامسك
عنه الفضيل فلما افاق قال هل عليك دين قال الفضيل
نعم دين لربي لم يحاسبني عليه فالويل لي ان حاسبني والويل
لي ان لم يلهمني حجتي فقال الرشيد انما اردت دين العباد
فقال الفضيل رحمه الله لما فان ربي لم يامرني بهذا بل

امرني

ان اصدق وعده واطيع امره فقال تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما
اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال
هارون هذه الف دينار خذها وانفقها على عيالك وتقوى
بها على عبادة ربك فهي من وجه الحل فقال سبحان الله انا ادلك
على النجاة وانت تدعوني الى النار ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا
من عنده فلما صرنا على الباب سمعنا امراة من نسائه تضارب الفضيل
وتقول يا هذا قد ترى ما نحن فيه من الضايقة وسوء الحال
فلو قبلت منه هذا المال لتعوضنا به على زماننا فقال لها
انما مثلي ومثلكم كقوم لهم بعير ياكلون من كسبه فلما عجز عن
الكسب نحروه واكلوا لحمه قال فلما سمع الرشيد ذلك قال
يا فضل ادخل بنا اليه فلعله يقبل منا هذا المال فدخلنا
عليه ثانيا فلما احس بنا خرج على السطح على التراب فجلس
الرشيد الى جانبه وجعل يكلمه فلم يجبه فخرجت جارية سوداء
فقالت يا هذا قد اذيت الشيخ منذ الليلة فانصرف عنه
يرحمك الله قال فلما خرجنا من عنده قال لي الرشيد اذا
دللتني على رجل فدلني على مثل هذا الرجل هذا اليوم

منذا في الزمان منذا سيد المرسلين وبقية الائمة المرشدين
من الملوك والسلاطين فهم الاكثر ون قلوبهم
خبيثه وانفسهم عصبته يؤثرون اللذات على العبادات
وفي الحد ه منهم بالابصار كفاية عن الاخبار وقد انتهينا
في كتابنا منذا الى ما حاولنا ايراده وجمعه على الوجه المذكور
والنمط المسطور فالمنة والحمد لله لقد اوردنا فيه كما اردنا و
اتينا ما ضمناه بعد او ضحناه وذلك وسع الطاقة وجهد
المقل كما قيل جهد المقل دموعه وعلى الله اتوكل وبه استعين
وهو حسبي ونعم الوكيل والحمد لله حمدا كثيرا و
صلوته على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى
آله وصحبه اجمعين تمت

لابي موهوب ابو الحسن علي بن المبارك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على انعامه وافضاله والصلوة على سيدنا محمد
وآله رسم مولانا الامير الاسفهسلار الاجل السيد الكبير
العالم العادل مجاهد الدين معين الاسلام سعد الدولة
بهاء الملة فخر الامة مجد الملوك والسلاطين ابو المحاج والحسن
الب قيلغ بن ملج بك ابو منصور قايماز الزيني معين
امير المؤمنين ادام الله نصره وانفذ امره وخلد سلطانه و
شيد اركانه وبسط على اكناف البسيطة عدله واعلى في الدارين
منزلته ومحلة لخادمه وعبد انعامه وربيب مكارمه ابي
الحسن علي بن المبارك موسوم ان ينقل هذا الكتاب
وهو كتاب نصيحة الملوك من الالفاظ الفارسية الى اللغة
العربية فامتثل لمملوك رسمه وقابل بالطاعة حكمه وفصله
على ترتيبه وصورته ولم تغير شيئا من وضع الكتاب وصنعته
واجتهد في تسهيل عباراته وايضاح اشاراته قصد المتعمل
الكلام ليكون اقرب الى الافهام بقدر ما بلغته بلاغته
وافصحت عنه فصاحته وترجمت عما استشهد به مؤلف
الكتاب من الاشعار الفارسية بالاشعار العربية الاثارة

الى معانيها وتلويحا الى مقاصدها ومقارنتها وانا اعتذر
من تقصيري غاية الاعتذار اذ لم اكن من فرسان هذا المضمار
فليتجاوز عن قصوري بطولهم الكرماء وليصفح له عن نقصي
بفضلهم العلماء، من وجد في كلامي خللا فستره او اصاب زللا
فغيره جاز بذلك جميل الذكر وجزيل الاجر وما توفيقي الا بالله
عليه توكلت واليه انيب قال الشيخ الامام حجة الاسلام
شرف الائمة خير الانام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي عليه
الرحمة والرضوان وموجها خطاب السلطان محمد بن ملكشاه
طاب الله ثراه اعلم ايا سلطان العالم وملك المشرق ان لله تع
عليك نعما ظاهرة وآلاء متكاثرة يجب عليك شكرها ويتعين
اذاعتها ونشرها ومن لم يشكر نعم الله جل ثناؤه فقد عرض تلك
النعم للزوال وتحمل ممن تنقصه يوم القيمة والمآل وكل نعمة تنقطع
بالموت فليس لها عند العاقل قدر ولا عند اللبيب خطر
لان العمر وان تطاولت مدته لا ينفع طوله اذا انقضى امده
وفني عدده فان نوحا صلى الله عليه وسلم عاش الف سنة
ونيفا ومذ موته الى الآن خمسة الف سنة وكانه لم يكن فالقدر
للنعمة التي تبقى على الدوام وتدوم مدى الليالي والايام

وهي نعمة الايمان الذي هو بذر السعادة المؤبدة والنعمة
المخلدة والله جلت آلاؤه قد خولك بهذه النعمة وزرع بذر
الايمان في صحن صدرك واودعه في قلبك وسوغك ومكنك
من تربيته ذكرا لبذر وارادك ان تنقيه في الطاعة حتى يصير
شجرة اصلها في قرار الارض السفلى وفرعها في السموات العلى
كما قال عز وجل من قائل الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة
كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء واذا لم تثبت
اصل الشجرة وهي شجرة الايمان ولم يكمل فرعها تخاف عليها من
هبوب رياح الموت وعواصف الموت فتنقلع عند النفس
الاخير فيبقى العبد والعياذ بالله بغير ايمان ويلقى ربه بغير احسان
واعلم ايها الملك ان لهذه الشجرة عشرة اصول وعشرة فروع
فاصلها الاعتقاد بالجنان وفرعها العمل بالاركان وهذا
الداعي لما صادق القبول من المجلس العالي شرح هذه العشرة
الاصول والعشرة الفروع ليشتغل سلطان العالم بتربية هذه
الشجرة وانما يصلح له ذكر اذا افرد يوما من ايام الاسبوع لعبادة
ربه والاشتغال فيه بعمل الاخرة وهو يوم الجمعة فانه عيد
المؤمنين وفيه ساعة كل من سأل الله تعالى فيها حاجة

بنية حاضرة وسريرة طاهرة فانه جل ذكره يقضي حاجته ولا يخيب
دعوته وماذا عليك لو افردت من سبعة ايام يوما واحدا
لخدمة ربك فانه في المثل لو كان لك عبد واردت ان يشتغل في كل
اسبوع يوما واحدا لخدمتك ليتهذب به تقصيره في الايام الستة
فخالفك ذلك العبد كيف يكون حاله عندك مع ان العبد ليست
لخالقه وانما هو عبدك مجازا وانت ايها الملك مخلوق للخالق تعالى
وعبده على الحقيقة فلم ترضى من نفسك ما لا ترضاه من مملوكك
فاتق الصيام من ليلة الجمعة وان اضفت اليه ليلة الخميس كان
اولى وتم يوم الجمعة صبحي واغتسل والبس من ثياب ما له
ثلث صفات احدها ان يكون حلالا وان يكون مما يجوز فيه
الصلوة وان لا يكون ابريسما فان الضعيف الذي يبقى القصب
والتورى والكتان وفي ان نسيج الخز والقطن والصوف
الروى وكل ثوب على غير هذه الصفة فان الله لا يرضاه
وصل الصبح في جماعة ولا تتكلم الى ان تطلع الشمس ولا تحول
وجهك عن القبلة وخذ السبحة بيدك وقل لا اله الا الله محمد رسول
الله الف مرة فاذا طلعت الشمس فارق ما ياتي عليك من هذا
الكتاب وكذلك فليقرأ عندك كل جمعة ليحصل في محفوظك

فاذا فرغ القارى من قراءة الكتاب فيصلي اربع ركعات
وسبح الى وقت الضحى فان ثواب هذه الصلوة عظيم وخاصة
يوم الجمعة وبعد ذلك ان كنت على تخت السلطنة في الخلوة فقل
اللهم صل على محمد وعلى آله متواترا ومهما قدرت ان تتصدق به
في هذا اليوم تصدق واجعل هذا اليوم الواحد من ايامها الاسبوع
لله تعالى ليجعل الله ما في الاسبوع مكفوا عنك والله اعلم واحكم
ابتداء قاعدة الايمان الذي هو اصل الايمان اعلم ايها
السلطان انك مخلوق ولك خالق وهو خالق العالم وانه موجد لهم
وجميع ما في العالم وانه واحد لا شريك له فرد لا مثل له كان في
الازل وليس لكونه زوال ويكون مع الابد وليس لبقائه
فناء وجوده في الازل والابد واجب وما للعدم اليه سبيل
وهو موجود بذاته وكل احد اليه محتاج وليس له الى احد احتياج
وجوده به وجود كل شيء الاصل الثاني في تنزيه الخالق تعالى
اعلم ان البارى تعالى وتقدس ليس بصورة ولا قالب فانه
لا ينزل ولا يحل في قالب وانه تعالى منزه عن الكيف والكم ولم
انه لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء وكلما يخطر في الوهم والخيال و
الفكر بين التكييف والتمثيل فانه منزه عن ذلك لان تلك

الصفات

الصفات من صفات المخلوقين وهو خالقها فلا يوصف
بها وانه تعالى هو ليس في مكان ولا على مكان لان المكان
لا يحفظه وكل ما في العالم فانه تحت عرشه والعرش تحت قدرته وتسخيره
وانه قبل خلق العرش كان منزها عن المكان وليس العرش
بحامل له بل العرش وحملته يحملهم لطفه وقدرته وانه مقدس عن
الحاجة الى المكان قبل خلقه العرش وبعد خلقه وانه متصف
بالصفة التي كان عليها في الازل ولا سبيل للتغير والانتقال
الى صفاته وهو متقدس عن صفات المخلوقين منزه وهو في
الدنيا معلوم وفي الآخرة مرئي كما يعلمه في الدنيا بلا مثل ولا شبه
كذلك يراه في الآخرة بلا مثل ولا شبه لان تلك الرؤية لا تشبه
رؤية الدنيا ليس كمثله شيء الاصل الثالث في القدرة
وانه تعالى على كل شيء قدير وان قدرته وملكه في نهاية الكمال
ولا سبيل اليه للعجز والنقصان بل ما شاء فعل وما لم يشأ
لم يفعل وان السموات السبع والارضين والعرش والكرسي
في قبضته وقبضة قدرته وتحت قهره وتسخيره ومشيئته و
مالك الملك لا ملك الا ملكه الاصل الرابع العلم وانه تعالى
عالم بكل معلوم وعلمه محيط بكل شيء وليس شيء من العالي

الى الثرى الا وقد احاط به علمه لان الاشياء جميعها بعلمه
ظهرت وبقدرته انتشرت وانه تعالى يعلم عدد رمال القفار و
قطرات الامطار وورق الاشجار وغوامض الافكار وان ذرات
الرياح والهواء في علمه ظاهرة مثل عدد نجوم السماء، **الاصل
الخامس في الارادة** وان جميع ما في العالم بارادته ومشيته
وليس شيء من قليل او كثير صغير او كبير خير او شر نفع او ضر زيادة
او نقصان راحة او تعب صحة او سقم الا بحكمه وتدبيره و
مشيته وتقديره ولو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين
على ان يحركوا في العالم ذرة ويسكنوها او ينقصوا منها او يزيدوا
فيها بغير ارادته وحوله وقوته لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا ما شاء
كان وما لم يشا لم يكن ولا يرد مشيته شيء ومهما كان ويكون
وهو كائن فانه باراده وتدبيره وتسخيره **الاصل السادس**
في انه سميع وكما انه عالم بجميع المعلومات فانه سميع بكل مسموع
بصير بكل مرئي وان القريب والبعيد في سمعه متماثل والضياء
والظلام في بصره شيء واحد وانه يرى دبيب النملة السوداء في الليلة
الظلماء ولا يخفى عليه ولا يعزب عن سمعه صوت الدودة تحت اطباق
الارض وان سمعه ليس باذن وبصره ليس بعين كما ان علمه ليس

بصور

بصور عن فكرة وفعله بغير آلة واداة **الاصل السابع في**
الكلام وان امره تعالى على جميع الخلق نافذ واجب وما اخبر به
من وعد او وعيد فانه حق وامره كلامه وكما انه عالم مريد قادر
سميع بصير فهو متكلم وكلامه غير خلق وان الامر والنهي وكذا ان
والقرآن والتورية والانجيل والزبور والكتب المنزلة الى الانبياء
عليهم السلام جميعا كلامه وكلامه صفته وكل صفاته قديمة
لم تزل وكما ان الكلام عند الآدمي حرف وصوت فكلام
الله تعالى متقدس عن الحرف والصوت **الاصل الثامن في افعاله**
وجميع ما في العالم مخلوق له وليس معه شريك ولا خالق بل
هو الخالق الواحد ومهما ابدع خلقه من تعب او وجع وفقر
وعجز وجهل فعدل منه ولا يمكن الظلم من افعاله لان الظلم هو
الذي لا يتصرف في ملك غيره والخالق تعالى لا يتصرف الا
في ملكه وليس معه مالك سواه وكلما كان ويكون وهو كائن
فهو ملك له وهو المالك لا شبيه ولا شريك وليس لاحد عليه
اعتراض بلم وكيف لكن له في افعاله الحكم والا فلا لاحد غير
التسليم والنظر الى صنعه والرضا بقضائه **الاصل التاسع**
في ذكر الآخرة وانه تعالى خلق العالم من نوعين من شخص وروح

وجعل الجسد منزلا للروح ليأخذ زاد الآخرة منها من هذا العالم
وجعل لكل روح مدة مقدرة يكون في الجسد وآخر تلك المدة
هو آخر تلك الروح من غير زيادة ولا نقصان فاذا جاء ذلك
الاجل فرق بين الروح والجسد واذا وضع الميت في قبره
اعيدت روحه الى جسده ليجيب سؤال منكر ونكير وهما شخصان
هايلان عظيمان فيقولان له من ربك ومن نبيك فان
فان استقام ولم يجب عذباه وملا قبره حيات وعقارب ويوم
القيمة يوم الحساب والمكافات والمناقشة والمجازات ترد
الروح الى الجسد وتنشر الصحف وتوصل الاعمال على الخلايق
فينظر كل انسان في كتابه فيرى اعماله وينال مدافعاته و
يعلم مقدار طاعته ومعصيته ويتزن اعماله في ميزان
الاعمال ثم يؤمر بالجواز على الصراط والصراط ادق من
الشعر واحد من السيف فكل من كان في هذا العالم على
الطريقة المستقيمة الصالحة وسلوك الحق الواضحة جاز على الصراط
وجاز في راحة واستراحة ومن لم يكن على السيرة المحمودة
والاعمال الرشيدة وعصى مولاه واتبع هواه فانه لا
يجد الطريق ولا يهتدي الى الجواز ويقع في جهنم والكل

يوقفون

يوقفون على الصراط ويسألون عن افعالهم فيسألوا الصادقين
عن صدقهم ويمتحن المنافقون والمراؤون ويفتضحون بين الناس
ثم قوم يدخلون الجنة بغير حساب وجماعة يحاسبون بالمماشاة
والرفق والمساهلة والمسامحة وجماعة يحاسبون بالمناقشة والصعوبة
والمخافة ثم تسحب الكفار الى نار جهنم بحيث لا يخرجون خلاصا
ويدخل اهل الاسلام المطيعون الى الجنة ويؤمر بالعصاة
الى النار فكل من نالته شفاعة الانبياء والعلماء والاكابر من
الصلحاء عفي عنه وكل من ليس له شفيع عوقب بمقدار جرمه وعذب
بقدر جرمه ثم يدخل الجنة ان كان قد سلم معه ايمانه الى الآخرة **الاصل**
العاشر في ذكر السعي ولما قدر الله تعالى هذه التقادير و
جعل افعال الانسان واحواله واكتسابه واعماله منها ما هو سبب
لشقاوته ومنها ما هو سبب لسعادته والانسان لا يقدر
ان يعرف ذلك من تلقاء نفسه خلق الله تعالى بحكم فضله ورحمته
وطوله ومنته ملائكته وبعثهم الى اشخاص قد حكم لهم بالسعادة
في الازل وهم الانبياء عليهم السلام وارسلهم الى الخلق ليوضحوا لهم
طرق السعادة والشقاوة ولئلا يكون للناس على الله حجة و
ارسل رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم اخيرا وجعله بشيرا ونذيرا

واوصل نبوته الى درجة الكمال فلم يبق للزيادة فيها امكان
ولا مجال ولهذا جعله خاتم الانبياء فلا نبي بعده وامر الخلايق
من الجن والانس بطاعته واتباعه وجعله سيد الانبياء
وجعل اصحابه خير اصحاب الانبياء صلى الله عليه وعلى آله

ما ذكر فروع شجرة الايمان المنوط بها يعلم بها السلطان
انه كلما كان في قلب الانسان من معرفة واعتقاد فذاك اصل
الايمان وما كان جاريا على الاعضاء السبعة من الطاعة والعدل
فذلك فرع الايمان فاذا كان الفرع بلا زوايا دل على
ضعف الاصل وانه لا يثبت عند الموت وعند البعث يكون
ايمان القلب والاعمال التي هي فروع الايمان هي تجنب المحارم
واداء الفرايض وهما قسمتان احديهما بينك وبين الله مثل
الصوم والصلوة والزكاة والحج واجتناب شرب الشراب
والعفة عن الحرام والاخرى ما بينك وبين الخلق وهي العدل
في الرعية والكف عن الظلم والاصل في ذلك ان تعمد فيما بينك
وبين الحق تعالى من طاعة امره والانزجار بزجره ما تحب ان
تجده عندك في حقك وان تعمد فيما بينك وبين الناس ما
تؤثر الا ان يعمل من سواك اذا كان عند السلطان وكتب من

رعيته

رعيته **واعلم** انه ما كان بينك وبين الخالق فان عفوه قريب
واما ما كان بينك والخلق فانه لا يتجاوزه عنك على كل حال
يوم القيمة وخطره عظيم وليس من احد الا لحظ احد من الملوك الا
ملك عمل بالعدل في رعيته اذا كان الامر على ذلك فلابد ان نوضح
اصول العدل لتعلم كيف يطلب العدل والانصاف منك في القيمة
واصول العدل والانصاف عشرة **الاصل الاول** من ذلك
وهو ان تعرف اولا قدر الولاية وتعلم خطرها فان الولاية نعمة من
قام بحقها نال من السعادة ما لا نهاية له ولا سعادة بعدها
ومن قصر عن النهوض بحقها حصل في شقاوة لا شقاوة بعدها
الا الكفر بالله تعالى والدليل على عظم قدرها وجلاله خطرها ما
روي عن رسول الله صلعم انه قال عدل السلطان يوما واحدا
افضل من عبادة سبعين سنة وقال عليه السلام اذا
كان يوم القيمة لا يبقى ظل ولا ملجأ الا ظل الله ولا يستظل
بظله الا سبعة اناس سلطان عادل عدل في رعيته وشاب
نشأ في عبادته ورجل يكون في السوق وقلبه في المسجد و
رجلان تحابا في الله ورجل يذكر ذكر الله في خلوته واذرى
دمعه من مقلته ورجل دعته امراة ذات جمال ومال الى

اخفيها فقال اني اخاف الله ورجل تصدق سترا بيمينه
ولم تشعر بها شماله وقال عم احب الناس الى الله واقربهم
منه السلطان العادل وابغضهم اليه وابعدهم عنه السلطان
الجائر وقال عليه والذي نفس محمد بيده انه يرفع للسلطان
العادل الى السماء من العمل مثل عمل جميع رعيته وكل صلوة
يصليها تعدل سبعين الف صلوة فاذا كان كذلك فلا
نعمة اجل ان يعطى العبد درجة السلطنة ويجعل ساعة من عمره
بجميع عمر غيره ومن لم يعرف قدر هذه النعمة ويشتغل بظلمه و
هواه يخاف عليه ان يجعل الله من جملة اعدائه ومما يدل
على عظم خطر الولاية ما روى ابن عباس ان رسول الله صم
اتى في بعض الايام فلزم حلقة باب الكعبة وكان في البيت
نفر من قريش فقال عليه يا معشر قريش عاملوا رعاياكم
واتباعكم بثلاثة اشياء اذا سالوكم الرحمة فارحموهم واذا حكموكم
فاعدلوا فيهم واعملوا بما يقولون فمن لم يعمل بهذا فعليه لعنة الله
وملائكته ولا يقبل الله منه فرض ولا نفل وقال عليه
السلام من حكم في خصمين فظلم فلعنة الله على الظالمين وقال
عليه السلام ثلثة لا ينظر الله اليهم يوم القيمة سلطان كاذب

وش

وشيخ زان وفقير متكبر يعني الله نه يتكبر للطمع وقال عم يوما
للصحابة ستفتح عليكم يوم تفتحون جانب المشرق والمغرب و
بعضه في ايديكم فكل عمال تلك النواحي الا ما كان في النار
الا من اتقى الله وسلك سبيل التقوى واد الامانة
وقال عم ما من عبد ولاه الله امر رعيته فغشهم ولم ينصح لهم
ولم يشفق عليهم الا حرم الله عليه الجنة وقال عم من ولي
امور المسلمين ولم يحفظهم كحفظه ماله بيته فقد تبوأ مقعده
من النار وقال عم رجلان من امتي محرمان شفاعتي ملك
ظالم ومبتدع غال في الدين يتعدى الحدود وقال عم اشد
الناس عذابا يوم القيمة السلطان الظالم وقال عم خمسة
قد غضب الله عليهم فان شاء امضى غضبه ومقرهم النار
امير قوم يأخذ حقه منهم ولا ينصفهم من نفسه ولا يرفع
الظلم عنهم ورئيس قوم يطيعونه وهو لا يساوي بين
القوي والضعيف ويحكم بالميل والمحاباة ورجل لا ياد
اهله واولاده بطاعة الله ولا يعلمهم امور الدين ولا يبالي
من اين اطعمهم ورجل استاجر اجيرا فتم عمله ومنعه اجرته
ورجل ظلم زوجته في صداقها يروى عن عمر بن الخطاب

شيع جنازة فتقدم رجل وصلى على الجنازة فلما دفن الميت
وضع ذلك يده على قبره وقال عم ان عذبته فبحقك لانه
قد عصاك وان رحمته فانه فقير الى رحمتك فطوبى لك يا
الميت ان لم تكن اميرا او عريفا او كاتبا او ديوانيا او جابيا
فلما تكلم بهذه الكلمات غاب شخصه عن عيون الناس فامر
عمر بطلبه فطلب فلم يوجد فقال عمر هذا الخضر عليه م وقال
النبي عم ويل الامراء وويل للعرفاء وويل للعوانية فانهم
اقوام يعلقون في الثريا من السماء يودوا انهم يودون
لولم يعملوا عملا قط وقال عم ما من رجل ولي امر عشرة من الناس
الا جيء به يوم القيمة ورآه مغلولتان بغلي بين عنقه فان
كان عمله صالحا فك الغل عنه وان كان عمله شيئا زيد عليه
غل آخر وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ويل لقاضي
الارض من قاضي السماء حين يلقاه الا من عدل و
قضى بالحق ولم يحكم بالهوى ولم يمل مع اقاربه ولم يبدل
حكما لخوف وطمع لكن يجعل كتاب الله تعالى مرآته وينصب
عينيه ويحكم بما فيه وقال رسول الله م يؤتى بالولاة يوم
القيمة فيقول الله جل وعلى انتم كنتم رعاة خلقي ولاة ملكي في

ارضى

ارضى ثم يقول لاحدهم لم ضربت عبادي فوق الحد الذي
امرت به فيقول يارب لانهم عصوك وخالفوك لا ينبغي
ان يسبق غضبك غضبي ثم يقول للآخر لم عاقبت عبادي
اقل من الحد الذي امرت به فيقول يارب رحمتهم فيقول كيف تكون
ارحم مني خذوا الذي زادوا والذي نقص في خشوا بهما زوايا جهنم
وقال حذيفة رع انا لا اثني على احد من الولاة سوءا كان صالحا
او غير صالح لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول يؤتى
بالولاة العادلين والظالمين يوم القيمة فيوقفون على الصراط
فيوحي الله الى الصراط ان يلغظهم الى النار ومثل من جار في الحكم
في اخذ رشوة على القضاء او مال سمعه لاحد الخصمين دون
الآخر فيسقطون من الصراط فيهوون سبعين سنة في
النار حتى يصلوا الى قرارها وقد جاء في الخبر ان داود عم
كان يخرج في الليل متنكرا بحيث لا يعرفه احد وكان يسأل
كل من يلقاه عن سيرة داود عم سترا فقال نعم الرجل داود
الا انه ياكل من بيت المال ولا ياكل من كده وقال الهي علمني
صنعة اكل بها من تعبي وكد يدي فتعلمه الله تعالى عمل
الزرد كان عمر بن الخطاب يخرج كل ليلة يطوف مع العسس حتى

على جانب ساقية لم تطين لخشيت ان اسال عنها يوم فانظر
ايها السلطان الى عمر مع احتياطه وعدله وما وصل احد
من الآدميين الى تقواه وصلابته كيف تفكر ويتخوف من
اهوال القيمة وانت قد جلست لاهيا عن احوال رعيتك
غافلا عن اهل ولايتك قال عبد الله بن عمر وجماعة من
اهل بيته انا كنا ندعو الله تعالى يرينا عمر في المنام فرايته
في المنام بعد اثنتي عشرة سنة كانه قد اغتسل وهو ملتفع بازار
فقلت يا امير المؤمنين كيف وجدت ربك وباي حسنة من
حسناتك جازاك فقال يا عبد الله كم لي منذ فارقتكم فقلت
اثنتا عشرة سنة فقال منذ فارقتكم كنت في الحساب وخفت
ان اهلك الا ان الله غفور رحيم جواد كريم فهذا حال عمر ولم يكن
له في دنياه شيء من اسباب الولاية سوى درة **حكاية** ارسل
قيصر ملك الروم رسولا الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لينظر
احواله ويشاهد افعاله فلما دخل المدينة سال اهلها وقال
اين ملككم فقالوا ما لنا ملك بل لنا امير قد خرج الى ظاهر المدينة
فخرج الرسول في طلبه فرآه نائما في الشمس على الارض فوق
الرمل في طلبه الحار وقد وضع درته كالوسادة والعرق

يسقط

يسقط من جبينه الى ان قد بل الارض فلما رآه على هذه
الحالة وقع الخشوع في قلبه وقال رجل يكون جميع الملوك
لا يقر لهم قرار من هيبته وتكون هذه حالته ولكنك يا عمر
عدلت فامنت فنمت وملكنا يجوز فلا جرم انه لا يزال ساهرا
خائفا اشهد ان دينكم الدين الحق ولولا اني اتيت رسولا
لاسلمت ولكن ساعود بعد هذا واسلم ان شاء الله تعالى
ايها السلطان خطر الولاية عظيم وخطبها جسيم والشرح في
ذلك طويل ولا يسلم الوالي الا بمقارنة علماء الدين ليعلموه
طرق العدل ويهونوا عليه خطر هذا الامر **الاصل الثالث**
ان تشتاق ابدا الى رؤية علماء الدين وتحرص على استماع
نصحهم وان تحذر من رؤية علماء السوء الذين يحرصون على
الدنيا فانهم يثنون عليك ويغرونك ويطلبون رضاك
طمعا فيما في يديك من خبيث الحطام ووبيل الحرام ليحصلوا منه
شيئا بالمكر والحيل والعالم الصالح هو الذي لا يطمع فيما
عندك من المال وينصفك في الوعظ والمقال كما يقال ان
شقيق البلخي دخل على هارون الرشيد فقال انت شقيق
ولست بزاهد فقال له اوصني فقال ان الله تعالى قد اجلسك

مكان الصديق وانه يطلب منك مثل صدقه واعطاك
موضع عمر بن الخطاب الفاروق وهو يطلب منك الفرق
بين الحق والباطل مثله واقعدك مكان ذي النورين وانه يطلب
منك حياءه وكرمه واقعدك موضع علي بن ابي طالب كرم
الله وجهه وانه يطلب منك العلم والعدل كما يطلب منه
فقال له زدني من وصيتك فقال نعم اعلم ان الله تعالى
دارا تسمى جهنم وانه قد جعلك بواب تلك الدار واعطاك ثلثة
اشياء بيت المال والسوط والسيف وامرك ان تمنع الخلق
من دخول النار بهذه الثلثة فمن جاءك محتاجا فلا تمنعه
من بيت المال ومن خالف امر ربه تعالى فادبه بهذا السوط
ومن قتل نفسا بغير حق فاقتله بالسيف باذن ولي المقتول
فان لم تفعل ما امرك فانت تكون الزعيم لاهل النار والمتقدم
الى دار البوار فقال اذني من الوصية فقال انما مثلك كمثل
معين الماء وسائر العمال في العالم كمثل السواقي فاذا كان
المعين كدرا لا ينفع صفاء السواقي **حكاية** خرج هارون الرشيد
والعباس ليلا الى زيارة الفضيل ابن عياض فلما وصلا
الى بابه وجداه يتلو هذه الآية ام حسب الذين اجترحوا

السيئات

السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
الآية معنى الآية ايظن الذين يكتسبون الخطايا ويعملون
الاعمال المذمومة ان نساوي بينهم في الآخرة وبين الذين
يعملون الخيرات وهم مؤمنون كلا وحتى قال هارون ان كنا
قد جئنا لطلب الموعظة فكفى بهذا موعظة ثم امر العباس ان
يطرق عليه الباب فطرق بابه وقال افتح الباب لامير المؤمنين
فقال الفضيل ما يصنع عندي امير المؤمنين فقال له
اطع امير المؤمنين وافتح وكان ليلا والمصباح يتقد و
فتح الباب فدخل الرشيد وجعل يطوف بيده ليصافح
الفضيل فلما وقعت يده عليه قال الويل لهذه اليد الناعمة
ان لم تنج من العذاب ثم قال له يا امير المؤمنين استعد جواب
الله تعالى يوم القيامة فانه يوقفك مع كل مسلم على حدة ويطلب
منك انصافك اياه فبكى هارون بكاء شديدا فقال له العباس
مهلا يا فضيل فقد قتلت امير المؤمنين فقال الفضيل يا هامان
انت وقومك اهلكتموه ويقول لي مهلا فقد قتلته فقال
الرشيد للعباس ما جعلك هامان الا وقد جعلني فرعون
ثم وضع الرشيد بين يديه الف دينار وقال هذه من

وجه حلال من صداق امي وميراثها فقال له الفضيل انا
ارى ان ترفع يدك عما فيها وتعود الى خالقك وانت تلقيه
الى ولم يقبلها واخرج من عنده سأل عمر بن عبد العزيز محمد بن
كعب القرظي فقال صف لي العدل فقال كل مسلم اصغر سنا
منك فكن له ابا ومن كان اكبر سنا منك فكن له ولدا ومن
كان مثلك فكن له اخا وعاقب كل مجرم على قدر جرمه واياك
واياك ان تضرب مسلما سوطا واحدا على حقد منك عليه فانه
يصيرك الى النار حكي بعض الزهاد بين يدي خليفة الوقت
فقال له عظني فقال اعلم يا امير المؤمنين اني سافرت الى
الصين وكان ملك الصين قد اصابه صمم وذهب
سمعه فرايته يوما يبكي ويقول ما ابكي على سمعي واني ابكي
لاجل مظلوم يقف بين يدي ببابي ويستغيث ولا اسمع استغاثتها
ولكن الشكر لله الذي بصري سالم وامرنا مناديا ينادي كل من
كانت له ظلامة فليلبس ثوبا احمر وكان يركب الفيل
كل يوم فكل من راى عليه ثوبا احمر دعاه واستمع شكواه
وانصفه من خصماه فانظر يا امير المؤمنين الى شفقة
ذلك الكافر على عباد الله وانت مؤمن ومن اهل بيت

الرسول

الرسول صلى الله عليه وسلم فانظر كيف شفقتك **حضر** ابو قلابة مجلس عمر
بن عبد العزيز فقال له عمر عظني فقال منذ عهد آدم يومنا
هذا لم يبق خليفة سواك فقال زدني فقال انت اول
خليفة يموت فقال زدني فقال ان كان الله معك فمم
تخاف وان لم يكن الله معك فالى من تلتجي فقال حسبي ما قلته
كان سليمان بن عبد الملك خليفة فتفكر يوما وقال
قد تنعمت في الدنيا طويلا فكيف يكون حالي في الآخرة و
انفذ الى ابي حازم وكان عالم اهل زمانه وزاهدهم و
قال ابعث لي شيئا من قوتك الذي تفطر عليه فما بعث له
قليلا من نخالة قد شواها وقال هذا فطوري فلما راى سليمان
ذلك بكى واثر في قلبه الخشوع تاثيرا كبيرا فصام ثلثة ايام
وطوى لياليها وافطر الليلة الثالثة على تلك النخالة
المشوية فيقال انه في تلك الليلة تغشى اهله فكان منها
عبد العزيز وجاء منه عمر بن عبد العزيز وكان واحد زمانه
في عدله وانصافه وزهده واحسانه وكان على طريقة عمر
بن الخطاب رضي الله عنه وقيل ان ذلك بركة سنه
وصيامه واكله من ذلك الطعام **سئل** عمر بن عبد العزيز

ما كان سبب توبتك فقال كنت يوما اضرب غلاما لي
فقال اذكر تلك الليلة التي تكون صبيحتها القيامة فعمل ذلك
الكلام في قلبي رأى بعض الاكابر هارون الرشيد في
عرفات وهو حاف حاسر قايم في الرمضاء الحارة وقد
رفع يديه وهو يقول الهي انت انت وانا انا دابي كل
يوم العود الى عصيانك ودابك العود علي بمغفرتك
ورحمتك فقال الكبرا انظروا الى تضرع جبار الارض بين
يدي جبار السماء. سئل عمر بن عبد العزيز يوما لابي حازم
الموعظة فقال له ابو حازم اذا نمت فضع الموت تحت راسك
وكلما تختار ان ياتيك الموت وانت مصر عليه فالزمه وكلما
لا تؤثر ان ياتيك الموت وانت عليه فاجتنبه فربما كان
الموت منك قريبا فينبغي لصاحب الولاية ان يجعل
هذه الحكاية نصب عينيه وان تقبل المواعظ التي وعظ
بها غيره وكلما راى عالما ساله ان يعظه وينبغي للعالم ان
يعظ الملوك على هذه المواعظ ولا يغرهم ولا يترك عنهم كلمة
الحق وكل من غرهم فهو مشارك لهم في ظلمهم الاصل الثالث
ان لا يقنع برفع يدك عن الظلم لكن تهذب غلمانك

واصحابك

واصحابك وعمالك ونوابك ولا ترضى لهم بالظلم فانك تسال
عن ظلمهم كما تسال عن ظلم نفسك كتب عمر بن الخطاب رضي
الى عامله ابي موسى الاشعري اما بعد فان اسعد الولاة من
سعدت به رعيته وان اشقى الولاة من شقيت به رعيته
واياك فلا تنبسط فان عمالك يقتدون بك وانما مثلك
مثل دابة رات مرعى خضرا فاكلت كثيرا حتى سمنت فكان سمنها
سبب هلاكها لانها بذلك السمن تذبح وتوكل وفي التورية
مكتوب كل ظلم علمه السلطان من عماله فسكت عنه كان ذلك
الظلم منسوبا اليه ويؤخذ به وعوقب عليه وينبغي للوالي
ان يعلم انه ليس احد اشد غبنا ممن باع دينه وآخرته
بدنيا غيره وجميع العمال والغلمان لاجل نصيبهم من الدنيا
يخدمون الوالي ويحسنون الظلم عنده فيلقونه بالنار ليصلوا
الى اغراضهم واي عدو اشد عداوة ممن يسعى في هلاكك لاجل
درهم حرام يكتسبه ويحصله وفي الجملة ينبغي لمن اراد حفظ
العدل على الرعية ان يرتب غلمانه وعماله للعدل ويحفظ
احوال العمال وينظر فيها كما ينظر في احوال اهله واولاده
ومنزله ولا يتم له ذلك الا بحفظ العدل اولا من باطنه

وذلك ان لا يسلط شهوته وغضبه على عقله ولا يجعل عقله
ودينه اسيري شهوته وغضبه بل يجعل شهوته وغضبه
اسيري عقله ودينه واكثر الخلق في خدمة شهواتهم فانهم
يستنبطون الحيل ليصلوا الى مرادهم من الشهوات ولا
يعلمون ان العقل من جوهر الملائكة ومن جند البارى
جلت قدرته وان الشهوة والغضب من جند الشيطان
فمن يجعل جند الله وملائكته اسراء جند الشيطان كيف
يحكم في غيرهم واول ما تظهر شمس العدل في الصدر ثم تنتشر
نورها في اهل البيت وخواص الملك فيصل شعاعها الى
الرعية ومن طلب من غير الشمس فقد طلب المحال وطمع فيما لا
لا ينال واعلم ايها السلطان وتيقن ان ظهور العدل
من كمال العقل وكمال العقل ان ترى الاشياء كما هي
وتدرك حقايق باطنها ولا تغتر بظاهرها مثلا ان كنت تجوز
على الناس لاجل الدنيا فتنظر اي شيء مقصودك من الدنيا فان
كان مقصودك اكل الطعام الطيب فيجب ان تعلم ان
هذه شهوة بهيمية في صورة آدمي فان الشره الى
من طباع البهائم وان كان مقصودك لبس الديباج

فانك

فانك امرأة في صورة رجل لان التزين والرعونة من اعمال
النساء وان كان مقصودك ان تمضي غضبك على اعدائك
فانت اسد او سبع في صورة آدمي لان احضار الغضب
القلب من طباع السباع وان كان مقصودك ان يخدمك
الناس فانك جاهل في صورة عاقل لانك لو كنت عاقلا لعلمت
ان الذين يخدمونك انما هم خدم وغلمان لبطونهم وفروجهم و
شهواتهم وانهم قد جعلوك شركا الى تناول شهواتهم وان
خدمتهم وسجودهم لانفسهم لا لك وعلامة ذلك انهم لو سمعوا
ارجافا ان الولاية تؤخذ منك وتعطى لسواك لاجمعوا واعرضوا
بوجوههم عنك وتقربوا الى ذلك الشخص وفي اي موضع علموا الدرهم
فيه خدموا وسجدوا لذلك الموضع فعلى الحقيقة ليست هذه خدمة
وانما هي سخرية والعاقل من نظر ارواح الاشياء وحقايقها ولم
يغتر بصورها وحقيقة هذه الاعمال ما ذكرناه واوضحناه لكن من
يتيقن فليس بعاقل ومن لم يكن عاقلا لم يكن عادلا ومقره
النار فلهذا السبب كان رأس كل السعادات العقل **الاصل**
الرابع ان الوالي في الاغلب يكون متكبرا ومن التكبر تحدث
عليه السخط الداعية الى الانتقام والغضب غول العقل و

عدوه وآفته وقد ذكرنا علاج ذلك في كتاب الغضب
في ربع المهلكات واذا كان الغضب غالبا فينبغي ان
يميل في الامور الى جانب العفو ويتعود الكرم والتجاوز فاذا
صار ذلك عادة ماثلت الانبياء والاولياء ومتى جعلت
امضاء الغضب عادة ماثلت السباع والدواب **حكاية**
ان جعفر المنصور امر بقتل رجل والمبارك بن الفضل حاضر
فقال يا امير المؤمنين اسمع مني خبرا قبل ان تقتله روى الحسن
البصري عن رسول الله صلعم انه قال اذا كان يوم القيمة وجمع
الخلايق في صعيد واحد نادى مناد من كان له عند الله يد فليقم
فلا يقوم الا من عفى عن الناس فقال اطلقوه فاني قد
عفوت عنه واكثر ما يكون غضب الولاة على من ذكرهم بما
لا يليق بهم وطول لسانه عليهم فيتسرعون في ذمه قال
عيسى بن مريم عليه السلام ليحيى بن زكريا عليه م اذا ذكرك
رجل بشيء وقال فيك صحيحا فاشكر الله وان قال كذبا فازدد
في الشكر فانه يزيد في ديوان اعمالك وانت مستريح يعني ان حسناته
تكتب في ديوانك **وذكر** عند رسول الله صلعم رجل فقيل ان
فلانا قوي وشجاع فقال كيف ذلك فقالوا انه يتقوى بكل احد

وما

وما صارع الا صرعه فقال عليه السلام القوي الشجاع من قهر غضبه
لا من صرع غيره وقال عم ثلثة من كانت فيه فقد كمل ايمانه
من كظم غيظه وانصف في حال رضاه وغضبه وعفا عن
القدرة وقال عمر رضي الله عنه لا تعتمد على خلق رجل
حتى تجربه عند الغضب **حكاية** خرج زين العابدين علي بن
الحسين رضي الله عنهما يوما الى المسجد فسبه رجل فقصده
غلمانه ليضربوه ويؤدبوه فنهاهم زين العابدين وقال
كفوا ايديكم عنه ثم التفت الى ذلك الرجل وقال يا هذا انا
لما تعرفه منا اكثر مما قد عرفته فان كان لك حاجة الى ذكره
ذكرته لك فخجل ذلك الرجل واستحيى فخلع زين العابدين
عليه قميصه وامر له بالف درهم فقام الرجل وهو يقول اشهد
ان هذا ابن ولد رسول الله **وروى** ان زين العابدين
عليه السلام استدعى غلامه فما دعاه مرتين فلم يجبه فقال
له ما سمعت ندائي فقال بلى قال فلم لا اجبتني فقال
آمنت منك وعرفت طهارة اخلاقك فقال الحمد لله
الذي امن مني عبدي وروى ان زين العابدين عليه
انه كان له غلام فعمد الى شاة فكسر رجلها فقال له ولم

لم فعلت هذا فقال كنت تعمدت الا اغضبك فقال له
وانما اغيظ الذي علمك وهو ابليس اذهب فانت
حر لوجه الله ويروى عنه ايضا ان رجلا سبه فقال له
زين العابدين يا هذا بيني وبين جهنم عقبة ان انا جزتها
فانا اكثر مما تقول وقال رسول الله صلعم قد يبلغ الرجل
بحلمه وعفوه درجة الصائم القائم ويكون رجل يكتب في
جريدة الجبارين ولا ولاية له ولا حكم الا على اهل منزله
وقال عليه لجهنم باب لا يدخله الا من تبع غضبه بخلاف
الشرع ويروى ان ابليس عليه اللعنة راى موسى عم
فقال له يا موسى اعلمك ثلثة اشياء وتطلب لي من ربك
حاجة وقال موسى وما الثلثة الاشياء فقال يا موسى
احذر من الحدة واني دهو ان يكون خفيف الرأس وانا
العب به كما يلعب الصبيان بالكرة واحذر من النساء فانه
ما نصبت للخلق شركا اعتمد عليه مثل النساء واحذر
من البخل فانني افسد على البخيل دينه ودنياه وقال رسول الله عم
من كظم غيظه وهو قادر على ان لا يكظمه ملأ الله قلبه
بالامن والايمان ومن لم يلبس ثوبا طويلا خوفا من

التكبر

التكبر والخيلاء وتواضع لله البسه الله تعالى حلل الكرامة
وقال عم ويل لمن يغضب وينسى غضب الله تعالى عليه
وجاء رجل لدى النبي عم فقال علمني عملا ادخل به الجنة
قال لا تغضب فقال وما ذا قال استغفر بعد صلوة العصر
سبعين مرة يغفر عنك ذنوب سبعين سنة فقال ما لي
ذنوب سبعين سنة فقال لامك فقال وما لها من سبعين
سنة قال لابيك قال وليس لابي ذنوب سبعين سنة
فقال لاخوتك وروى ابن مسعود رضي الله ان رسول
الله صلعم كان يوما يقسم مالا فقال رجل ما هذه القسمة
لله يعني انها ليست بانصاف فحكيت ذلك لرسول الله عم
فغضب واحمر وجهه ولم يقل شيئا سوى ان قال رحم الله
اخي موسى فانه اوذي وصبر على الاذى بهذه الجملة من
الحكايات والاخبار تقتضي نصيحة الولاية اذا كان
ايمانهم ثابتا اثر فيهم هذا القدر فان لم يؤثر ما ذكرناه فيهم
فسبب ذلك خلو قلوبهم من الايمان وانه ما بقي من ايمانهم
الا الحديث بالله نعاقل بيتنا ولنا من اموال المسلمين
في كل سنة كذا كذا الف دينار ودرهم لاجل جد و

تبقى في ذمته فيطالب بها في القيمة ويحصل منزعجا
فيبوء ويبوء بالعقوبة والعذاب يوم المرجع والمآب
كيف تؤثر عنده هذه الاسباب وهذا نهاية الغفلة
وقلة الدين وضعف النحلة **الاصل الخامس** انك
في كل واقعة تصل اليك وترفع عليك فقدر انك واحد
من جملة الرعية وان الوالي سواك فكلما لا ترضاه لنفسك
لا ترضى به لاحد من المسلمين وان رضيت لهم بما لا ترضاه
لنفسك فقد خنت رعيتك وغششت اهل ولايتك روى
ان رسول الله صلعم كان قاعدا يوم بدر تحت ظل فهبط
جبرائيل عم وقال يا محمد انت قاعد في الظل واصحابك في الشمس
فعوتب بهذا القدر وقال رسول الله صلعم من احب النجاة
من النار والدخول على الجنة فينبغي ان يكون بحيث
اذا جاء الموت وجد كلمة الشهادة على لسانه وكلما لا يرضى
به لنفسه لا يرضى به لاحد من المسلمين وقال عم من اصبح
وفي قلبه همة سوى الله فليس من الله في شيء ولم
يشفق على المسلمين فليس منهم **الاصل السادس**
ان لا تحقر انتظار ارباب الحوائج ووقوفهم ببابك واحذر
من

من هذا الخطر ومهما كان للمسلمين اليك حاجة فلا
تشتغل بنوافل العبادات فان قضاء الحوائج للمسلمين
افضل من نوافل العبادة كان عمر رضي الله يوما يقضي
حوائج الناس بمجلس الى النهار فتعب ودخل
بيته ليستريح من تعبه فقال له ولده ما الذي
يؤمنك ان ياتيك الموت في هذه الساعة وعلى بابك
منتظر حاجة وانت مستقر في حجرة فقال صدقت ونهض
فعاد الى مجلسه **الاصل السابع** انك لا تعود نفسك الا اشتغال
بالشهوات من لبس الثياب الفاخرة واكل الاطعمة
الطيبة لكن تستعمل القناعة في جميع الاشياء فلا عدل
بلا قناعة سال عمر بن الخطاب رضي الله بعض الصالحين
وقال هل رايت من احوالي شيئا كرهته فقال سمعت
انك وضعت رغيفين على مائدتك وان لك قميصين
احدهما لليل والآخر للنهار فقال هل غير هذين شيء
قال لا فقال والله ان هذين ايضا لا يكونان **الاصل**
الثامن انه مهما امكنك ان تعمل الامور بالرفق واللطف
فلا تعملها بالشدة والعنف قال النبي صلعم كل وال

لا يرفق برعيته لا يرفق يوم القيمة ودعا عليه السلام فقال
اللهم الطف بكل وال يلطف برعيته واعنف على كل وال
يعنف على رعيته وقال ع م الولاية والامارة حسنتان
لمن قام بحقها وسيئتان لمن قصر فيها كان هشام بن
عبد الملك من خلفاء بنى امية فقال لبنى جاذم وكان من
العلماء فقال ما التدبير من النجاة من امور الخلافة فقال
ان تأخذ كل درهم تأخذه من وجه حلال وان تصرفه فى موضع
حق فقال من يقدر على هذا فقال من يرغب الى نعيم الجنان
ويرهب من عذاب النيران **الاصل التاسع** ان تجتهد ان
يرضى عنك جميع رعيتك بموافقة الشرع قال رسول الله
لاصحابه خير امتى الذين تحبونهم ويحبونكم وشر امتى الذين
يبغضونكم وتبغضونهم ويلعنونكم وتلعنونهم وينبغى للوالى
ان لا يغتر بكل ما وصل اليه واثنى عليه وان يعتقد ان جميع
الرعية مثلهم راضون عنه فان الذين يثنى عليه من
خوفه منه يثنى عليه بل ينبغى ان ترتب معتمدين يسالون
عن احواله من الرعية ويتجسسون ليعلم عيبه من السنة الناس
الاصل العاشر ان لا تطلب رضا احد من بمخالفة

لمخالفة الشرع فان من سخط بخلاف الشرع لا يضر سخطه
كان عمر بن الخطاب رضى يقول انى اصبح كل يوم ونصف
الخلق على ساخط ولا بد لكل من يؤخذ منه الحق ان يسخط و
لا يمكن ان يرضى الخصمان واكثر الناس جهلا من ترك
رضى الحق لاجل رضى الخلق كتب معاوية الى عايشة رضى
الله عنها ان عظينى عظة مختصرة فكتبت اليه سمعت رسول
الله يقول رضى الله فى سخط الناس رضى الله عنه وارضى عنه
الناس ومن طلب رضى الناس بسخط الله مثل ان لا يأمرهم
بالطاعة ولا يعلمهم امور دينهم ويطعمهم الحرام ويمنع الاجير اجرته
والمراة مهرها سخط الله عليه وسخط عليه الناس **بيان**
العينين اللتين هما منشرب شجرة الايمان واذ قد عرفت بلغت ص
اصول شجرة الايمان وفروعها واعلم ان هناك عينين للعلم
سمد الشجرة منها الماء العين الاولى معرفة الدنيا وماهيتها
ولم اوجد فيها الانسان اعلم ايها السلطان ان الدنيا منزلة
وليست بدار قرار الانسان فيها على صورة مسافر وله منازله
بطن امه وآخر منازله لحد قبره وانما وطنه وقراره ومكثه و
استقراره بعدها فكل سنة تنقضى من عمر الانسان فكا

المرحلة وكل شهر تنقضي عنه كاستراحة المسافر في سفره
وكل اسبوع فكقرية تلقاه في طريقه وكل يوم كفرسخ يقطعه
وكل نفس كخطوة يخطوها وبقدر كل نفس تنفسه تقرب من
الآخرة وهذه الدنيا قنطرة فمن عبر القنطرة واشتغل
بعمارتها فني فيها زمانه ونسي منزله الذي اليها مصيره و
مكانه وكان جاهلا غير عاقل وانما العاقل الذي لا يشتغل
في دنياه الا باستعداده زاده لمعاده ويكتفي منها بقدر
حاجته ومهما جمعه منها فوق كفايته كان سما قاتلا ويتمنى
ان يكون جميع خزائنه وسائر ذخائره ودفائنه رمادا
وترابا لا فضة وذهبا ولو جمع مهما جمع فانما نصيبه ما
يأكله ويلبسه لا سواه وجميع ما يخلفه يكون عليه حسرة
وندامة ويصعب عليه نزعه عند موته فلحلالها حساب
ولحرامها عذاب فان كان قد جمعه من حلال طلب منه
الحساب وان كان جمعه من حرام وجب عليه العذاب
وكان اشد عليه من حسرة حلول العذاب به في حفرته وآخرته
ومع هذا جميعه اذا كان ايمانه صحيحا سالما لجزه الديان
فلا وجه لبأسه من الرحمة والغفران فان الله غفور رحيم

جواد

جواد كريم واعلم ايها السلطان ان راحة الدنيا ايام قلائل
واكثرها منغص بالتعب ومشوب بالنصب وبسببها تفوت
راحة الآخرة التي هي الدائمة الباقية والملك الذي لا فناء
ولا نهاية فسهل على العاقل ان يصبر في هذه الايام القلائل
لينال راحة دائمة بلا انقضاء ولو كان لانسان معشوقة
وقيل ان كنت في هذه الليلة تزورها فانك لا تعود تراها ابدا
وان صبرت عنها هذه الليلة سلمت اليك الف ليلة بلا
تعب ولا نصب فانه وان كان شغفه بها عظيما وصبره عنها
اينما يهون عليه صبره عن بعدها ليلة لينال قربها
الف ليلة وهذه الدنيا ليست واحدة من الف من مدة
الآخرة بل ليست بشيء في جنب الآخرة ولا نسبة بينهما لان
الآخرة لا نهاية لها ولا يدرك الوهم طولها وقد افردنا
في صفة الدنيا كتابا لكنا نقتنع الان بما نورده من احوال
الدنيا واوضحنا حالها على عشرة امثلة **المثال** الاول
في بيان سحر الدنيا قال النبي صلعم احذروا الدنيا فانها اسحر من
هاروت وماروت واول سحرها انك تريك انها ساكنة
عندك مستقرة معك وانها لمهما خلتها ساكنة وهي

هاربة منك نافرة عنك على الدوام وانها تتسلل على
التدريج ذرة ذرة وشيئا فشيئا ومثال الدنيا كمثل الظل
اذا رأيته حسبته ساكنا وهو متحرك دائما كذلك عمر الانسان
يمر بالتدريج على الدوام وينقص كل لحظة وكذلك الدنيا تودعك
وتهرب منك وانت غافل لا تحس وذاهل لا تشعر **المثال
الثاني** ومن سحرها انها تظهر لك محبتها لتفتنها وتريك انها لك
مساعدة وانها لا تنتقل عنك الى غيرك ثم تعود عدوة لك
على غفلة ومثلها كمثل امرأة فاجرة خداعة للرجال حتى اذا
خلبتهم دعتهم الى بيتها فاغتالتهم واهلكتهم ورأى عيسى
عليه السلام الدنيا في مكاشفته وهي على صورة عجوز هرمة فقال
لها كم كان لك زوج فقالت لا احصيهم كثرة فقال لها
اماتوا عنك ام طلقوك قالت بل انا قتلتهم وافنيتهم
فقال يا عجبا لها ولاحمق الآخرين الذين يشاهدون
ما بسوابقهم صنعت وهم فيك يرغبون وبغيرهم لا يعتبرون
المثال الثالث ومن سحرها انها تزين ظاهرها وتخفي قبحها
وتخفي قبحها في باطنها لتغر الجاهل بما يراه من ظاهرها
ومثلها كمثل عجوز متبرجة المنظر تحجب وجهها وتلبس احسن الثياب

وتزين وتتجمل لتفتتن الخلق من بعيد فاذا كشف غطاها
وخمارها والقوا عنها ازارها ندموا على محبتها لما شاهدوا
من فضائحها وعاينوا من قبائحها وقد جاء ان الدنيا
يؤتى بها يوم القيمة في صورة عجوز قبيحة مشوهة زرقاء العينين
وحش الوجه قد فترت عن انيابها وكشرت عن اسنانها فاذا
رآها الخلائق قالوا نعوذ بالله منها ما هذه القبيحة المشوهة
فيقال لهم هذه الدنيا التي كنتم عليها تتحاسدون ولاجلها
كنتم تتحاقدون وتسفكون الدماء بغير حق وتقطعون ارحامكم
وتغترون بزخرفها ثم يؤمر بها الى النار فتقول الهي اين احبائي
فيؤمر بهم فيلقون معها في النار **المثال الرابع** ان يحسب
الانسان كم كان من الازل قبل ان يوجد في الدنيا وكم
يكون مدة عدمه بالموت وكم قدر هذه المدة التي بين
الازل والابد وهي مدة حياته في الدنيا فيعلم ان مثال
الدنيا كطريق المسافر اوله المهد وآخره اللحد وفيما بينهما
منازل معدودة وان كل سنة كمنزل وكل شهر كفرسخ
وكل يوم كميل وكل نفس كخطوة وهو يسير دائما فبقي
لواحد منه فرسخ ولآخر اقل ولآخر اكثر وهو قاعد

ذاهل وساكن غافل كأنه مقيم لا يبرح وفي وطن لا يبرح
قد اشتغل بتدبير اعمال لا يحتاج اليها بعد عشرة سنين و
ربما حصل بعد عشرة ايام في التراب المثال الخامس اعلم ان
مثل الدنيا وما يحتقب اهلها فيها من شهواتهم ولذاتهم
من الفضائح التي يشاهدونها في الآخرة كمثل انسان
اكل فوق حاجته من طعام حلو دسم الى ان فسدت معدته
وما صنعت معدته فرأى فضيحته من هلاك معدته ونتونته
نفسه وكثرة برازه وحاجته فندم بعد ذهاب لذته وبقاء
فضيحته وكذلك كلما الف الانسان لذات الدنيا كانت
عاقبته اصعب ويتبين له ذلك عند نزعه وخروج
روحه لان كل من كان له نعم كثيرة وذهب وفضة وجوار
وغلمان وكرم وبستان كان الم روحه عليه اصعب من
الم من ليس له الا القليل فان ذلك الالم والعذاب
لا يزول بالموت بل يزيد به لان تلك المحبة صفة القلب و
القلب بحاله لا يموت المثال السادس اعلم ايها الانسان
ان امور الدنيا اول ما تبدو يظنها الانسان قريبة مختصرة
ويخال ان شغلها لا يطول وربما كان من بعض اشغالها

واحوالها

واحوالها امر يتسلسل منه مائة امر وتنفق فيه بضاعة العمر
قال عيسى عم طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد
عطشا فلا يزال يشرب منه الى ان يهلك ولا يروى قال عم
كما لا يمكن من خاض البحر ان لا يبتل كذلك لا يمكن
من دخل في امور الدنيا ان لا يتدنس المثال السابع
مثل من حصل في الدنيا كمثل ضيف دعي الى مأدبة وعادة دمة
المضيف ان يزين للضيافة داره ويدعوا اليها قوما
بعد قوم وفوجا بعد فوج ويضع بين يدي الاضياف طبقا
من ذهب عليه الجواهر ومجمرة من فضة فيها عود وبخور
ليتطيبوا ويتبخروا ويفيح لهم طيب رائحتها ثم يغادروا الطبق
والمجمرة بحالها لكنها ليدعوا غيرهم كما دعاهم فمن كان
عاقلا عارفا برسم الدعوات وضع من ذلك البخور على النار
وتطيب وانطلق ولم يطمع في ان يتناول المجمرة والطبق
وتركهما بطيبة من نفسه وشكر صاحب البيت ربه وانصرف
راشدا ومن كان احمق ابلها توهم ان ذلك الطبق والمجمرة
قد اعدا له وانهم يريدون ان يهبوهما له فلما هم بالخروج
من الدار اخذ الطبق والمجمرة فاسترجعوا منه فضاق صدره

صدره وتعب قلبه وطلب الاقالة اذا ظهر ذنبه فالدنيا كمثل
دار الضيافة يتزودوا الطعام ولا يطمعوا فيها في الدوام المثال
الثامن مثل اهل الدنيا واشتغالهم باشتغالها واهتمامهم
باحوالها ونسيان الآخرة وانما لها كمثل قوم ركبوا مركبا
في البحر فعدلوا الى جزيرة لاجل الطهارة وقضاء الحاجة فنزلوا
الى الجزيرة والملاح يناديهم لا تطلبوا المكث لئلا يفوت
الوقت ولا تشتغلوا بغير الوضوء والصلاة فان المركب سايرة
فمضوا وتفرقوا في الجزيرة وانتشروا في نواحيها فالعقلاء منهم
لم يمكثوا وفرغوا من الطهارة وعادوا الى المركب فاصابوا الاماكن
خالية فجلسوا في اطيب اماكنها واوفقها وطيب مواضعها وارفقها
ومنهم قوم نظروا الى عجايب تلك الجزيرة ووقفوا ينتزهون
في زهراتها وانهارها وروضها واشجارها ويستمعون طيب ترنم
اطيارها ويتعجبون من حصباتها الملونة واحجارها فلما عادوا
الى المركب لم يجدوا فيه موضعا ولا ارادوا متسعا فقعدوا في ضيق
مواضعه واظلمها ومنهم قوم لم يقنعوا بالنزهة ولم يقتصروا
على التوجه لكنهم جمعوا من تلك الحصبيات الملونة وحملوها معهم
الى المركب فلم يجدوا مكانا فقعدوا في اضيق المواضع وحملوا

ما استحسنوه من تلك الاحجار على اعناقهم فلم يمض الا يوما او يومان
حتى تغيرت تلك الاحجار واسودت وفاح منها اكره رايحة ولم
يجدوا مخلصا من الضمام ليلقوا ثقلها عن اعناقهم فندموا
على ما فعلوا وحمل اثقال
الاحجار على اعناقهم اذا كانوا بتحصيلها اشتغلوا ومنهم قوم
وقفوا مع عجايب تلك الجزيرة وتحيروا في الرجوع لم يتفكروا حتى
سار المركب فبعدوا عنه وتقطعوا في اماكنهم تخلفوا اذ لم
يصيحوا الى المنادي ولم يسمعوا فمنهم من هلك من الجوع
ومنهم من اكله السباع ونهشته الضباع فالقوم المتقدمون
هم المؤمنين المتقون والقوم المتخلفون الهالكون هم الكفار
والمشركون الذين نسوا الله ونسوا الآخرة وسلموا الكلية بهم
الى الدنيا وركنوا اليها قال جل جلاله الذين استحبوا الحياة
الدنيا على الآخرة واطمانوا بها واما الجماعة المتوسطون
هم العصاة الذين حفظوا اصل الايمان ولكنهم لم يكفوا ايديهم
عن الدنيا فمنهم من تمتع بغناه ونعمة ومنهم من تمتع مع فقره
وحاجته الى ان ثقلت اوزارهم وكثرت اوبتعاجهم واوصارهم
المثال التاسع روى ابو هريرة ان رسول الله صلعم قال

يوما يا ابا هريرة تريد ان اريك الدنيا فقلت نعم فاخذني و
انطلق حتى وقف بنا على مزبلة فيها رؤوس الآدميين ملقاة
وبقايا عظام نخرة وخرق قد تمزقت وتلوثت بنجاسات
الآدميين فقال يا ابا هريرة رؤوس الناس التي تراها
كانت مثل رؤوسكم مملوءة من الحرص لان تجتهد على جميع الدنيا
وكانوا يرجون من طول الاعمار ما ترجون وكانوا يجدون في
جمع المال وعمارة الدنيا كما تجدون فاليوم تعرت عظامهم وتلك
انبتت اجسامهم كما ترى وهذه الخرق كانت اثوابهم التي كانوا
يتزينون بها عند التجمل ووقت الرعونة والتزين فاليوم قد القتها
الريح في النجاسات وهذه عظام دوابهم التي كانوا يطوفون
عليها اقطار الارض وهذه النجاسات كانت اطعمتهم اللذيذة
التي كانوا يحتالون في تحصيلها وينهبها بعضهم من بعض
قد القوها عنهم بهذه الفضيحة التي لا يقربها احد من نتنها
فهذه جملة احوال الدنيا كما تنظر وترى فمن اراد ان يبكي على
الدنيا فليبك فانها موضع البكاء قال ابو هريرة فبكى جماعة
الحاضرين **المثل الثالث** كان في زمن عيسى عم ثلثة رجال
سايرين في طريق فوجدوا كنزا فقالوا لقد جعنا فليمض واحد منا

وسع

وسع لنا طعاما فمضى احدهم ليأتيهم بطعام فقال الصعلوك
ان اجعل لهم في الطعام سما فاقتلهما لكلا هو ما او انفرد بالكنز
دونهما ففعل ذلك وسم الطعام واتفق الرجلان الآخران انه
اذا وصل اليهما بالطعام قتلاه انفردا بالكنز دونه فلما وصل
ومعه الطعام المسموم قتلاه واكلا من الطعام فماتا فاجتاز
عيسى عم بذلك المكان فقال للحواريين هذه الدنيا فانظروا
كيف قتلت هذه الثلثة وبقيت بعدهم ويل لطلاب الدنيا
من الدنيا **المثل الثانية** موعظة النفس الاخير اعلم ايها
السلطان ان بني آدم طائفتان طائفة نظروا الى شاهد
حال الدنيا وتمسكوا بتامل العمر الطويل ولم يتفكروا في
النفس الاخير وطائفة عقلاء جعلوا النفس الاخير نصب
اعينهم لينظروا الى ماذا يكون مصيرهم وكيف يخرجون من
الدنيا ويفارقونها وايمانهم سالما وما الذي ينزل معهم من
الدنيا في قبورهم وما الذي يتركونه لاعاديهم من بعدهم ويبقى
عليهم وباله ونكاله وهذه الفكرة واجبة على كافة الخلق و
هي على الملوك واهل الدنيا اوجب لانهم كثيرا ما ازعجوا قلوب
الخلق وانفذوا الى الناس الغلمان بالتبيينات وفرحوا

الخلق وقبيل التخلية واذ خلوا في قلوبهم الرعب فان لحضرة
الحق تعالى ذكره غلاما يقال عزرائيل يوف بملك الموت الى
هوب لا احد من مطالبته وتسبيبه وكل موكلي الملوك ياخذون
جعلهم ذهبا وطعاما وصاحب هذا التوكيل لا ياخذ سوى
الروح جعلا وسائر موكلي السلاطين ينفع عندهم الشفاعة و
هذا الموكل لا ينفع عنده شفاعة شافع وجميع الموكلين يمهلون
من يوكلون به اليوم والساعة وهذا الموكل لا يمهل نفسا واحدا
وعجايب احواله كثيرة الا انا نذكر من احواله خمس حكايات الحكاية
الاولى وهي ما رواه وهب بن منبه وكان من علماء اليهود
واسلم روي انه كان ملك عظيم اراد ان يركب يوما في جماعة اهل
مملكته ويرى الخلائق عجايب زينته فامر وزراءه واستعد لا رهبة
مالركوب للناس سلطنته فامرهم احضار ما فاخر الثياب
فاريوه من خيوله الموصوفة وعتاقه المعروفة فاختار من جملتها
جوادا يوصف بالسبق فركبه بالركب والطوق المرصع بالجواهر
وجعل يركض العنان بين عسكره ويتبختر بتيهه ونخوة وعجب
لعنه الله فوضع فمه على نخوة ونفخ منه الكبر في انف انفته فقال
في نفسه من في العالم مثلي وجعل يركض بالكبرياء ويرمه بالخيلاء

ولا

ولا ينظر الى احد من تيهه وكبره وعجبه ونخوة فوقف بين يديه
رجل عليه ثياب رثة فسلم عليه فلم يرد سلامه فقبض على عنان
فرسه فقال الملك ارفع يدك فانك لا تدري بعنان من امسكت
فقال لي اليك حاجة فقال اني لسلطان اصبر ان انزل فقال
حاجتي هذه الساعة اليك لا عند نزولك فقال اذكر حاجتك
فقال انها سر ولا اقولها الا في اذنك فاصغى بسمعه اليه
فقال انا ملك الموت اريد اقبض روحك فقال امهلني بقدر ما
اعود الى منزلي واودع اولادي وزوجتي فقال كلا لا تعود ديارهم
فانك قد فنيت مدة عمرك واخذ روحه على ظهر الفرس فخر ميتا فعاد و
فعاد ملك الموت من هناك فاتى رجلا صالحا قد رضي ربه عنه
فسلم عليه فرد عليه السلام فقال لي اليك حاجة وهي سر
فقال الصالح قل حاجتك في اذني فقال انا ملك الموت
فقال مرحبا بك الحمد لله على مجيئك فانني كنت كثير الشوق
والترقب لوصولك ولقد طالت علي غيبتك فقال ملك الموت
ان كان لك شغل فاقضه فقال ليس لي شغل اهم عندي من
ان اقبض روحك كيف اردت واخترت فقال تدعني ريثما
اتوضأ واصلي فاذا انا سجدت فخذ روحي وانا ساجد ففعل

بي فقال له سبحانه
تعالى اربي
تحب ان اقبض روحك
في اي وقت صح

ملك الموت ما امره ونقله الى رحمة ربه **الحكاية الثانية**
يروى انه كان اكثر الملك قد جمع مالا عظيما واتخذ من
كل نوع يترفه نفسه وتتوزع لاكل ما جمعه مجمع نعما طائل وبنى
قصرا عاليا مرتفعا مما يصلح للملوك والامراء والاكابر
العظماء، وركب عليه بابين محكمين واقام عليه الغلمان الاجلاد
والخزينه والاجناد والبوابين كما اراد وامر بعض الايام
ان يصطنع له من طيب الطعام وجمع اهله وحشمه والصحابه
وخدمه ليأكلوا عنده ويناولوا ارفده وجلس على سرير مملكته
واتكى على وسعادته وقال يا نفس قد جمعت انعم الدنيا باسرها
فالآن افرغي بالك وكلي هذه النعم مهناة بالعمر الطويل
والحظ الجزيل فلم يفرغ مما حدث به نفسه حتى اتى رجل من ظاهر
القصر عليه ثياب خلقة ومخلاته فاعنقه معلقة على هيئة سائل
يسأل الطعام فجاء وطرق حلقة باب القصر طرقة عظيمة هائلة
بحيث تزلزل القصر وتزعزع السرير وخاف الغلمان ووثبوا
الى الباب وصاحوا بالطارق وقالوا انا ضعيف ما هذا
الحرص وسوء الادب اصبر الى ان نأكل وتعطيك ما يفضل
فقال لهم قولوا لصاحبكم يخرج الي فان اليه شغل مهم واو امركم

فقالوا

فقالوا تنح ايها الضعيف من انت حتى نأمر صاحبنا بالخروج
اليك فقال انتم عرفوه ما ذكرت فلما عرفوه قال لا نهرتموه وجرتم
عليه وزجرتموه ثم طرق حلقة الباب اعظم من الدقة الاولى
فنهضوا من اماكنهم بالعصى والسلاح وقصدوه ليحاربوه فصاح
بهم صيحة وقال الزموا اماكنكم فانا ملك الموت فرعبت قلوبهم
وطاشت حلومهم وارتعدت فرائصهم وبطلت عن الحركة
خوارجهم فقال الملك قولوا له ليأخذ بدلا مني وعوضا عني فقال
ما اخذ الا كدر ولا اتيت الا لاجلك لافرق بينك وبين
النعم التي جمعتها والاموال التي حويتها وخزنتها فتنفس الصعد
اوقال لعن الله هذا المال الذي غرني والهاني ومنعني
عن عبادة ربي وكنت اظن انه ينفعني فاليوم صار
حسرتي وبلائي وخرجت صفر اليدين منه وبقي لاعدائي
فانطق الله تعالى المال فقال الي لم تلعنني وانت تتصدق مني
على الفقراء وتتركها على الضعفاء، ولتبني الربط والمساجد
والجسور والقناطر لا يكون عونا لك في اليوم الآخر وانت
جمعتني وخزنتني وفي هواك انفقتني ولم تشكر حق بل
كفرتني فالآن تركتني لاعدائك وانت بجرمك وتبعاتك

قال ثم قال لك لم تكسب تلبسني الغني نعل
فان الله تعالى خلقني وجعلني ... واياك من
تراب واصلحني ... لشرورهم

فات ذنب لي فتغضبني وتلعنني ثم ان ملك الموت قبض
روحه قبل اكل الطعام فسقط عن سريره صريع الحمام **الحكاية
الثالثة** قال يزيد الرقاشي كان في بني اسرائيل جبار من
من الجبابرة كان بعض الايام جالسا على سرير مملكته
فرأى رجلا قد دخل من باب الدار في صورة منكرة و
هيئة هائلة فاشتد خوفه من هجومه وهيبته قدومه و
بث في وجهه وقال له من انت ايها الرجل ومن اذن لك
في الدخول الى داري فقال اذن لي صاحب الدار وانا الذي
لا يحجبني حاجب ولا احتاج في دخولي على الملوك الى اذن
ولا ارهب سياسة سلطان ولا يفزعني جبار ولا لاحد
من قبضتي قرار فلما سمع هذا الكلام خر على وجهه ووقعت
الرعدة في جسده وقال انت ملك الموت قال نعم قال اقسم
عليك بالله الا امهلتني يوما واحدا لاتوب من ذنبي
وارد الاموال التي اودعتها خزانتي الى اربابها ولا اتحمل
مشقة عذابها فقال كيف امهلك وايام عمرك محسوبة واوقاته
مثبوتة مكتوبة فقال امهلني ساعة فقال ان الساعة
في الحساب وقد مضت وانت غافل وانقضت وانت ذاهل

وقد

وقد استوفيت انفاسك ولم يبق لك نفس واحد فقال
من يكون عندي اذا نقلتني الى لحدي فقال لا يكون عندك
سوى عملك فقال ما لي عمل قال له لا جرم يكون مقيلك
في النار ومصيرك الى غضب الجبار وقبض روحه فخر من
سريره ووقع وعلا الضجيج من اهل مملكته وارتفع ولو ما يصير
اليه من سخط ربه لكان بكاؤهم عليه اكثر وعويلهم اوفر
الحكاية الرابعة يروى ان ملك الموت عم دخل يوما على
سليمان بن داود عليهما السلام فجعل يحد بصره ويطيل
نظره الى رجل من ندمائه ثم خرج فقال ذلك النديم من كان
هذا الذي دخل فقال ملك الموت فقال اخاف انه يريد قبض
روحي فخلصني من يده فقال كيف اخلصك قال تامر الريح
ان تحملني هذه الساعة الى اقصى بلاد الهند لعله يضل
عني ولا يجدني فامر سليمان الريح فحملته الى اقصى بلاد
الهند في الوقت والحال فعاد ملك الموت ودخل على
سليمان فقال لاي سبب كنت تطيل النظر الى ذلك
الرجل فقال كنت اتعجب منه لاني امرت ان اقبض
روحه في ارض الهند وكان بعيدا عنها الى ان اتفق

بجعل التيح له الى ههنا لكن ما قدره الله سبحانه وتعالى الحكاية
الخامسة يروى ان ذا القرنين اجتاز بقوم لا يملكون شيئا
من اسباب الدنيا وقد حفروا القبور موتاهم على ابواب دورهم في
كل وقت يتعهدون تلك القبور ويكنسونها وينظفونها ويزورونها
ويعبدون الله بينها وما لهم طعام الا الحشيش ونبات الارض
فبعث ذو القرنين رجلا يستدعي عن ملكهم فلم يجبه فقال ما لي اليه
حاجة فجاء ذو القرنين اليه وقال له كيف حالكم فاني لا ارى لكم
شيئا من ذهب ولا فضة ولا ارى عندكم شيئا من نعم الدنيا
فقال نعم لان نعم الدنيا لا يشبع منها احد قط فقال لم حفرتم
القبور على ابوابكم فقال لتكون نصب اعيننا فننظر
اليها ويتجدد لنا ذكر الموت ويبرد حب الدنيا في قلوبنا فلا
نشتغل بها عن عبادة ربنا فقال كيف تاكلون الحشيش
قال لانا نكره ان نجعل بطوننا مقابر للحيوان ولان لذة
الطعام لا يتجاوز الحلق ثم مد يده الى طاقة فاخرج منها
قحف راس آدمي فوضعه بين يديه وقال يا ذا القرنين
تعلم من ملوك هذه الدنيا وكان يظلم رعيته ويجور على الضعفاء
زمانه في جميع الدنيا فقبض الله روحه وجعل النار مقره وهذا

راسه ثم مد يده ووضع قحفا آخر بين يديه وقال له اتعرف
هذا فقال لا فقال كان هذا ملكا عادلا مشفقا على رعيته
محبا لاهل مملكته فقبض الله روحه واسكنه جنته ورفع
درجته ثم انه وضع يده على راس ذي القرنين وقال ترى
اي هذين الراسين يكون هذا الراس فبكى ذو القرنين
بكاء شديدا وضمه الى صدره وقال له ان رغبت في صحبتي
فانني اسلم اليك وزارتي واقاسمك مملكتي فقال ما لي في ذلك
في ذلك رغبة فقال لم قال لان جميع الخلق اعداؤك بسبب المال
والملك وجميعهم اصدقائي بسبب القناعة والصعلكة والله معك
فالان تحب ان تعلم حكايات الغفلة لاخر ويويدها ويتمن
موقتها وتتصورها وينبغي ان تعلم ان اهل الغفلة المغترين
بالمهلة لا يحبون استماع حديث الموت لئلا يبرد حب الدنيا في
قلوبهم ويتبغض عليهم لذة ماكولهم ومشروبهم وقد جاء في
الخبر ان من اكثر من ذكر الموت وظلمة اللحد كان قبره روضة
من رياض الجنة ومن نسي الموت وغفل عن ذكره كان حفرة
من حفر النيران كان رسول الله عليه افضل الصلوات واكمل
التحيات يصف يوما ثواب الشهداء والسعداء الذين

فقتلوا في موقعة حرب الكفار فقالت عائشة رضي الله عنها هل ينال
مثل ثواب الشهداء من لم يمت شهيدا فقال من ذكر الموت
كل يوم عشرين مرة كان له مثل اجر الشهداء ودرجتهم وقال
عليه السلام اكثروا من ذكر الموت فانه يمحو الذنوب ويزهد حب
الدنيا في القلوب وقال من احزم الناس واعقلهم قال
اعقل الناس اكثرهم للموت ذكرا واحزمهم اشدهم له استعدادا
له شرف الدنيا وكرامة الآخرة فمن عرف الدنيا كما ذكرناه و
كرر في قلبه ذكر الموت والنفس الاخير سهلت عليه مورد المنايا
وقوي اصل شجرة الايمان في قلبه واخذ في النمو والزيادة وثمرت
فروع الشجرة ويتقي الله واياه سالم والله جلت قدرته وعلت
كلمته ينور بصيرة سلطان العالم يرى الدنيا والآخرة على ما
هما عليه فيجتهد في امر آخرته ويحسن الى عباد الله وبريته فان في
رعيته مائة الف الف من الخلائق اذا عدل فيهم كان الملك شفعاؤه
ومن شفع فيه هؤلاء الخلائق من المؤمنين كان آمنا يوم
القيمة من العذاب وان ظلمهم كان الكل خصماؤه ومن كان
هؤلاء الخلائق كلهم خصماؤه عاد امره عظيم الخطر شديد الوزر
اذ اصار الشفيع خصما الكل الامر الباب الاول

4

الملوك والسلاطين

124

في العدل والسياسة وذكر اعلم ويتيقن ان الله جل اسمه اختار
من بني آدم فريقين وفضلهم على سائر خلقه وهما الانبياء
عليهم السلام والملوك فاما الانبياء فارسلهم ليبينوا العباد
الى عبوديته الدليل ويوضحوا لهم الى معرفته السبيل واختار
الملوك ليحفظوا العباد من اعتدا على بعضهم على بعض و
ملكهم ازمة الابرام والنقض وربط بهم مصالح خلقه في معايشهم
بحكمته واحلهم اشرف محل بقدرته كما سمع في الاخبار السلطان
ظل في الارض فانه تجب على الخلق محبته ويلزمهم متابعته وطاعته
ولا يجوز لهم بغضه ومنازعته قال الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم فيتعين على كل من اتاه الله الذين
ان يحب الملوك والسلاطين وان يطيعهم فيما يامرون به ويعلم
ان الله تعالى معطي السلطنة والمملكة في انه يعطي ملكه من يشاء
قوله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع
الملك ممن تشاء الآية والسلطان العادل من عدل بين العباد
وحذر من الجور والفساد والسلطان الظالم مشوم لا يبقى
ملكه ولا يدوم لان النبي عم يقول الملك يبقى مع الكفر ولا
يبقى مع الظلم وفي التواريخ ان المجوس ملكوا امور العالم اربعة

الف سنه وكانت المملكة فيهم وانما دامت لهم المملكة بعدلهم بين
الرعية وحفظهم الامور بالسوية وانهم ما كانوا يرون الجور
والظلم في ملتهم جايزا وعمروا بعدلهم البلاد وانصفوا العباد و
قد جاء في الخبر ان الله جل ذكره اوحى الى داود عليه السلام ان انه
قومك عن سب ملوك العجم فانهم عمروا الدنيا واطنوها عبادي
فينبغي ان تعلم ان عمارة الدنيا وخرابها من الملوك واذا
كان السلطان عادلا انعمرت الدنيا وامنت الرعايا كما كانت
في عهد اردشير وافريدون وبهرام گور وكسرى انوشروان و
اذا كان عليه السلطان جايرا خربت الدنيا كما كانت
عليه في عهد الضحاك وافراسياب ويزدگرد كنه كار الاثم
وامثال هؤلاء فان اشكل ما ذكرنا على احد وقال كيف تجوز
ان تلي المجوس امور العالم اربعة الف سنه وانهم عملوا بالعدل
ولم يروا الجور والظلم والخوف والعنف فاننا قد اوضحنا في كتابنا
هذا احوال الملوك الذين ذكرناهم ومددوا اياتهم واعمارهم و
سيرهم واخبارهم كل ملك منهم على حدته وكيف عامل مع رعيته
في ايام حياته ومدته بزوال الاشكال عن مثل هذه ويعلم مقدار
دولة كل ملك منهم وعلامات من جلس بعده في المملكة ومن كان

اول

ومن كان اول ملوكهم فقد ذكرنا ذلك مرتبا صحيحا اسما واسما
وظهرا ان شاء الله تعالى **ذكر انساب الملوك وسيرهم و**
تواريخهم يروى في الاخبار ان آدم لما كثر اولاده اختار
من جميعهم اثنين احدهما شيث والآخر كيومرث واعطاهما
اربعين صحيفة وقيل صحيفة من كل صحيفة ليعملا بما فيها ثم ولى
شيثا حفظ امور الدين والآخرة وولى كيومرث امور الدنيا و
المملكة فكان اول ملوك الارض وكان ملكه ثلثين سنة
وكان بعده هوشنگ وكان ملكه اربعين سنه ومن بعده
طهمورث وكان يحارب الجن وكانت مدة ملكه ثلثين سنه وبعده
جمشيد وهو الذي اظهر السلاح والسروج وعدد الحروب وكانت
له الاعمال العظيمة ومدة ملكه سبعمائة سنه ومن بعده بيوراسب
الذي يعرف بالضحاك ذي الحيتين وكان صاحب المكر والدهاء
والسحر وكان ظالما جايرا متعديا غاشما وكانت مدة ملكه الف
سنه ومن بعده افريدون وكان جيد الكلام حسن السيرة
والرسم وله حسن الصيت واقامة العدل وكان ملكه خمسمائة
سنه وبعده منوجهر صاحب العلم والاعمال الكثيرة والاثار
العظيمة وكانت مدة ملكه مائة وعشرين سنه ومن بعده

افراسياب الذي ملك ايران وكانت مدة ملكه مائة وعشرين
سنة الا انه تسميته كيكاولب وله الشجاعة وتبييت العساكر
بالليل وتشويش البلاد بالرجل والخيل وكان ملكه في ارض
شهر اثنتي عشرة سنة ومن بعده زوين لهاسيب وكان له
الشجاعة وطيب الخلق وكان ملكه خمس سنين ومن بعده
كيقباد وكان صاحب تبيين العساكر وتدبير الجنود و
الشفقة على الرعية وكان ملكه مائة وعشرين سنة وبعده كيكاوس
وكان صاحب الهمة العالية وكان ملكه مائة وعشرين سنة
ومن بعده كيخسرو وكان له حسن الايام والعقود وتمشية الكارمن
الامور والزهد في الاشياء بعد نيل المراد منها وكان ملكه
ستين سنة ومن بعده لهراسب وكان صاحب التاج و
الكرم والنية والبغي وكان ملكه اربعين سنة ومن بعده كشتاسب
وكان يعتقد مذهب زرادشت وكان ملكه مائة وخمسين
سنة ومن بعده بهمن اسفنديار وكان صاحب الحقد والجهد
في الحرب وكان ملكه مائة واثنتي عشرة سنة ومن بعده ابنته
هماي وكانت صاحبة الرأي والتدبير وكان ملكها سبع
عشرة سنة وكان من بعدها دارا وكان صاحب الهيبة والورع

والجبن

والجبن والورع وكان ملكه احدى واربعين سنة ومن
بعده دارا بن دارا وكان له قود العساكر وترتيب الحرب و
انقطاع الولايات وكان ملكه خمسين سنة ومن بعده اسكندر
الرومي وسوذ والونين وكان له الطواف في العالم والاسفار
البعيدة ومشاهدة العجايب وفتوح البلاد وقهر الملوك وكان
له ستا وثلثين سنة ومن بعده سابور بن اردشير وكان
ملكه ثلثا وثلثين سنة ومن بعده اورمزد وكان ملكه عشرين
سنين ومن بعده بهرام بهراميان وكان ملكه اربعة اشهر ومن
بعده هرمز بن نرسي وكان ملكه سبعين سنة وخمسة اشهر
ومن بعده سابور ذو الاكتاف وكان ملكه سبعين سنة
ومن بعده اخوه اردشير وكان ملكه عشر سنين ومن بعده
سابور بن سابور وكان ملكه خمس سنين ومن بعده بهرام
بن سابور وكان ملكه اثنتي عشرة سنة ومن بعده يزدجرد بزه
الاثم كار وكان صاحب الجور والظلم والوزر وكان ملكه ثلثين
سنة ومن بعده بهرام كور وكان له النظر التام في احوال الرعية
والزهد عن الوحوش والصيد والاشتغال بالنزجه واللعب
والنزه والشرب وكان ملكه ثلثا وستين سنة ومن بعده

يزدجرد بهرام وكان ملكه ثمانية عشر سنة ومن بعده بهروز وكان
ملكه احدى عشرة سنة ومن بعده اشك وكان خمس سنين
وشهرين ومن بعده كيقباد وملك اربعين سنة ومن بعده
جاماسب وكان صاحب علم النجوم وله فهم الاحكام العجيبة
وملك سنة وستة اشهر ومن بعده كسرى انوشروان نخبة
ملوك ايران صاحب العدل والانصاف والاحسان والاسعاد
وكان ملكه ثمان واربعين سنة ومن بعده هرمز وكان ملكه اثنتي
عشرة سنة ومن بعده خسرو برويز وما وصل احد من الملوك الى
درجته في الملك وجمع الخزائن والآلات وكنز الكنوز واستعمال
اللذات ما لو وصفناه لطال الكتاب وكان ملكه ثمان وثلثين
سنة ومن بعده شيروي بن خسرو وكان غدارا قليل الوفا
وكان ملكه سبعة اشهر ومن بعده اردشير وملك سنة وستة
اشهر ومن بعده كراب وملك خمس وخمسين سنة ويوما ومن بعده
بوران دخت وملك ستة اشهر ومن بعده ازرمي دخت
وملكه اربعة اشهر ومن بعده فرخ زاد وملك شهرا واحدا و
من بعده يزدجرد بن شهريار آخر ملوك العجم وكان ملكه ستا
وثلثين سنة وبعد ذلك استولى اهل الاسلام وغلبوا العجم

وازالوهم

وازالوهم عن البلاد والملك وقويت دولة دين الاسلام
ببركة نبينا محمد عم وذلك في عهد خلافة عمر بن الخطاب رض
فاعلم وتيقن ان هولاء الملوك الذين ذكرناهم كانوا اصحاب
الدنيا وملوك الارض وانهم بلغوا من الدنيا مرادهم وصرفوا
باللذات اوقاتهم ومضوا وبقيت اسماؤهم وسماتهم كما عددناه ٥
من فعالهم واوردناهم من خصالهم لتعلم ان الناس انما هم
الحديث الذي يبقى بعدهم فكل انسان يذكر بما كان يفعله
وينسب الى ما كان يستعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر فيجب
على الانسان ان يتدرع بدرع الاحسان وان ينفي عن نفسه
العيوب الفاضحات والخطايا الموبقات لا سيما الملوك
ليبقى بعدهم حسن الكلام وصالح الرسم ولئلا يذكروا بالقبيح و
تدخلوا في الفضائح كما قال الشاعر امرت من نشر وتب لاقيه
وان بدا منك فعذ واندم • وانف عن نفسك ما شانها •
ومن حاوى الدهر خف تسلم • بعدك يبقى الذكر لا غيره •
فكن حديثا حسنا تغنم • ويقال ان ذكر الرجال بعد موتهم
هو حياتهم الثانية في الدنيا فواجب على العقلاء قراءة اخبار
سلوك الملوك والنظر في احوالهم واحوال هذه الدنيا القليل

وفا في الكثيرة بلاؤها وان لا يعلقوا قلوبهم بها فانها
لا يبقى عليها صالح ولا يسلم منها طالح وليجتهد العاقل ان لا يكثر
خصومته فان الخصوم ضعيف بائس والبارى تعالى حاكم
عادل لابد ان ينصف في القيامة بين الخصوم ويأخذ من
الظالم للمظلوم فلا تساوي الدنيا بأسرها ان تجعل الناس
خصومها لاجلها كما جاء في بعض الحكايات **حكاية** كان ابو
علي الدقاق بن الياس سپاه سالار نيشابور يحضر يوما عند
الشيخ علي الدقاق رحمة الله عليه وكان زاهد اهل زمانه
وعالم اوانه فقعد على ركبتيه بين يديه وقال له عظني فقال
ابو علي ايها الامير اسالك مسئلة واريد الجواب عنها بغير
نفاق فقال اجيبك فقال انما احب اليك المال او العدو
فقال المال احب الي من العدو فقال له كيف تترك ما تحبه
بعدك وتستصحب العدو الذي لا تحبه معك فبكى الامير ودمعت
عيناه وقال الموعظة هذه وجميع الوصايا والحكم تحت هذا الكلام
والخالق جلت قدرته ارسل نبينا محمد صم حتى عادت ببركته دار الكفر
دار الايمان واظهره في اسعد وقت واوان وعم الدنيا شريعته
وختم الانبياء بنبوته وكان الملك في ذلك الزمان كسرى انوشروان

وهو الذي فاق جميع ملوك ايران بعدله ونصفته وتدبيره
وسياسته وذلك جميعه ببركة نبينا صم لانه ولد في زمانه
ووجد في اوانه وعاش انوشروان بعد مولده صم سنتين
والنبي صم افتخر بايامه وقال ولدت في زمن الملك العادل
وانما سماه ملكا لعدله ليتعلم ان الصيت الحسن والاسم الجيد
خير الاشياء، والملوك الذين ذكرناهم قبله كانت همتهم في عمارة
الدنيا والعدل بين الرعية وحفظ الخلق بالسياسة وحسن
الايالة وآثارها راتبة الى الآن وباقية الى اليوم ظاهرة في العالم
فكل بلد يعرف باسم صاحبه وملكه لانهم عمروا المواضع وبنوا
الضياع والمزارع واستخرجوا الاقنية والمصانع واظهروا اما
كان انوشروان يأمره بالعدل والانصاف وتجنب الاسراف
والاعتساف **حكاية** يقال ان انوشروان اظهر يوما من ايام
ملكه انه مريض وانفذ ثقاته وامناءه وامرهم ان يطوفوا
في اقطار مملكته واكناف ولايته ويطلبوا له لبنة عتيقة
من قرية خربة ليتداوى بها وذكر لاصحابه ان الاطباء
وصفوا له ذلك فمضى اصحابه وطافوا جميع ولايته و
عادوا فقالوا ما وجدنا في جميع المملكة مكانا خرابا ولا لبنة

عتيقه ففرح انوشروان وشكر الله وقال انما اردت
بهذا ان اجرب ولاتي واعتبر ايا بني لاعلم بلى بني في المملكه
موضع خراب لا عمره فالآن ما بقي مكان الا وهو عامر فقد تمت
امور المملكه وانتظمت الاحوال ووصلت العمارة الى درجة الكمال
فاعلم ان وكيك الملوك القدما كانت همتهم واجتهادهم في عمارة
بلادهم لعلمهم انه كلما كانت الولاية اعمر كانت الرعيه اوفر وا
شكر وكانوا يعلمون ان الذي قالته الحكماء ونطقت به العلماء
صحيح لا ريب فيه وسبقوهم ان الدين بالملك والملك بالجند
والجند بالمال والمال بعمارة البلاد وعمارة البلاد بالعدل
في البلاد والعباد فما كانوا يوافقون احدا على الجور والظلم
ولا يرضون لحشمهم بالخوف الغشيم علما منهم ان الرعية لا يثبت
على الجهد وان الاماكن والبلاد تخرب اذا استولى عليها الظالمون
ويتفرق اهل الولايات ويهربون الى ولايات غيرها و
يقع النقص في الملك ويقل في البلاد الدخل وتخلو الخزاين
من الاموال ويتكدر عيش الرعايا لان الرعايا لا يحبون
جايرا ولا يزال دعاؤهم عليه متواترا فلا يتمتع بمملكته وتسرع
اليه دواعي هلكته قال مؤلف الكتاب الظلم نوعان احدهما

ظلم

ظلم السلطان لرعيته وجور القوي على الضعيف والغني
على الفقير والثاني ظلمك لنفسك وذاك من شوم معصيتك فلا
تظلم كما جاء في الحكاية **حكاية** يقال انه كان في بني اسرائيل رجل
يصيد السمك ويتقوت بصيده اطفاله وزوجته فكان في بعض
الايام يتصيد فوقعت في شبكته سمكة كبيرة ففرح وقال امضي
بهذه السمكة الى السوق فابيعها واخرجها في نفقات الاولاد
فلقيه بعض العوانيه فقال له تبيع هذه السمكة فقال الصياد
في نفسه ان قلت له نعم اشتراها مني ببعض ثمنها فقال ما ابيعها
فغضب العواني فضربه بخشبة كانت معه على صلبه واخذ السمكة
منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه وقال الهي خلقتني مسكينا
ضعيفا وخلقته قويا عنيفا فخذ لي بحقي منه في هذه الساعة
فما صبر الا ساعة ثم ان ذلك الغاصب انطلق بالسمكة الى
منزله وسلمها الى زوجته وامرها ان تشويها فلما شوتها وضعتها
بين يديه على المايده مؤيده لياكل منها ففتحت السمكه
فاها ونكزت اصبعه نكزة سلبت قراره وازالت شدة عضتها
اصطباره فقصد الطبيب وشكى اليه حاله وذكر له ما ناله
فقال له الطبيب ينبغي ان تقطع هذه الاصبع لئلا

يسرى الالم الى جميع اليد فقطع اصبعه فانتقل الوجع الى
يده وازداد تالمه وزال قراره فقال الطبيب ينبغي ان
يقطع اليد من المعصم لئلا يسرى الى الساعد فقطع يده فتوجع
ساعده فقال الطبيب ينبغي ان يقطع ساعده لئلا يسرى
الالم الى الكتف فقطع ساعده فتوجع كتفه فخرج من مكانه هاربا
على وجهه داعيا الى الله ليكشف ما نزل به فراى شجرة فاتكى
اليها فاخذه النوم فنام وراى في منامه قائلا يقول له يا
مسكين الى كم تقطع يدك امض وارض خصمك فانتبه
من نومه وتفكر وتذكر وقال انا اخذت السمكة غضبا و
اوجعت الصياد ضربا وهي التي نكبتني فنهض وقصد المدينة
وطلب الصياد فوجده فوقع بين يديه والتمس الاقالة
واعطاه شيئا من ماله وتاب من فعاله فرضي عنه خصمه ففي
الحال سكنت الامه وبات تلك الليلة على فراشه وقد تاب واقلع
عما كان يصنع ونام على توبة خالصة ففي اليوم الثاني تداركه
ربه برحمته ورد يده كما كانت بقدرته فنزل الوحي على موسى ع م
ان يا موسى وعزتي وعظمتي لولا ان الرجل ارضى خصمه لعذبته
مهما امتدت به حياته **حكاية** كان موسى ع م يناجي ربه

في

في الطور فقال في مناجاته الهي ارني عدلك وانصافك
فقال له تعالى يا موسى انت رجل حاد جدي لا تقدر ان
تصبر فقال اقدر على الصبر بتوفيقك فقال اقصد العين
الفلانية واختف بازائها وانظر الى قدرتي وعلمي بالغيوب
فمضى موسى ع م وصعد الى تل بازاء تلك العين وقعد مختفيا
فوصل الى العين فارس فنزل عن فرسه وقرب من العين
وشرب من مائها وحل من وسطه هميانا فيه الف دينار
ووضعه الى جانبه وصلى ركعتين ثم قام ونسي الهميان
وركب وسار فجاء بعده صبي صغير فشرب من الماء واخذ
الهميان الموضوع فجاء بعد الصبي شيخ اعمى فشرب من
الماء وتوضأ ووقف في الصلاة وذكر الفارس الهميان
فعاد من طريقه الى العين فوجد الشيخ الاعمى حاضرا فقال
اني نسيت هميانا فيه الف دينار في هذا الموضع في هذه
الساعة وما جاء الى هذا المكان احد سواك فقال له
انا رجل اعمى كيف ابصرت هميانك فغضب الفارس من
ذلك وجذب سيفه وضرب به الاعمى فقتله وفتشه عن
الهميان فلم يجده فتركه ومضى موسى ع م الهي قد نفد صبري

وانت عادل فوقع كيف هذه الاحوال فهبط جبرائيل عم
وقال الباري جلت قدرته يقول انا عالم الاسرار اعلم ما لا
تعلم اما الصبي الذي في الهميان فانه اخذ حقه وملكه لانه كان اخذه
ابو هذا الصبي اجيرا لذلك الفارس واجتمع له عليه بقدر
ما في الهميان فالان وصل الصبي الى حقه واما ذلك
الشيخ الاعمى فانه قبل ان يعمى قتل ابا ذلك الفارس فقد
اقتص منه ووصل الى كل ذي حق حقه وعدلنا وانصافنا
حتى لا يعلمه الا من اطلعناه عليه وهذه الحكاية اوردناها
لتعلم العقلاء ويتصور في عقولهم وان الله جل ذكره لا يخفى
عليه شيء وانه ينصف المظلوم في الدنيا ولكن نحن غافلون
اذا جاء بلاء ونا لا نعلم من اين جائه نقل ذو القرنين فقيل له
اي شيء من مملكتك انت به اكثر سرورا فقال شيئان احدهما
العدل والانصاف والثاني ان اكافي من احسن الي باكثر
من احسانه قال النبي صلى الله عم ان الله تعالى يحب الاحسان
في كل شيء حتى انه يحب اذا اراد ذبح شاة فاتهى لها الة
ليعجل خلاصها من الم الذبح وقال ابن عمر ان رسول الله عم
قال لم يخلق الله في الارض شيئا افضل من العدل والعدل

والعدل ميزان الله في ارضه من تعلق به اوصله الى الجنة وعن
ابن عمر رضي الله قال قال رسول الله ان للمحسنين في الجنة
منازل حتى المحسن لاهله واتباعه وقال قتادة في تفسير هذه
الآية الا تطغوا في الميزان اراد به العدل فقال يا ابن آدم
ذكر ذلك يكفيك وعن ابن عمر رض ان رسول الله عم قال
ان الله تعالى لما اهبط آدم الى الارض اوحى الله اليه اربع كلمات
وقال يا آدم عملك وعمل جميع ذريتك على هذه الكلمات الاربع
وهي كلمة لي وكلمة لك وكلمة بيني وبينك وكلمة بينك وبين الناس
اما الكلمة التي هي لي فهي ان تعبدني ولا تشرك بي واما الكلمة
التي هي لك فاني اجازيك بعملك واما الكلمة التي بيني وبينك
بيني فمنك الدعاء ومني الاجابة واما الكلمة التي ~~بينك فمنك الدعاء~~
وبين الناس فهي ان تعدل فيهم وتنصف بينهم قال قتادة
الظلم ثلثة اضرب ظلم لا يغفر لصاحبه فهو الشرك بالله تعالى
قوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم واما الظلم الذي لا ينبغي فانه ظلم
العباد بعضهم لبعض واما الظلم الذي يغفر لصاحبه فهو ظلم العبد
نفسه بارتكاب الذنوب ثم رجع الى ربه ويتوب فان الله يغفر له
برحمته ويدخله الجنة بفضله ومنه الدين والملك توأمان فينبغي

ان يكون الملك دينا محبا للدين لان الدين والملك مثل
اخوين ولدا في بطن واحد فيجب ان ياتيهم الملك باموال الدين
ويؤدي الفرائض في اوقاتها ويتجنب الهوى والبدعة والمنكر و
الشبهة وكلما يرجع بنقصان الشرع وان علم ان في ولايته من
يتهم في دينه ومذهبه فامر باحضاره وتهديده فزجره وتوعده
فان تاب واناب والا اوقع به العقاب ونفاه عن ولايته
ليتطهر الولاية من اخوانه وبدعته ويخلو من اهل الاهوية
ويقوي الاسلام ويهتم بعمارة الثغور وانفاذ العساكر والحماة
اليها ويجتهد في احياء الحق ويحتاط في اعادة رونق السنة النبوية
والسيرة المرضية ليحمد عند الله تعالى طريقته وتعظم في القلوب
هيبته ويخاف سطوته اعداؤه ويعلو قدره ومنزلته وبهاؤه
ويكبر في عيون اضداده ويعظم عند انداده ويجب ان صلاح
الناس في حسن سيرة الملك ان ينظر في امور رعيته و
يقف على قليلها وكثيرها وعظيمها وحقيرها ولا يترك رعيته
في الافعال المذمومة ويجب عليه احترام الصالحين وان
يثبت على الفعل الجميل ويمنع من الفعل الرديء الوبيل
ويعاقب على ارتكاب القبيح ولا لحا من اصر على القبيح

لرغب

لرغب الناس في الطاعات ويحذروا من السيئات ومتى كان
السلطان بلا سياسة وكان لا ينهى المفسد عن فساده ويتركه
عن اراده افسد في امور بلاده وقالت الحكماء ان طباع
الرعية نتيجة طباع الملك لان العامة انما يتحلون ويرتكبون
الفساد وتضييق اعينهم اقتداء بملوكهم فانهم يتعلمون منهم ويلزمون
طباعهم الا يرى انه قد ذكر في التاريخ ان الوليد بن عبد الملك
من بني امية كان مصروف الهمة الى العمارة والزراعة وكان سليمان
بن عبد الملك همته في كثرة الاكل والشرب وتطييب المطعم وقضاء
الاوطار وبلوغ الشهوات وكانت همة عمر بن عبد العزيز في العبادة
والزهادة قال محمد بن علي بن المفضل وقيل للفضل ما كنت
اعلم ان امور الرعية تجري على عادة ملوكها حتى رايت الناس
في ايام الوليد بن عبد الملك قد اشتغلوا بعمارة الكروم والبساتين
واهتموا ببناء الدور وعمارة القصور ورايتهم في زمان سليمان
بن عبد الملك قد اهتموا بكثرة الاكل وتطييب الطعام حتى كان
الرجل يسال صاحبه اي لون اصطنعت وما الذي اكلت
ورايتهم في ايام عمر بن عبد العزيز قد اشتغلوا بالعبادة وتفرغوا للتلاوة
القران واتيان الطاعات واعطاء الصدقات لتعلم ان في كل

زمان يقتدي الرعية بالسلطان ويعملون باعماله ويقتدون
بافعاله من القبيح والجميل واتباع الشهوات وادرك لا ادراك
كما يقال ذكروا ان في زمن الملك العادل كسرى
انوشروان ابتاع رجل من رجل ارضا فوجد فيها كنزا فمضى
سريعا الى البايع واخبره بذلك فقال اني بعتك ارضا ولا اعلم
بما فيها والكنز الذي وجدته فهو لك ومبارك عليك فقال لا اريده
ولا اطمع في اموال الناس فتنازعا بهذه الدعوى الى الملك العادل
كسرى ففرح انوشروان بذلك فقال هل لكما اولاد فقال احدهما
لي ابن وقال الآخر لي بنت فقال انوشروان احب ان يكون
بينكما قرابة وصلة وان تزوج البنت بالابن ويبقى هذا
الكنز في جهازهما ليكون الكنز لكما ولولديكما ففعلا ما امرهما و
تراضيا بما رسم والآن لو كان الرجلان في زمن سلطان جاير
لقال كل واحد منهما الكنز لي ولكنهما لما علما ان ملكهما عادل طلب
الحق واثر الصدق وقالت الحكماء الملك كالسوق وكل احد
يجلب الى السوق ما يعلم انه فيه نافق غير كاسد وما يعلم انه كاسد
لا يجلب الى ذلك السوق والرجلان اللذان وجدا الكنز وترافعا
الى السلطان علما ان الزهد والعدل والصدق بو عند ذلك

السلطان

السلطان وان الحق له عنده نفاق فلذلك حملاه اليه واصباه
عليه اما الآن وفي هذا الزمان فكلما تجري على ايدي اوليائنا
والسنتنا ولا اتنا فهو اجابة اوثاننا واستحقاقنا فكما اننا ردي الاعمال
قبيحو الافعال وخيانة وقلة امانة فامراؤنا ظالمة جايرون و
غشمة متعدون لما تكونوا يؤتى عليكم فقد صح بهذا الحديث
ان افعال الخلق عايدة الى افعال الملوك لانه اذا وصف
بعض البلاد بالعمارة وان اهله في امان وراحة ودعة وغبطة
فان ذلك دليل على عقل الملك وحسن نيته مع رعيته وان ليس
ذلك من الرعية فقد صح ما قالته الحكماء ان الناس بملوكهم اشبه
منهم بزمانهم وقد جاء في الخبر الناس على دين ملوكهم وكان من
سياسة انوشروان وانجيث لو ان رجلا القى مكانه حلاوة دبيب
وبقي مهماما موضعه لم يعدم احد على ازالته من مكانه الا صاحبه
وكان بونان وزير انوشروان فقال له يوما لا يمكن موافق
للاشرار فتخرب ولايتك وتفتقر رعيتك فتنقص حينئذ مالك
الخراب والسلطان الفقراء ويقبح اسمك في الدنيا فكتب انوشروان
الى عماله ان خبرت انه قد بقي في مملكتي ارض خراب سوى ارض سبخة
لا تقبل الزرع صلبت عامل تلك الولاية وخراب الارض

من شيئين احدهما بخل السلطان والثاني جوره وكان الملوك
في ذلك الزمان يتفاخرون بالعمارة ويتجاهدون على اجتماع
الرعية ارسل ملك الهند وتتان رسولا الى انوشروان
وقال انا اولى منك فانفذ لي خراج ولايتك فامر انوشروان
بانزال الرسول ثم جمع في اليوم الثاني ارباب دولته واعيان
مملكته واذن للرسول في الدخول اليه فلما دخل اليه ومثل بين
يديه قال له اسمع جواب رسالتك ثم امر انوشروان باحضار
صندوق ففتحه فاخرج منه صندوقا صغيرا واخرج منه قبضة
من كبر وسلمها الى الرسول وقال هل في ولايتكم شيء من هذا
فقال نعم من هذا عندنا كثير فقال له انوشروان ارجع وقل
لملك الهند يجب عليك ان تعمر ولايتك فانها خراب ثم تطمع
بعد ذلك في ولاية غيرك فانك لو طفت جميع اطراف ولايتي وطلبت
اصلا واحدا من كبر ما وجدته ولو سمعت ان في موضع من ولايتي
اصلا واحدا من كبر لصلبت عامل تلك الولاية فيجب على السلطان
ان يسلك طرايق الملوك الذين تقدموه ويعمل على سننهم في الخير
ديوان كتب مواعظهم ووصاياهم لانهم كانوا اطول اعمارا واكثر
تجارة واعتبارا وانهم فرقوا بين الجيد والرديء وعرفوا الحق

من

من الخلق وكان انوشروان مع حسن سيرته يقرا كتب المتقدمين
ويطلب استماع حكاياتهم ويمضي على منهاجهم وسننهم ويقول هذا
الزمان اجدر ان يفعلوا ذلك سال انوشروان عادل
يوما لوزيره يونان وقال اريد ان تخبرني سيرة الملوك المتقدمين
فقال الوزير يونان تريد ان اوجز بثلثة اشياء ام بشيئين ام بشيء
واحد فقال اوجز بثلثة اشياء فقال يونان ما وجدت لهم في شغل
من الاشغال ولا في عمل من الاعمال قط كذبا ولا رأيت لهم بشيء
جهلا ولا رايت لهم في حال من الاحوال غضبا فقال اوجز با
شيئين فقال كانوا دايما يشاورون في اعمال الخير وكانوا ابدا يحذرون
من اعمال الشر فقال اوجز بشيء واحد فقال يونان كانت سلطنتهم
وولايتهم على انفسهم اكثر مما كانت على غيرهم فطلب انوشروان الكاس
وقال بهذا الكاس سرورا بالكرام الذين ياتون بعدنا يملكون تاجنا
وتختنا ويذكروننا كما نذكر نحن من تقدمنا واشقى الناس من
اغتر بملكه وعمر الدنيا وهو لا يدري كيف ينبغي ان يعيش فيها فيعمر
دنياه بالتعب ويحصل في الآخرة بالندم السرمد والعذاب
المؤبد وانما كان قصد اولئك الملوك واجتهادهم في عمارة الدنيا
ليبقى فيها بعدهم طيب الذكر مدى الايام والدهور كما جاء في

الحكاية   كان لانوشروان كرم يوف بذا ركام فاجتمع فيه
يوما قيصر الروم ويغفور جين وملك هندوستان ضيافة
انوشروان فتكلم كل واحد منهم بكلمة حكمة فقال قيصر ليس شئ
في هذه الدنيا اجود من فعل الخير والكلام الصالح والذكر الطيب
فانه يذكر به صاحبه دايما فيتقى بعده لم لا يكون نحن مثله
فقال انوشروان تعالوا حتى نفعل الخير ونتفكر في الخير فقال
قيصر اذا تفكرت في الخير عملت الخير واذا عملت الخير نلت المراد
فقال فغفور جين الله تعالى يتبعد عن فكره ان ظهرت آجتنبا
وان ذكرنا ما فجلنا وان فعلنا ما ذممنا وقال قيصر لانوشروان
اي شئ احب اوليك فقال احب الاشياء الي ان اقضى
حاجة من رآني لقضاء حاجته املا فقال قيصر انا احب
ان لا اذنب حتى لا اخاف ملوك يكون هذا كلامهم انظر كيف
كانت سيرتهم مع رعيتهم يا سلطان الاسلام يجب ان
تسمع اقوال هولاء الملوك وتنظر اعمالهم وتتواحكايا تهم من
الكتب وما سطر فيها من نعت عدلهم وانصافهم وحسن
سيرتهم وطيب خبرهم وذكرهم الجاري على السنة الخلق الى يوم
القيمة كان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رض من العدل

والسياسة الى حد اقام فيه الحد والعقارب على ولده حتى مات
وكان اذا انفذ عمالا الى اعمال قال لهم اشهدوا دوابكم وسلاحكم من
ارزاقكم ولا تمدوا ايديكم الى بيت المال للمسلمين ولا تغلقوا ابوابكم
دون ارباب الحوائج قال عبد الرحمن بن عوف دعاني عمر بن
الخطاب ذات ليلة وقال قد نزل بباب المدينة قافلة واخاف
عليهم اذا ناموا ان يسرق شئ من متاعهم فمضيت معه فلما وصلنا
قال لي نم انت ثم انه جعل يحرس القافلة طول ليلته وقال
عمر رض يجب علي ان اسافر لاقضي حوائج الناس من المسلمين
في اقطار الارض لان بها ضعفاء لا يقدرون على تصدي
في حوائجهم لبعد المكان فينبغي ان نخوف شاهد احوال العمال
واستبر سيرتهم واقضي حاجات الناس فلا يكون في سني عمر
سنة ابرك من هذه السنة   قال زيد بن اسلم رايت
ذات ليلة عمر بن الخطاب رض يطوف مع العسس فتبعته
وقلت له اتاذن لي ان اصحبك فقال نعم فلما خرجا من المدينة
راينا نارا من بعيد فقلنا ربما يكون قد نزل هناك مسافر
فقصدنا النار فرأينا امرأة بدارها ومعها ثلثة من الاطفال
صغار وهم يبكون وقد وضعت لهم قدرا على النار وهي

وهي تقول الله انصفني من عمر وخذ لي منه بالحق فانه شبعان
ونحن جياع فلما سمع عمر ذلك تقدم وسلم عليها وقال اتاذنين
لي ان ادنو اليك فقالت المراة ان دنوت بخير فبسم الله فتقدم
عمر وسالها عن حالها وحال الاطفال فقالت وصلت انا
وهولاء الاطفال من مكان بعيد وانا جايعة والاطفال
جياع وقد بلغ مني ومنهم الجهد والجوع وقد منعهم عن النوم
وقال عمر واي شي في هذه القدر فقالت تركت فيها ماء
ان غلبهم به ليظنوا انه طعام فيصبروا فقال زيدوا دار امير المومنين
وقصد دكان بياع الدقيق فابتاع منه جرابا ومضى
الى دكان القصاب فابتاع منه دسما ووضع الجميع على كاهله
وحمله يطلب به المراة والاطفال فقلت يا امير المومنين انا
احمله عنك فقال ان حملته عني فمن يحمل عني ذنوبي ومن يحول
بيني وبين دعاء الملك الجبار علي وجعل يسعى ويبكي الى ان وصلنا ان صح
الى المراة فقالت المراة جزاك الله عني خيرا فاخذ الجراب
من الدقيق وشيئا من الدسم ووضعه في القدر وجعل يوقد
النار فكلما اردت ان اخذ شيئا ما وكان الرماد يسقط على
وجهه ومحاسنه حتى انطبخت القدر فوضع الطبيخ في القصعة

وقال

وقال للاطفال كلوا فاكلت المراة والاطفال فقال عمر
ايتها المراة لا تدعين على عمر فانه لم يكن عنده منك ومن
اطفالك خبر واول من دعي بامير المومنين عمر بن الخطاب
رض لان ابا بكر رض دعوه بخليفة رسول الله فلما وصل
الامر الى عمر كانوا يقولون يا خليفة خليفة رسول الله وعمر
كان يطول ذلك فقال يا ايها الناس انتم المومنون وانا اميركم المؤمنين صح
وان دعوتموني امير المومنين فلزم ذلك ابن الخطاب
سئل خازن بيت المال هل انبسط عمر في بيت المال
فقال كان في اول الامر اذا لم يكن له شي يتقوت به اخذ
قليلا برسم القوت فاذا حصل له شي اعاده الى بيت المال
وخطب يوما فقال يا ايها الناس قد كان الوحي ينزل
علينا في عهد رسول الله وكنا نعرف به ظاهر الناس
وباطنهم وجيدهم ورديهم والان فقد انقطع الوحي عنا ونحن
ننظر من كل احد الى علانيته والله اعلم بسريرته وانا على الجهد
وعلى ان لا اخذ شيئا بغير حق فان شئت ان تعلم ان
عدل السلطان ورعيته سبب لجميل ذكره ونبيل فخره
فانظر في اخبار عمر بن عبد العزيز فانه لم يكن لاحد من بني

امينة سواه ولا يثني الا عليه لانه لو كان عادلا تقيا
كريما حسن السيرة نقي السريرة   كان في عهد عمر بن عبد
العزيز قحط جسيم فوفد عليه وفد من العرب واختاروا
رجلا منهم لخطابه فقال ذلك الرجل يا امير المومنين
انا اتيناك من ضرورة عظيمة وقد يبست جلودنا على اجسادنا
لفقد الطعام وراحتنا في بيت المال وهذا المال لا يخلو من
ثلثة اقسام اما ان يكون لله او لعباد الله او اليك فان كان
لله فان الله غني عنه وان كان لعباد الله او اليك فان
كان لله فآتهم اياه وان كان لك فتصدق به علينا ان الله
يجزي المتصدقين فتغرغرت عينا عمر بن عبد العزيز بالدموع
وقال هو كما ذكرت وامر ان تقضى حوائجهم من بيت المال فهم
الاعرابي بالخروج فقال له عمر ايها الانسان كما اوصلت حوائج
عباد الله الي واسمعتني كلامهم فاوصل كلامي وارفع حاجتي
الى الله فحول الاعرابي وجهه قبل السماء وقال الهي بعزتك و
جلالك اصنع مع عمر بن عبد العزيز كصنيعه في عبادك فما
استتم دعاءه حتى ارتفع غيم فامطر مطرا غزيرا فجاء في
المطر بردة كبيرة فوقعت على اجرة فانكسرت فخرج منها

كاغد عليه مكتوب هذه براءة من الله العزيز لعمر بن عبد العزيز
من النار ويقال ان عمر بن عبد العزيز كان ينظر ليلا في قصص
الرعية وروزنامجاتهم في ضوء السراج فجاءه غلام له
فحدثه في معنى سبب يتعلق ببيته فقال له اطفئ السراج
ثم حدثني لان هذا الدهن من بيت المال ولا يجوز استعماله
الا في اشتغال المسلمين فلكذا يكون حذر السلطان و
توقيه اذا كان عادلا محتاجا. في الحكاية   كان لعمر بن
عبد العزيز غلام وكان خازنا لبيت المال وكان لعمر بن
ثلث بنات فجئنه يوم عرفة وقلن له غدا يوم العيد
ونساء الرعية وبناتهم يلمننا ويقلن انتن بنات امير
المومنين ونراكن عرايا اقل من ثياب بياض فلبسنا
وبكين عنده فضاق صدر عمر فدعا غلامه الخازن و
قال اعطني من اجرتي لشهر واحد فقال الخازن يا امير
المؤمنين تاخذ الاجرة من بيت المال سلفا انظر ان
كان لك عمر شهر فخاز اجرة شهر فتحير عمر فقال نعم
ما قلت يا غلام بارك الله عليك ثم قال لبناته
اكظمن شهواتكن فان الجنة لا يدخلها احد بغير مشقة

لما كان الامر كذلك كان حواشيهم وخدمهم على قاعدتهم و
العدل التام هو ان تساوى بين المجهول الذى لا يعرف
وبين المحتشم صاحب الجاه المعروف في مقام واحد في الدعوى
وتنظر اليهما بعين واحدة ولا تفضل احدهما على الآخر
لاجل ان احدهما غنى والآخر فقير فى نفس الدعوى والخوف
في الآخرة بسبب واحد ولا يخاف عاقل نفسه بالنار لخشية
الاغيار واذا كان لرجل ضعيف على سلطان من السلاطين
دعوى فينبغى ان يقوم من صدر مملكته ويعمل بحكم الله تعالى
وينصف ذلك الضعيف ويرضيه ولا يحيف ولا يخفى من
الحق ويعمل بتقوى الله تعالى وبقوله عز وجل ان الله يأمر
بالعدل والاحسان وحقيقة ذلك ان كان للملك على
احد حق ان يسامحه ويمن به عليه ويأمر عماله الثقات
ان يقتدوا بمثاله ويعملوا بسيرته لئلا يسئل عن رعيته
يوم القيمة فقد جاء عن النبى عم انه قال كل راع يسأل
عن رعيته وكل سلطان يسأل عن رعيته والحال
على هذه الصفة ليعلم ذلك ان اسمعيل بن احمد
امر ان ينادى نزل حمر وكان رسمه فى كل منزل

ينزله المنادى ينادى فى المعسكر ان الجند ما لهم من الرعية
شغل فمضى رجل من الخيل بنديه من جملة اصحابه فدخل مبطخة
وتناول من البطيخ قدرا يسيرا فجاؤا الى الملك واستغاثوا
فى الايام باحضاره فاحضر بين يديه فقال له كلنا علينا
الحجة ام لا قال بلى قال فما سمعت المنادى فقال قد سمعته
قال فلاى سبب اذيت رعيتى فقال اخطات قال انا لا
اقدر لاجل خطائك على دخول النار ودار به فقطعت يده
ويحكى ان اسماعيل البتا ماني كتاب سير الملوك انه
قد كان ينزل نحو مولتان وكان كل وقت يصل الى
الى مدينة كندرنا يأمر المنادى وقت العصر ان ينادى فى
الناس وكان يرفع الحجاب ويبعد الحجاب ويفتح الابواب
ليجى كل من له ظلامة ويقف على جانب البساط ويخاطبه
ويعود مقضى الحاجة وكان يقضى بين الخصوم مثل
الحكام الى ان تنقضى الدعاوى ثم يقوم من موضعه و
يقبض على محاسنه بيده ويوجه وجهه نحو السماء ويقول
الهى هذا جهدى وطاقتى قد بذلته وانت عالم الاسرار تعلم
من نيتى ولا اعلم على اى عبدك من عبيدك حفت اولا

عند ظلمت وما انصفت انا او احد من اصحابي فاعزلني
يا الهي من ذلك ما لا اعلم فلما كان بعد سنة جميل الطويه
لا بعزم على امره وارتفع قدره وكان عسكره الف فارس
معتدين بالسلاح متفقين بالحديد وبركة ذلك العدل
والانصاف ظفره الله تعالى لعمرو بن ليث فقبضه وفتح
خراسان ثم ان عمرو بن ليث انفذ اليه من السجن وقال
لي بخراسان اموال كثيرة وكنوز موفورة وانا اسلم الجميع اليك فاطلقني
من السجن فلما سمع اسمعيل ذلك ضحك وقال الى الان لم يترك
عمرو بن ليث يريد ان يحمل المظالم التي احتقبها والاثام
التي ارتكبها في عنقي ويتخلص من ثقل اوزارها في الاخرة
قولوا له ما لي في مالك حاجة واخرجه من السجن وانفذه رسولا
الى بغداد فقال من امير المؤمنين الخلع والتشريف و
جلس اسمعيل في مملكة خراسان اربعين سنة بحسن الحال و
بقيت المملكة في عقب ال سامان مائة وثلثين سنة فلما انتقل
الامر الى اصاغرهم وصبيانهم ظلموا الخلق وتعدوا الحق
فزال ملكهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل السلطان
يوما واحدا خير من عبادة سبعين سنة وقال عمر

سيل سيف

من سيل سيف الجور سل عليه سيف الغلبة ولا رضي ثم كما
قال ان في تغضب مهيك طلق الوجه قوما تزري بالعدل عما
جور الحجاج فقل للناس ما تهوا استماعه ولا تفعل ان خرت
ابتغاء جاء في الاخبار ان داود عم كان ينظر يوما الى السماء فراى
شيئا مثل النخالة ينزل من الهواء فقال الهي ما هذا فاوحي
الله اليه ان يا داود هذه لعنتي انزلها على بيوت الجبارين
لما قعد انوشروان في المملكة كتب اليه يونان الوزير فقال
اعلم ايها الملك الامير ان امور الملك على ثلثة اشياء اما ان
تنصف رعيته ولا تنتصف منهم فذاك فضل وهذه الدرجة
العليا او ينصف وينتصف فذلك عدل وهي الدرجة الاولى الوسطى
او ينتصف ولا ينصف وهذه درجة الجور والسفل فانظر
ايها الملك الى هذه الثلثة واختر ايها اردت وانا اعلم
ان الملك لا يختار الا الاولى كما قال اني ومن انصف الناس
ولم ينتصف بنفسه منهم فذاك الامير ومن يرد انصافهم
مثل ما انصف اضحى ماله من نظير ومن يرد انصافهم
وهو لا ينصفهم فهو الذي نال الحقد **نصيحة وعظة** دخل
شبيب بن شبة يوما على المهدي فقال له يا امير المؤمنين

ان الله قد اعطاک الدنيا فی عظ رعيتک قسطا من طيب
نحيتک فقال المهدی وما الذی ينبغی ان يعطی الی الرعيه
فقال العدل فانه اذا نامت الرعيه فی امن منک نمت آمنا
فی قبرک وقال احذر يا امير المؤمنين من ليله لا يوم بعدها و
من يوم لا ليلة بعده واعدل ما استطعت فانک تجازی با
لعدل عدلا وبالجور جورا وزين نفسک بالتقوی فالناس فی
الحشر لا يعجبک احد زينة کقوله ان لا تحمل نفسک بالحسن و
زينتها فلن يعار تتقی فی الحشر من رجل وليس تبلی يدالمروف
فی خطابه تنزح کبيشة اوراس المال لم يزل وصل کتاب من
قيصر الروم الی انوشروان يقول بماذا يکون دوام
المملکه فکتب اليه جواب ذلک انی لا ارسم شيئا بجالة واذا
امرت بامر الحجبه ولا اترکه لشیء ولا لخوف ولا للرجاء بل يعلن
اذا امرت بشیء لا ابطله لاجل من رجائی او من خاقنی و
اننی لا اخر شيئا امرت به سئل ارسطاطاليس هل يجوز
ان يری احد ملکا اتاه الله تعالی فقال من وجدت فيه
الخصال وان کانت عارية العلم والعدل والسخاوة
والحلم والرأفة وما نا سبها لان الملوک انما کانوا ملوکا با

العقل

لنطق الالهی وصفيا الحسن وطهارة النفس ونزاهة
العقل والعلم وقدم الدوله وشرف الاصل الدولة التی
کانت فی مجدهم واصولهم فبذلک کانوا ملوکا والسلاطين
ومعنی قولهم فرايزدی وهو النطق الالهی وصفيا الحسن
يظهر فی ستة عشر شيئا العقل والعلم وحده الزکاء وادراک الاشياء
والصورة التامه والالمعيه والفروسيه والشجاعة والاقدام
والتانی وحسن الخلق وانصاف الضعيف ومحبة الرعيه
واظهار الرعاية والاحتمال والمداره فی مکانهما والرأی و
التدبير فی الامور والاکثر من قراة الاخبار وحفظ سير
الملوک والتفحص عن الاحوال والاعمال التی اعتمدها الملوک
وعملوا بها لان هذه الدنيا بقية دون المتقدمين الذين
تملکوها ثم مضوا وتوصوا وصار قد تذکارا للناس يذکر
کل انسان منهم بفعلة للدنيا کنز وللآخرة کنز وکنز هذه
الدنيا حسن الثناء وطيب الذکر وکنز الآخرة العمل
الصالح والکتاب الآخرة حکاية سال الاسکندر ارسطاطاليس
ايهما افضل للملوک الشجاعة ام العدل فقال ارسطاطاليس
اذا عدل السلطان لم يحتج الی الشجاعة حکمة کان الاسکندر

بعض الايام قد ركب في جماعة اهل موكبه فقال له رجل
من مقدمي عسكره ان الله قد اعطاك ملكا عظيما فاكثر
من النساء ليكون اولادك فتذكر بهم بعدك فقال
الاسكندر ليس ذكر الرجال بعدهم بكثرة الاولاد ولكن
بحسن السيره وعدل السنه ورجل غلب رجال الدنيا
لا يجوز ان تغلبه النساء حكاية عزل الاسكندر عاملا
من عماله عن عمل كبير خطير وولاه عمل خسيس حقير فاتى
ذلك الرجل بعض الايام الى الدركاه فقال له الاسكندر
كيف تجد عملك فقال اطال الله بقاء الملك الرجال لا
تشرف بالاعمال بل الاعمال تشرف بالرجال وذلك
بحسن السيرة والعفاف والانصاف وافاضة العدل
وتجنب الاسراف فاستحسن الاسكندر مقاله فاعاده الى
اعماله حكمة وسئل بزرجمهر فقيل له باي شي يظهر عز الملك
فقال له بثلثة اشيا حفظ الاطراف مع دفع العدو وعن
الحوزه واكرام العلماء والاعزازهم وحب اهل الفضل
لانه كلما جاز السلطان خاف اهل الاطراف وان كان
نعمهم كثيرة فانها مع الخوف لا تنساغ واذا كانت النعم قليلة

سانت

سانت مع الامن كما جاء في الحكاية حكاية يقال انه انقطع
رجل من قافلة الحاج وغلط الطريق ووقع في الرمل فجعل
يسير الى ان وصل الى خيمة فرأى في الخيمة امرأة عجوزا وعلى
باب الخيمة كلبا نايما فسلم الحاجي على العجوز فطلب منها طعاما فقالت
العجوز امض الى ذلك الوادي واصطد من الحيات بقدر كفايتك
حتى اشوي لك منها واطعمك فقال الرجل انا لا اجسر اصطاد
الحيات فقالت العجوز انا اتصيد معك فلا تخف فمضت
واتباه وتبعهما الكلب واخذوا من الحيات بقدر حاجتهم فاتت
العجوزه وجعلت تشوي الحيات ولم ير الحاجي بدا من الاكل
وخاف ان يموت من الجوع والهزل فاكل ثم انه عطش
فطلب منها ماء فقالت دونك والعين فاشرب فمضى
الى العين فوجد ماء مرا مالحا ولم يجد من شربه بدا فشرب
وعاد الى العجوز وقال اعجب منك ايتها العجوز ومن مقامك
في هذا المكان واغتذائك بهذا الطعام فقالت العجوز
كيف تكون بلادكم فقال تكون في بلادنا الدور الرحبة
الواسعه والفوكه اليانعه والمياه العذبة والاطعمة الطيبة
واللحوم السمينه والنعم الكثيره والعيون الغزيرة

فقالت العجوز قد سمعت هذه الكلمة فقال لي هل تكونون
تحت يد سلطان يجوز عليكم واذا كان لكم دين اخذ
اموالكم واستاصل اخوالكم واخرجكم من بيوتكم واملاككم
فقال قد يكون ذلك فقالت اذن يعود ذلك الطعام
اللطيف والعيش الظريف والحلو العجيبة مع الجور و
الظلم سما ناقعا وتعود طعمتنا مع الامن درياقا نافعا
اما سمعت ان اجل النعمة بعد نعمة الاسلام الصحة والامن
يكون من سياسة العدل فيجب على السلطان ان يعمل
بالسياسة وان يكون مع السياسة لان السلطان
خليفة الله فيجب ان يكون مهيبة بحيث اذا راته
الرعية خافوا ولو كان بعيدا وسلطان هذا الزمان
ليس كالمتقدمين فان زماننا هذا زمان ذوي الوقاحة
والسفهاء واهل الشقاوة والفجور واذا كان السلطان
والعياذ بالله بينهم ضعيفا او كان غير ذي سياسة فلا
شك ان ذلك يكون سبب خراب البلاد وان الخلل
يعود على الدين والدنيا وفي الامثال جور السلطان مائة
سنة ولا جور بعض الرعية على بعض سنة واحدة واذا

جارت

الرعية سلط الله عليها سلطانا جايرا ومكافى صرا
كما جاء في الحكاية **حكاية** اعطي الحجاج بن يوسف
بعض الايام قصة فيها مكتوب اتق الله ولا تجر على
الناس كل هذا الجور فرقى الحجاج المنبر وكان فصيحا
فقال ايها الناس ان الله تعالى سلطني عليكم
باعمالكم فانا ان مت ولا تخلصون انتم من الجور مع الاعمال
السيئة فان الله تعالى امثالي كثيرا واذا لم اكن فيهم ان
كان من هو اكثر شرا مني **شعر** وما من يد الا يد الله فوقها
وما ظالم الا سيبلى بظالم ۰ سئل بزجمهر اي الملوك اظهر فقال
من آمنه الطاهرون وخاف منه الخائنون واما السلطان
الذي لا سياسة له فليس له في اعين الناس خطر و
يكون الخلق عليه ساخطين ويذكرونه كل وقت بالتقبيح
الا ترى ان الانسان اذا كان من الولاية وتولى عليها
واراد ان يطلب الحساب من الرعية اول ما يكلمهم بالهيبة
ويصير حاكمه بالسياسة اولا لعلمه ان الرعية ينظرونه
بالعين الاذلة وفي هذا الباب حكاية عجيبة **حكاية**
كان لابي سفيان بن حرب ولد وكان يدعى زيادة

بن امه لانه قد كان قد ولد له في ايام الجاهلية وبغاة
وبشراه منه ابو سفيان وقال سوله مولد فلما وصل
الامر الى معاوية قربه اليه وادناه وولاه ولاية العراق
فلما وصل زياد الى عمل العراق وجد اهل العراق قوما عاتين
يعتدون ويسرقون فقصد زياد الجامع ورقى المنبر و
خطب خطبته ثم قال بعد خطبته والله لئن خرج احد
بعد العتمة الا خارجه من منزله لاخذت راسه فليعلم
الشاهد الغايب ثم امر مناديا ينادي بذلك ثلثة ايام
فلما اقبلت الليلة الرابعة خرج زياد وقد مضى من الليل
ثلثة اثلاثه فركب وجعل يطوف محال البلد فراى رجلا
اعرابيا ومعه غنم له وهو قايم فقال له زياد ما تصنع ها
هنا فقال الا ان اتيت مساء ولم اجد موضعا اتقي
فيه فنزلت مكاني الى ان اصبح وابيع غنمي فقال له زياد
انا اعلم انك صادق وان اطلقتك خفت ان يذيع الخبر

منكم كانت غرامته علي فلم يجسر احد ان يغلق في تلك الليلة
باب دكانه فلما كان من الغد اتاه رجل صيرفي وقال وقد
سرقت من البارحة اربعمائة دينار فقال له زياد تقدر ان
تحلف على صحة قولك قال نعم فحلفه ووزن له اربعمائة دينار
وقال له اكتم هذا ولا يشعر به احد فلما كانت الجمعة الثانية
واجتمع الناس للصلوة صعد زياد المنبر وقال اعلموا
انه قد سرق من دكان فلان الصيرفي اربعمائة دينار عينا
وانتم حاضرون فان رددتم ذلك فقد عاد الى الرجل ماله
وان لم تردوا ذلك فقد تقدمت ان لا يمكن احد منكم
ان يخرج من الجامع وآمر بقتلكم في هذه الساعة ففي الحال
لزموا من كانوا يتهمونه بالسرقة وقدموه بين يديه فرد
الذهب الذي سرقه فامر بصلبه في الحال ثم انه سال
بعد ذلك اي محلة بالبصرة ليس فيها امن فقيل

محله بين الارز فاران يتبرك فيها بالليل ثوب ديباج له
قيمة ثقيلة بحيث لا يراه احد فبقي اياما ملقا بحاله ولم يكن
لاحد ارقان يتوبه وينقله من مكانه فقال له اقليمه بعد
ذلك ان السياسة خير الاشياء الا انك لم ترحم المسلمين ابدا الا
واهلكت الخلق خطيما فقال قد احزنت الرحمة عليهم قبل ذلك
ثلثة ايام ومن شوم اعمالهم لم ينتهوا والذي اصابهم كان
من شوم خلافهم **حكاية** ولا ينبغي للسلطان ان يشتغل دايما
بلعب الشطرنج والنرد وشرب الخمر وضرب الكرة والصيد
لان مدمنه يمنعه وتشغله عن الاعمال ولكل عمل وقت
فاذا فات الوقت عاد الفرح حزنا والسرور احزانا فان
الملوك القدما قسموا ايامهم اربعة اقسام منها قسم لعبادة الله
وطاعته وقسم للنظر في امور السلطنة وانصاف المظلومين
والجلوس مع العلما والعقلاء كثيرة التدبير الامور وسياسة
الجمهور وتنفيذ الاحكام والمراسم والاوامر وكتابة الكتب
وارسال الرسل وقسم للاكل والنوم والتزود من الدنيا
واخذ الحظوظ من المزوج والسرور وقسم للصيد ولعب
الكرة والصولجان وما اشبه ذلك ويقال ان بهرام كور

قسم

قسم نهاره قسمين وجعله نصفين ففي النصف الاول
يقضي اشغال الناس وفي الثاني كان يطلب الراحة
ويقال انه في جميع ايامها ما اشتغل يوما تاما بعمل واحد وكان
انوشروان العادل يامر اصحابه ان تصعدوا الى اعلا مكان
في البلد لينظروا الى بيوت الناس وكل بيت لا يخرج منه
دخان نزلوا وسألوا عن احوال ولئك القوم وما خطبهم
فان كانوا في غم اعلموا انوشروان فكان يحل غمومهم ويزيل
همومهم وتجب على السلطان ان لا يرض لغلمانه ان ياخذوا ولو
شيئا من الرعية بغير حق كما جاء في الحكاية **حكاية** يقال انه كان
قد ولى انوشروان العادل عاملا فانفذ العامل اليه زيادة
عن الخراج ثلثة الف الف درهم فامر انوشروان اعادة
الزيادة على اصحابها وامر بصلب العامل وكل سلطان اخذ
من رعيته شيئا بالجور والغضب ووضعه في خزانته كان
مثله كمثل رجل عمل اساس حايط ولم يصبر عليه حتى يجف فوضع
عليه البنيان وهو رطب فلم يبق الاساس ولا الحايط
وينبغي للسلطان ان ياخذ ما ياخذه من الرعية بمقدار وان
يهب ما يهب بمقدار لان لكل واحد من هذين الاوين

حداً وقدراً كما جاء في الحكايات **حكاية** يقال ان المأمون
ولّى يوماً اربعة نفر اربعة ولايات فاعطى احدهم منشوراً
بخراسان واعطاه خلعة بثلثة الف دينار واعطى الآخر
منشوراً بولاية خوزستان واعطاه خلعة بثلثة الف دينار
وولى الثالث ولاية مصر وخلع عليه خلعة بثلثة الف دينار
وولى الرابع ولاية وخلع عليه خلعة بثلث الف دينار
ثم استدعا مؤبدان وقال له يا دهقان ما اعطى ملوك
العجم في ايام ملكهم لاحد مثل هذه الخلع فانه بلغني ان خلعهم
ما كانت تبلغ اكثر من اربعة الف درهم فقال المؤبد
اطال الله بقاء امير المؤمنين كان لملوك العجم ثلثة اشياء
ليست لكم احدها انهم كانوا ياخذون ما ياخذونه من الناس
بقدر ويعطونه بقدر الثاني انهم كانوا ياخذون من موضع
يجوز منه الاخذ ويعطون لمن ينبغي ان يعطى الثالث
انهم ما كان يخافهم الا المذنب فقال له المأمون صدقت
ولم يعد عليه جواباً ولاجل مذ افتتح المأمون باب تربة
كسرى وكشف تابوته وفتشه ونظر الى السحنة [?] وجده و
سى بحالها ما بليت والثياب عليه بجدتها ما تمزقت

ما تمزقت ولا خلقت والخاتم في اصبعه فصه من ياقوت احمر
كثير الثمن ما رأى المأمون قبله فصاً مثله وكان على فصه مكتوب
به ده نه به بمعنى ذلك الاجود اكمه بيدا لاكبر اجود [?] فامر المأمون
ان يعطى بثوب منسوج بالذهب وكان مع المأمون خادم فاخذ
الخاتم من اصبع كسرى ولم يشعر به المأمون فلما علم به امر باهلاكه
واعاد الخاتم الى اصبع كسرى انوشروان وقال كاد يفضحني بحيث
كان يقال عني الى يوم القيمة ان المأمون كان نباشاً وانه
فتح قبر كسرى واخذ خاتمه من اصبعه   سأل الاسكندر
يوماً جماعة من حكمائه وكان قد عزم على سفر فقال اوضحوا
الى سبيلاً من الحكمة احكم فيه اعمالي واتقن به اشغالي فقال كبير
الحكماء ايها الملك لا تدخل قلبك محبة شيء ولا بغضه لان
القلب خاصيته كاسمه وانما سمي قلباً لتقلبه ولكن اجعل
الفكر والحذر وزيراً واجعل العقل صاحباً ومشيراً واجتهد
ان تكون في ذلك مستيقظاً ولا تشرع في امر بغير مشوره وتجنب
الميل والمحاباة في وقت العدل والانصاف فاذا فعلت
ذلك جرت الاشياء على ايثارك وتصرفت باختيارك
وينبغي ان يكون الملك حليماً وقوراً وان لا يكون طائشاً

عجولا قالت الحكماء ثلثة اشياء قبيحة وهي في ثلث اقبح
الحدة في الملوك والحرص في العلماء والبخل في الاغنياء

حكمة

كتب لوزير يونان الى الملك العادل كسرى وصايا ومواعظ
فقال فيها ينبغي يا ملك الدنيا ان يكون معك اربعة اشياء
دايما العدل والعقل والصبر والحياء وينبغي ان ينفي عنك
اربعة اشياء الحسد والكبر وضيق العطن يريد به البخل والعداوة
وقال اعلم يا ملك الدنيا ان الذين كانوا قبلك من الملوك
مضوا والذين ياتون بعدك لم يصلوا فاجتهد ان يكون
جميع ملوك الزمان ورعاياهم محبيك ومشتاقين اليك

حكاية

يقال ان كسرى انوشروان ركب في بعض ايام الربيع على
سبيل النزهة فجعل يسير في الرياض المخضرة ويشاهد الشجر المثمرة
وينظر الى الكروم العامرة فنزل عن فرسه شكرا لربه وخر ساجدا
واضعا خده على التراب زمانا طويلا فلما رفع راسه قال لاصحابه
ان خصب السنين من عدل الملوك والسلاطين وحسن
نيتهم ورجائهم الى رعيتهم فالحمد لله الذي قد اظهر حسن
نيتنا في ساير الاشياء وانما قال ذلك لانه جربه في بعض الاوقات

حكاية يقال ان انوشروان العادل مضى يوما الى الصيد

فانفرد من معسكره خلف الصيد فراى ضيعة بالقرب منه
وكان قد عطش فقصد الضيعة واتى باب دار قوم وطلب
ماء ليشرب فخرجت صبية ابصرته وعادت الى البيت فدقت
قصبة واحدة من قصب السكر ومزجت ما عصرته منها بالماء
ووضعته في قدح وسلمت القدح الى انوشروان فراى فيه ترابا
وقذى فشرب منه قليلا حتى انتهى الى آخره وقال للصبية نعم
الماء كان لولا ذلك القذى الذي كدره فقالت
الصبية يا سيدي انا عمدا القيت فيه القذى
الذي فقال انوشروان ولم فعلت ذلك قالت رايتك
شديد العطش فلو لم يكن في الماء قذى كنت شربته عجلا
نوبة واحدة وكان يضرك شربه نهلة واحدة فتعجب انوشروان
من كلامها وعلم انها قالت ذلك عن ذكاء وفطنة فقال
من كم قصبة عصرت ذلك الماء فقالت من قصبة فتعجب
وطلب جريدة خراج تلك الناحية فراى خراجها قليلا ففكر
في نفسه فقال ناحية يكون في قصبة واحدة منها من السكر
كذلك ويكون هذا الخراج خراجها فجعل في نفسه انه اذا عاد
ان يزاد عليهم الخراج ثم انه عاد الى تلك الناحية بعد وقت

واختار على ذلك الوقت منفردا وطلب منها ان تخرج تلك
القصبة بعينها فرأته وعرفته وعادت لتخرج له ماء فابطأت
عليه فاستعجلها انوشروان وقال لاي سبب ابطأت فقالت
القصبة لانه لم يخرج من قصبة واحدة قدر حاجتك وقد
وقعت اليوم ثلاث قصبات وما خرج منها مثل ما كان
يخرج من قصبة واحدة فقال انوشروان ما سبب هذا
الحال فقالت سببه تغير نية السلطان فقد سمعنا انه اذا
تغيرت نية السلطان على قوم زالت بركاتهم وقلت خيراتهم
فضحك انوشروان وازال ما كان في نفسه مما اضمره لهم وتزوج
بتلك الصبية حالا لتعجبه من ذكائها **حكمة** يقال ان الصابر
من الناس ثلثة الانبياء عليهم والملوك وكرمهم خير والمجانين
وقيل ان السكر جنون وان المجنون يخاف من السكران
لان المجنون سكره باطن والسكران جنونه ظاهر والويل
لمن يبقى في سكر الغفلة دائما كما قال ان من السكرة الخمر
في سرعة فما عليه ان اصحا من تحل ومن يكن بالملك ذا سكره
يصحو اذا ما الملك منه انتقل والمعتقل حقا من كان من سكر
سلطنته صاحيا وكان المتقدم على عاقبته آمنا

وكان

وكان جليسه نصوحا معينا وعلامة سكر السلطان ان
يسلم وزارته الى محتاج معوز ثم يستدعيه ويتركه الى ان
يزول حاجته وتنقضي فاقته ثم يعزله وينصب غيره فيكون
مثاله مثال من يربي طفلا صغيرا الى ان يصير بالغا كبيرا يصلح
للاعمال ولقضاء الاشغال ثم يقتله ويبقى مهمله وقيل اربعة
اشياء على الملوك من الفرائض وهي ابعاد الاردياء عن
ممالكهم وعمارة المملكة بتقريب العقلاء وحفظ آراء المشايخ
واولي الحنكة والتجربة والزيادة في امر الملك بالاقلال من
العمال المذمومة لما تولى الامر عمر بن عبد العزيز كتب الى الحسن
البصري ان اعني باصحابك فكتب الحسن اليه اما ابناء الدنيا
فلا ينصحك واما طالب الآخرة فلا يرغب فيك ولا
يجوز للسلطان ان يسلم وزارته والاعمال من عماله الى من
ليس له في ذلك عمل فان سلم الاعمال الى ذلك الرجل
فقد افسد ملكه واهمل امره وخرب مملكته وظهر له الخلل الوافر
من كل وجه وكل جانب كما قال ان في البيت اما حال
منه خرابه فظهر التخلل من اساس الحائط واذا تولى الملك
عن اربابه دق الامور لكل قدم ساقط ينبغي لمن خدم

الملوك ان يكون كالاخرس حتى يصلح لخدمتهم وانشد
فالبس من التوقي اخا ملبس فادخل اذا ما دخلت
اعمى واخرج اذا ما خرجت اخرس ومن انبسط على
السلطان فقد نغصه ولو كان ولده فليس الانبساط
عليهم في خدمتهم وجه كقول الشاعر ان ادناك السلطان فجل
مداره وخف منه ان احببت رايك سالما ومثل من
ينبسط على السلطان كمثل الحواء الذي يكون ديدنه مع
الحيات يامنها ويقعد معها ويقوم معها او كرجل في البحر بين
التماسيح التي تبلع الآدميين فلا يزال بروحه مخاطرا
حكمة قيل ويل لمن ابتلي بصحبة السلاطين فانهم ليس
لهم صديق ولا قرابة ولا ولد ولا خادم ولا احترام لاحد
ولا يحابون احدا الا من كانوا محتاجين اليه لعلمه او
لشجاعته اذا اخذوا حاجتهم منه لم يبق عندهم مودة و
ما يبقى له معهم وفاء ولا حياء واكثر اشتغالهم رياء و
يستغفرون كبار ذنوبهم ويستعظمون صغار ذنوب غيرهم
قال سفيان الثوري لا تصحب السلطان واياك وخدمته
لانك ان كنت له مطيعا اتعبك وان خالفته قتلك

واعطيك

واعطيك ولا ينبغي لاحد ان يدخل الملوك اذا لم يكن
لهم جواز كما جاء في الحكاية حكاية يقال ان يزدجرد بن
شهريار دخل يوما على والده في وقت لم يكن لاحد
اذن في الدخول فقال شهريار لبهرام امض واضرب
الحاجب الغلام ثلثين خشبة واطرده عن الدركاه
واقعد عوضه فلما اتى وكان عمر يزدجرد ثلثة عشر حينئذ
فعل ذلك حتى ابعد الحاجب الاول عن الباب فعاد
بعض الايام يزدجرد ونسب ان يدخل على والده فجعل
الحاجب يده على صدره وردّه على عقبه وقال له ان
عدت رايتك بعدها ههنا ضربتك ستين صوتا ثلثين
لاجل الحاجب المعزول وثلثين لئلا تعود وتدخل على الملك
في غير وقت الاذن وان كنت ولده تجلب لي الضرب والخزي
والهوان واصلح الاشياء للملك ان لا يباشر الحرب
بنفسه ويحفظ ناموسه لان كثيرا من الارواح يتعلق
بروحه وصلاح الرعية في حياته وكذلك ينبغي ان لا يجوز
على نفسه لئلا يجوز على جميع الخلق ولا يجوز للسلطان و
قيل للملك ان يجازف في الاشغال ولا يتاثل في

الاحوال وتجب ان يهتم كل ليلة على قرانه خيره و
يتحول نفعه الى غير ذلك المكان حتى ان قصد عدو زوال نعمته
نعمه وجد غيره في مكانه ولا يتصل يد عدو اليه كما جاء في
الحكاية حكاية يقال انه لما انهزم خسرو پرويز من بهرام چوبين
وقال ربت وان كان الهرب عيبا لا خلص بهذه الارواح
جماعة من اصحابي لاني ان هلكت هلك بسببي الوف من
الخلايق والمقصود من هذا المقال ان زماننا غير موافق
وان الناس فيه بين قبيح الفعل و غافل والملوك مشغولون
بالدنيا ومحبة المال ولا يجوز الاحتمال والتغافل عن امر
السوء فهو امثال ثوب العبد يترع بالتقضا والحكمة به
الاشارة وهذا المثل يضرب فيمن له اصل وفيمن لا اصل
له وقد كان للناس وقت وزمان يؤمن فيه رجل واحد
جميع اهل الدنيا ويخوفهم بدرة كان يحملها على عاتقه وهو
عمر بن الخطاب رضي الله عنه والفضل في ذلك الوقت
كان للزمان وللرعية واليوم لو عوملت هذه الرعية بتلك
المعاملة لم يحتملوا وليدا منهم الف ولكن ينبغي ان يكون
السلطان سلطان هذا الوقت له اتم سياسة وهيبة
ليشتغل كل انسان بشغله ويأمن الناس بعضهم من بعض

ونحن

ونحن الآن نورد خبرا في هذا الباب ليستفيد فيه القارئ
والسامع خبر سئل امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم وجهه
فقيل له لاي سبب لا تنفع الموعظة هؤلاء الناس فقال
الخبر المعروف ان رسول الله صلعم لما اوصى عند وفاته اشار بثلث
اصابعه وقال بطرف لسانه لا تكونوا مثل اولئك فقال
الصحابة ان ذلك اشارة الى ثلثة اشهر وقال قوم ثلث
سنين وقال قوم ثلثين سنة وقال قوم ثلثمائة سنة يعني
اذا بلغ ثلثمائة سنة لا تكونون مثل حال تلك الرجال فاذا
قال النبي صلعم لا تكونوا مثل اولئك فكيف ينفع الوعظ
فيهم وسئل عن مثل هذا السؤال فقال كان الناس في
ذلك الزمان نياما وان العلماء ايقاظا واليوم العلماء نياما
نيام والخلق موتى فاي نفع لكلام النائم عند الموتى اما
هذا فهو الزمان الذي قد يهلك فيه الخلايق جميعهم وقد خبثت
اعمال الناس في دنياهم واذا لم يكن بينهم سياسة السلطان
ولا هيبته لم يثبتوا على الطاعة والصلاح قال النبي صلعم
الدين وفيه صلاح السلطان وقوة الخاص والعام وبه يكون
خير الرعية وامنهم وعافيتهم وكلا لا يمكن تمييز ان

العدل قال الله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان يعني
به العدل وقال في موضع آخر الله الذي انزل الكتاب بالحق
والميزان واحق الناس بالجاه والمملكة من كان قلبه مكانا
للعدل وبيته مقرا لذوي الدين والعقل وداية خزانة لارباب
العلم والفضل وصحبته مع العقلاء ومشورته مع اولي الالباب
كما قال ن ع بد ٩ انه جوده والقلب خازنه قد زينت ابوابه
ابو بطالب عدله قال الحسن البصري كل ملك عظم امر الدين
كان عند رعيته عظيم الامر ومن خاف الله تعالى تخوف
الخلق به واختاروا ان يكونوا معارفه كما قال النبي ع من
خاف الله تع لسجه • آخر كل الخلق عن نه • طوبى لمن اولى
من جاره • مودة الخالق سبحانه قال بزرجمهر لا ينبغي للملك
ان يكون في حفظ مملكته اقل من البستاني في حفظ بستانه
فانه اذا زرع الريحان ونبت بينه الحشيش استعمل في قلع
الحشيش لئلا يضغط اماكن الريحان حكمة وقال افلاطون
علامة السلطان المظفر على اعدائه ان يكون قريبا نفسه لا زما
لنصيحته متفكرا في رايه وتدبيره بقلبه وان يكون عاقلا في
مملكته نزيها بنفسه حلوا في قلوب رعيته رفيقا في سائر احواله

في بالعهد من تقدمه خيرا ابا عمال من سوا اقدام منه صلبا في
دينه وكل ملك تجمعت فيه هذه الخلال وحصلت له هذه
الخصال كان في غزة عدو مهيبا لا يجد الغائب فيه معيبا واذا
كان الملك يرى ان حوله وقوته بالله جلت قدرته وان كان عدوه
قويا فانه يظفر به وينصر عليه مثاله قوله تعالى كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين حكمة وقال
سقراط علامة الذي يدوم ملكه ان يكون الدين والعقل
جنبين في قلبه ليكون في قلوب الرعية محبوبا وان يكون
العقل قريبا منه ليكون عند العقلاء قريبا وان يكون طالبا
للعلم ليتعلم من العلماء وان يكون فضله غزيرا وبيته كبيرا
ليغط عنده الفضلاء ويزين الادباء ليتزرع عنده الادب
وان يبعد عن مملكته متطلبي العيوب ليبقيه عنه العيوب
وكل ملك لم يكن له مثل هذه الخصال لا يوزخ مملكته ويتلف
ارتباطه وجلت ذه على يده لان القتل يظهر من عدم العقل
وكل العيوب نتيجة قلة العقل كما قال الشاعر يعقل الحكيم
المقال الاسد في البرج اذ لست فيه اسد الحفيظ نبنبك
مع تقليبك فعينيك للملك لكن الحد وحد ان تنازعه ملك

وفي حالة السخط عنه فعد فيتقل عن سخطه لا يحرم ضيعها
وليس عليه عقود وسمعت عن الخبر ان الملك يسكد عنها قبيل
الامد قال معوية الاحنف بن قيس قيل يا ابا يحيى كيف
الزمان قال الزمان انت يا امير المؤمنين ان صلحت صلح
الزمان وان فسدت فسد الزمان وقال الاحنف بن قيس
كما ان الدنيا عمرت بالعدل فكذلك تخرب بالجور لان العدل
يبلغ نوره ويلوح تباشيره عن مسيرة الف فرسخ والجور
تتراكم ظلامه ويسود قيامه عن مسيرة الف فرسخ وقال الفضيل
بن عياض لو كان دعائي مستجابا لم ادع لغير السلطان العادل
لان السلطان العادل صلاح البلاد وزينة العباد **خبر** جاء
في الخبر عن سيد البشر انه قال يطوف الله في اعلى منابر النور
يوم القيامة **حكاية** كان الاسكندر يوما على تخت مملكته و
قد رفع الحجاب فقدم بين يديه لص فامر بصلبه فقال ايها
الملك اني خفت ولم يكن لي شهوة في السرقة ولم يطلبها
قلبي فقال الاسكندر لا جرم تصلب ولا يطلب قلبك ان تصلب
ولا يريده فواجب على السلطان ان يعدل وينظر غاية
النظر فيما يامره من السياسة لينفذ ذلك اصحابه مثل وزيره

وحاجبه

وحاجبه وعامله ونايبه لان كثيرا من سياسة السلطان
وعدله ونظره وحسن تامله يقطع عليه بالبراطيل ويفوت
وقته وذلك من تهاون الملك وغفلته فينبغي ان يجتهد
في تدارك ذلك كما جاء في الحكاية **حكاية** كان للملك وزير اسمه
راست روشن وبهذا الاسم كان ينطق لكن بسبب انه تقي
صالح وما كان يسمع فيه مقال احد يقدح فيه ولم يكن يجترئ ه
فقال راست روشن لخليفة الملك ان الرعية قد بطرت من
كثرة عدلنا فيهم وقلة تاديبنا لهم وقد قيل اذا عدل السلطان
جارت الرعية والان فقد فاحت منهم رايحة الفساد ووجب
علينا ان نؤدبهم ونزجرهم ونبعد المفسدين ونخلي الفئة
المفسدين ونؤدب الصالحين ثم انه كان كل من لزمه
الخليفة ليؤدبه ارتشى منه راست روشن واطلقه الى
ان ضعفت الرعية وضاقت بها الاحوال وخلت الخزاين
من الاموال فظهر للخليفة عدو سر اليه فلم يجد شيئا
يصلح به امور عسكره فركب يوما من شغل قلبه وسار في البرية
فرأى من بعد قطيع غنم فقصده فرأى خيمة مضروبة والاغنام
نيام ورأى كلبا مصلوبا فلما قرب من الخيمة خرج اليه شاب

فسلم عليه وسأله النزول فنزل فأكرمه وقدم بين
يديه ما حضره كما وجب فقال كنت تخبرني عن حال هذا
الكلب حتى آكل طعامك فقال له الشاب اعلم وتيقن
ان الكلب كان امينا على اغنامي فصادق ذئبة فجعل يقوم
معها وينام عندها والذئبة كل يوم تأتي وتسرق من الغنم
رأسا بعد رأس فجاء بعض الايام صاحب البضع وطلب شيء
حق المرعى فتفقدت الغنم واحببت حساب الغنم وهي تنقص
في الحساب فرأيت ذئبة قد اخذت تماما والكلب ساكت لجانبه
فعلمت انه كان بسبب تلف الغنم وانه كان يخون امانته فلزمته
وصلبته فتعجب كشتاسب بذلك وجعل يفكر في نفسه وقال
رعيتنا اغنامنا فيجب ان نسأل نحن ايضا عنها لنفصل لي
حقيقة امرها فعاد الى داره وجعل ينظر في امور الوزراء حاجات
واذا ابى جميعها شفاعات راست روشن فضرب مثلا وقال
من [illegible] من ذوي الفساد بقي بغير زاد ومن خان في الزاد
عاد بغير روح وامر بصلب الوزير وهذه الحكاية مكتوبة في كتاب
يادكار نامه وفيها يقول الشاعر وما انا مفتقر بالسمك الذي غنيت
كي تحتال في طلب الرزق ومن يجعل الاحتيال فخا لزمه بعد

غير ذي

غير ذي روح يحتال لخداع الرزق **حكاية** يقال انه كان لعمرو
بن ليث شيب يعرف بأبي جعفر زيدويه وكان عمرو يحبه خفيا
ومن جملة محبته له كان وصله من مراة مائة جمل حمل الوزير
على كل جمل حمل من الحوائج فأنفذ عمرو من كل حاجة جملا الى
دار ابي جعفر وقال ليوسع عليه في مطبخه فقيل يوما لعمرو
بن ليث ان ابا جعفر قد بطح غلاما له وضربه ضربا من خشبته
فأمر عمرو باحضاره وامر ان يحضر بين يديه كل سيف في خزانته
وقال يا ابا جعفر اختر من اجود السيوف اجودها فاخرج له ثلثمائة
عنها فجعل ابو جعفر يتخير وينتقي الى ان اشتغل وافرد مائة سيف
وقال لا تختر الآن منها سيفين فاختار ابو جعفر سيفين منهما فقال
امر عمرو ان يجعلا في قراب واحد فقال ابو جعفر ايها الامير كيف
يمكن ان يكون السيفان في قراب واحد فقال له عمرو يا ابا جعفر
فكيف يمكن ان يكون اميران في بلد واحد فعلم ابو جعفر انه قد
اخطأ فقبل الارض والتمس العفو والاقالة وقال عمرو
لولا حق التوابة والنسب والله لما جانبتك فحل عن بلدنا
الا انا لقد عفونا هذه النوبة عنك **حكاية** قال اردشير
اذا كان الملك عاجزا عن اصلاح خواصه ومنعهم عن الظلم

فكيف يقدر على رد العوام الى الصلاح قال الله تعالى وانذر
عشيرتك الاقربين والعرب تقول انه ليس شيء اضيع
للملك واخذ لاحوال الرعية من تعذر الاذن في الدخول الى
الملوك وتكاثر الحجاب وصعوبة الحجاب وليس لشيء من الهيبة
في قلوب الرعية والعمال من سهولة الحجاب واذا كان الملك
سهل الحجاب لم يمكن العمال ان يجوروا على الرعايا وخافت
الرعية من جور بعضهم على بعض وبسهولة الحجاب يكون الملك
على خبر الاحوال اطلع ولا يجوز للسلطان ان يكون غافلا
لتكون الهيبة من ناموس المملكة باقية ويستريح من الهموم
الحادثة عن الغفلة **حكاية** يقال ان اردشير كان متيقظا
ذا فطنة بالامور بحيث انه كان اذا جاء ندماؤه من الغد
حدث كلا منهم بما صنعه وكان يقول لاحدهم انك البارحة
فعلت الشيء الفلاني واكلت الشيء الفلاني ونمت
مع زوجتك او مع الجارية الفلانية ومهما كان يجري لهم
كان يحدثهم به من الغد بحيث كانوا يظنون ان ملكا يأتيه
من السماء يخبره بافعالهم وكذلك كان السلطان الغازي
محمود بن سبكتكين **حكاية** قال ارسطاطاليس خير الملوك

من

من كان في حلاوة النظر على مثال العقاب وكان الذين
حوله كالعقبان لا كالجيف يعني اذا كان السلطان بعيد
النظر ذا تيقظ وفكرة في العاقبة وكان المقربون منه وخواص
دولته بهذه الصفة انتظمت امور مملكته واستقامت احوال
سلطنته وولايته **حكمة** قال الاسكندر خير الملوك من بدل
السنة السيئة بالسنة الحسنة وشر الملوك من بدل
السنة الحسنة بالسنة السيئة **حكمة** قال ابرويز لابنه لا يجوز للملك
التجاوز عنهم ولا الصفح عن ذنوبهم من قدح في ملكه وهتك
حرمته وافشى سره قال سفين الثوري رحمه الله تعالى خير الملوك
من جالس اهل العلم ويقال ان جميع الاشياء يتجمل بها الناس
والناس يتجملون بالعلم ويعلوا اقدارهم بالعقل والفهم وليس
للملوك شيء خير من العلم والعقل فان في العلم بقاء القوة ودوامه
وفي العقل بقاء السرور ونظامه ومن اجتمع فيه العقل والعلم
فقد اجتمع فيهما ثنتي عشرة خصلة العفة والادب والتقى
والامانة والصحة والحياء والرحمة وحسن الخلق والوفاء
والصبر والحلم والمداراة وهذه من خواص آداب الملوك وينبغي
ان تعلم ان هذه الاداب تحتاج الى نظائرها وقرائنها لتصح

في استعمالها فينبغي ان يكون مع العقل العلم ومع الشجاعة
الصبر ومع النعمة الشكر ومع الصباحة الحلاوة ومع الاحسان
الدولة واذا جاءت الدولة حصل جميع المراد **حكاية** اعلم
ان يعقوب بن ليث علا امره وارتفع قدره فظهر اسمه و
ذكره وملك كرمان وسجستان وفارس وخراسان و
قصد العراق وكان الخليفة في ذلك الزمان المعتمد فكتب
الى يعقوب ~~اليه جوابا وقال ان المولى~~ صفارا فمن اين
تعلمت تدبير الممالك فكتب يعقوب اليه جوابا وقال ان
المولى الذي اتاني الدولة اتاني التدبير وفي عهد نامه انوشيروان
مكتوب كل جور ولا يضع قدمه على بساط العدم كانت عاقبته
ذل وكل عدل ليس معه خوف من الله وان كان تاما فان
مصيره الى النوم فينا وتدوم في بيتنا نعال ما دام بساط
العدل والانصاف مبسوطا في هذه الايوان **حكمة** كان
المأمون قد جلس في بعض الايام لفصل الدعاوي والاحكام
فرفعت اليه قصة فسلم القصة الى وزيره الفضل بن سهل
وقال له اقض حاجة صاحبها في هذه الساعة فان الفلك
في سرعة دورانه احد من ان يثبت على حاله او يبقى لمحب باماله

يقول مؤلف الكتاب يجب على الملوك العقلاء واولى فضل
الالباب ان ينظروا في هذه الاخبار ليأخذوا نصيبا
من ايام دولتهم وينصفوا المظلومين ويقضوا حوائج السائلين
ويتيقنوا ان هذا الفلك لا يثبت على دور واحد وانه لا اعتماد
على الدولة وان الفرصة كالسحاب لا تركن بالعسكر وكثرة
الاموال والذخاير فاذا انخلت الدولة تلاشت الاموال
وتفانت الرجال ولا ينفع الندم اذا زلت القدم كما جاء في
الحكاية **حكاية** يقال ان مروان اخو بني امية عرض عسكره
فكان ثلثمائة الف رجل بالعدد الكاملة فقال وزيره ان هذا
الجيش لمن اعظم الجيوش فقال له اسكت فانه اذا انقضت
المدة لم تنفع العدة واذا نزل القضاء وان كان العسكر عظيما
كثيرا بان قليلا حقيرا ولو ملكنا الدنيا باسرها فلا بد ان ننزل
عنها ولمن وقت الدنيا حتى تفنى لنا **حكمة** قال ابو الحسن
السوارى في كتاب الزوايد والفوايد الدنيا لا تصفو الا رب
ولا تبقى لصاحب فخذ ما دامت بيدك لغدك ولا تبقي يوم
عليك ولا لغيرك يقال كان على قبر يعقوب بن ليث مكتوب
خراسان بجوها واكناف فارس وما كنت من ملك العراق بآيس

سلام على الدنيا وطيب نسيمها • كأن لم يكن يعقوب فيها
لجالس **سؤال وجواب** سئل ملك كان قد زال الملك
عنه فقيل له اي سبب انتقلت الدولة عنك وسلبت الملك
منك فقال لاغتراري بالدولة والقوة ورضائي برأيي وغفلتي
عن المشورة وتوليتي لاصاغر العمال على اكابر الاعمال
وتضييعي الحيلة في وقتها وقلة تفكري في الحيلة واهمالها
وقت الحاجة اليها والتباطؤ والوقفة في مكان العجلة و
الفرصة والاشتغال عن قضاء حوائج الناس وقيل له
اي الاشياء اكثر شرا فقال الرسل الخونة الذين يخونون
في الرسالة لاجل اطماعهم فكل خراب المملكة منهم كما قال ابو شيبه
في حقهم كم سفكوا من الدماء وكم هزموا من الجيوش وكم هتكوا
من الستار ذوي الحرمات الاحرار وكم احتاجوا من الاموال
وكم من يمين كذبوا فيها بجنايتهم وكم من عهود نقضوها بقلة
اماناتهم وكان ملوك العجم في قديم الايام يحترزون ويتحفظون و
ما كانوا ينفذون رسولا الا بعد ان يجربوه ويمتحنوه **حكاية**
ان ملوك العجم كانوا اذا ارسلوا رسولا الى الملوك ارسلوا معه
جاسوسا فيكتب جميع ما قاله وسمعه فاذا عاد الرسول

قابلوه

قابلوه كلامه بالنسخة التي كتبها الجاسوس فان صح مقاله
علموا انه صادق فكانوا يرسلونه بعد ذلك الى الاعداء **حكاية**
ارسل الاسكندر رسولا الى الملك دارا فلما رجع الرسول و
اعاد الجواب شك الاسكندر من كلامه في كلمة فلزمها عليه
فقال الرسول يا مولاي انا سمعت هذه الكلمة منه باذني فلما تيقن
فأمر الاسكندر ان يكتب ذلك اللفظ بعينه وانفذه على يد
رسول آخر الى دارا بن دارا فلما وصل اليه وعرض المكتوب
عليه وقرأه طلب سكينا فقطع تلك الكلمة من الكتاب
واعاده الى الاسكندر وكتب اليه ان اس الملك على حسن
لسنة الملك وصحة طبعه واساس صحة السلطان على صحة
لفظ السفير وصدق مقالة الرسل لامنا لان الرسول
يقول ما يقوله عن لسان الملك ويسمع ما يسمع من الجواب
بسمع الملك والآن فقد قطعت تلك الكلمة من الكتاب لانها
لم تكن من كلامي ولم اجد سبيلا الى قطع لسان رسولك فلما عاد
الرسول وقرأ الاسكندر الكتاب استدعى الرسول الاول
وصاح عليه وقال له ويلك من وضعك على اتلاف
ملك من الملوك بتلك الكلمة التي تكلمت بها فاقر الرسول

وقال له انه قصّر في حقي واسخطني وقال الاسكندر سبحان
الله اظننت اننا ارسلناك لتصلح امورك وتضيّع امورنا
وتسعى في حقوق الناس لينا ثم امر به فسلّ لسانه من قفاه
فصل ويجب على السلطان انه متى ما وقعت رعيته في ضائقة
وحصلوا في شدة وفاقة ان يغيثهم لا سيما في اوقات القحط
وغلاء الاسعار حيث يعجزون عن التعيش ولا يقدرون على
الاكتساب فينبغي حينئذ للسلطان ان يغيثهم بالطعام
ويساعدهم من خزاينه بالمال ولا يمكّن احدا من خدمه وخواصه
واتباعه ان يجور على رعيته لئلا يضعف الناس وينتقلون
الى غير ولايته ويتحولون الى غير ايالته فينكسر ارتفاع
السلطان ويقل حاصل الديوان ويعود المنفعة على ذوي
الاحتكار الذين يسرّون بغلاء الاسعار ويقبح ذكر الملك
ويدعا عليه ولاجل هذا كان الملوك المتقدمون يحذرون
من هذا غاية الحذر ويساعدون الرعايا من خزاينهم وبا يدرانهم
من ذخايرهم ودفاينهم **حكاية** يقال انه كان رسم ملوك العجم ان
يأذنوا الرعايا في الدخول عليهم في ايام النوروز والمهرجان
وكان المنادي ينادي قبل ذلك بايام ان استعدوا لليوم

الفلاني

الفلاني لياخذ كل من الناس اهبته ويصلح اراته و
يكتب قصته ويتقن حجته ومن كان له خصم يعلمه انه يبيا ثم
منه عند الملك يطلب رضاه فاذا كان ذلك اليوم وقف
المنادي على باب الملك ونادي ان منع اليوم احدا لا شان
من الدخول كان الملك بريا من دمه ثم كانت تؤخذ القصص
من الناس وتوضع بين يديه وكان ينظر في كل
واحدة منها على الانفراد وموبد موبدان قاعد عن يمينه
وموبد موبدان بلسانهم قاضي القضاة فان كان في
القصص قصة يتظلم فيها من الملك قام الملك من مكانه وبرك
بين يدي موبدان على ركبتيه مقابل خصيمه وقال انصف
اولا هذا الرجل مني ولا تحمل الى الميل والمحاباة ولا تخش
على نفسك لان الله جل وعلا اذا اهدى المحظوظ لعباده اختار
لهم وولى عليهم خير خلقه واذا اراد ان يرى عباده الى قدر
ذلك الخليفة عنده اطلق على لسانه ما يطلق على لسانك
ثم كان ينظر الموبد فان كان بين الملك وبين خصمه
دعوى صحيحة وقامت البينة على الملك اخذ الحق منه تماما
وكماله وان لم يكن بين الخصم وبين الملك دعوى صحيحة

وكانت دعواه باطلة لا يثبت على صحتها حجة او بينة
ونادى عليه مناد الا من يريد غضب الملك والمملكة وكان
الملك اذا فرغ من الدعاوى استوى على سرير ملكه ووضع التاج
المنور واقبل على جملة عنه وخاصته وقال انني انما انصفت
من نفسي لئلا يطمع احد في الظلم والجور على احد فكل من كان
منكم له خصم فلينصفه وكان يبعد في ذلك اليوم عنه كل من كان
قريبا منه ومن كان قويا ضعف عنده وكانت الملوك
على هذا السبيل وعلى هذا المذهب الى ايام يزدجرد بزه
كار الاثيم فانه غير قواعد ملوك ساسان وظلم الخلق وافسد
حتى جاءه في بعض الايام فرس في غاية الجودة والكمال بحيث
لم ير احد في ذلك الزمان فرسا مثله في حسن خلقته وجمال
هيئته فدخل من باب داره فاجتهد جميع من في معسكره
ان يلزموه فامتنع عليهم ولم يقدروا على امساكه حتى وصل
قريبا من يزدجرد فوقف الى جانب الايوان ساكنا فقال
بزه كر تنحوا عن هذا الفرس ولا يقرب احد منكم فانه هدية
من الله تعالى خاصة لي فنهض من مكانه وجعل يمسح
وجهه قليلا قليلا ثم امر يده على ظهره والفرس ساكن

لا يتحرك فاستدعى بزه كرد السرج فاسرجه بيده واوثق
جذب حزامه ودار خلفه ليضع الثفر فرفسه الفرس على فؤاده
رفسة محكمة فخر ميتا في الحال وخرج الفرس ولم يعلم احد من
اين جاء ولا الى اين عاد فقال الناس ان هذا الفرس كان
ملكا ارسله الله تعالى ليهلكه ويخلصنا من جوره وظلمه قال
القاضي ابو يوسف حضر يوما عندي في مجلس حكمي يحيى بن
خالد البرمكي مع خصم له مجوسي فادعى عليه المجوسي فطلبت
منه البينة فقال ليس لي بينة بل تحلفه فحلفت يحيى وارضيت
خصمه بالخلافة وساويت في الحكم بين يحيى وبين المجوسي
لعزة الاسلام وما ملت قط مع احد ولا جانبت احدا خوفا
ان يسالني الله تعالى عن ذلك بل يجب ان تعرف قدر الرعايا
والاكابر وينبغي للاكابر ان لا يظلموا الاصاغر وان يعظموا
امر الحق ويطيعوا السلطان ولا يعصوه في حال ليكونوا
قد عملوا بقول الله تعالى كما تقدم واطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم ومن يجعل الله تعالى له هذه الرتبة
الشريفة والدرجة المنيفة ويكون طاعته بطاعته جل اسمه
وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فالواجب على الخلق ان

يطيعوه ويخافوه ويجب على السلطان شكر هذه المنة والنعمة
لربه وامتثال ما امره به من العدل والاحسان والرأفة با
لمظلومين فقد قيل احذروا من دعاء المظلومين وخافوا
من ظلم من لا ينتصر من ظلمه الا بدموع عينيه فما دون
دعاء المظلوم حجاب ودعاؤه مستجاب ولا سيما الوقت في الاسحار
والتضرع في خلوة الليل الى الجبار كما قال لا تظلمن
ما دمت قادرا فآخره الم وخوف عذاب تنام والمظلوم
عليك منتبه ودعوته لا تنثني بحجاب وقال رسول الله صلعم
تأسفت على موت اربعة من الكفار وعلى موت انوشروان
لعدله وحاتم الطائي لسخاوته وعلى امرئ القيس لشعره وعلى
ابي طالب لبره والله اعلم بحقيقة الحال

الباب الثاني في سياسة الوزارة وسيرة الوزراء

اعلم ان السلطان
يحسن ذكره ويعلو قدره بالوزير اذا كان صالحا كافيا عادلا
لانه لا يمكن احدا من الملوك ان يتصرف زمانه ويدبر سلطانه
بغير وزير ومن انفرد برأيه ضل بغير شك الا يرى ان النبي صلعم
مع جلالة قدره وعظم درجته وفصاحته امره الله بمشاورة
اصحابه العقلاء العلماء فقال عز من قائل وشاورهم

ورد في الاخبار في موضع آخر عن موسى عم واجعل لي وزيرا من اهلي
هارون اخي اشدد به ازري فاذا لم تستغن الانبياء عم عن
الوزراء واحتاجوا اليهم كان غيرهم من الناس احوج سئل
اردشير بن بابك اي الاصحاب اصلح للملك فقال الوزير العاقل
المشفق الامين الصالح ليدبر بعقله رأيه ويسر اليه بما يرغبه
وعلى السلطان ان يعامل الوزير بثلثة اشياء احدها انه اذا
ظهرت منه زلة او وجدت منه هفوة لا يعاجله بالعقوبة الثاني
انه اذا استغنى في دولته واتسع حاله في خدمته لا يطمع في ماله وثروته
الثالث انه اذا سأل حاجة لا يتوقف في قضاء حاجته و
ينبغي ان لا يمنعه من ثلثة اشياء ومعناه متى اختار ان يراه
لا يمنع عن رؤيته وان لا يسمع في حقه كلام مفسد وان لا يكتم
عنه شيئا من امره لان الوزير الصالح حافظ ستر السلطان ومدبر
امر الداخل وبه عمارة الولايات والخزاين وزينة المملكة وشدة
المملكة الهيبة والقدرة وله الكلام على الاعداء واستخراج الاجوبة
وبه يكون سرور الملك وقمع اعدائه ومواخذة الناس بالاستمالة
وتحكم القدرة وتعظيم الامر قال انوشروان لولده اكرم وزيرك
لانه اذا رآك على امر لا يجوز ذلك لم يوافقك عليه وينبغي للوزير

ان يكون مايلا الى الخير متوقيا من الشر واذا كان سلطانه
حسن الاعتقاد مشفقا على العباد كان له عونا على ذلك واراده
منه بالازدياد واذا كان سلطانه غير مشفق كان على الوزير ان
يرشده قليلا قليلا باللطف وجه يهديه الى الطريق الحميده و
ينبغي ان يعلم ان دوام الملك بالوزير وان دوام الدنيا بالملك و
ينبغي ان يعلم انه لا يجوز له ان يهتم بغير الخير ويعلم انه اول ان
يحتاج اليه السلطان وسيل لهم امر كوزالي كم يحتاج السلطان
حتى يتم سلطنته وتنصرم بالسرور مدته فقال الى ستة من الاصحاب
الوزير الصالح ليظهر اليه سره ويدبر معه رايه ويشاوره
والفرس الجواد لينجيه يوم الحاجة النجاة والسيف القاطع و
السلاح الحصين والمال الكثير الذي يخف محمله وينقل ثمنه كا
لجوهر واللؤلؤ والياقوت والزوجة الحسنى ليكون مونسة لقلبه
مزيلة الكرب والطباخ الجيد الذي اذا امسك طبعه دبر له شيئا
يطلقه   قال اردشير حقيق على الملك ان يكون طالبا
لاربعة اشياء فاذا وجدهم احتفظ بهم الوزير الامين والكاتب
العالم والحاجب المشفق والنديم الناصح لانه اذا كان الوزير
امينا دل على بقاء الملك وسلامته واذا كان الكاتب عالما

على

عالما دل على عقل الملك ورزانته واذا كان الحاجب مشفقا لم
يغضب على الملك اهل مملكته واذا كان النديم ناصحا دل على انتظام
الامر ومصلحته   قال مؤبد موبدان في عهد انوشروان
انه لا يمكن حفظ السلطنة الا بالاصحاب الاخيار الناصحين
المعتمدين ولا ينفع خير الاصحاب الا اذا كان الملك تقيا ثم
ينبغي ان يكون الاصل جيدا ثم النوع ومع تقوى السلطان
صدقه وصحته وهو ان يكون صحيحا في ساير الامور آمرا بالصحة
باقواله وصحة افعاله ليصح بصحته ساير حشمه ورعيته وان يكون
قلبه واثقا بالله وان يرى ان قوته وقدرته وظفره باعدائه ونصرته
ووصوله الى مراده من الله تعالى وان لا يعجب بنفسه فان عجب
بنفسه خشي عليه الهلاك كما جاء في الحكاية   يقال انه كان
سليمان عم جالسا على سرير مملكته وقد حملته الريح في الجو فنظر
سليمان بالعجب الى مملكته وطاعة الانس والجن وانقيادهم
لعظيم هيبته وسياسته فاضطرب السرير وهم بالانقلاب
فقال سليمان للسرير استقم فنظر السرير وقال استقم انت
حتى نستقيم نحن كما قال جل من قائل ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم وقال ابو عبيد في امثاله من سلك الجدد امن العثار

ويجب ان يكون الوزير عالما عاقلا شيخا لان الشاب وان
كان عاقلا لا يكون في التجربة كالشيخ والذي يتعلمه الناس من
تجارب الايام لا يتعلم من تحصيل والوزير زين السلطنة والذي يجب
ان يكون صالحا طاهرا امن الشين ويحتاج الوزير الى خمسة اشياء
بسجد جزه وحسن سيره التيقظ لينظر في كل امر يدخل فيه وجه
المخرج منه والعلم حتى يتضح له الاشياء الخفية والشجاعة حتى
لا يخاف من شيء في غير موضع الخوف والصدق لئلا يعمل مع احد
خبرا لصحيح وكتمان سر سلطانه الى ان يدركه الموت قال اردشير بن
بابك يجب ان يكون الوزير ساكنا متمهلا شجاعا واسع الصدر
حسن المقال مليح الوجه مستحييا صامتا حيث يحسن الصمت
متكلما اذا احسن الكلام ومع ذلك كله يجب ان يكون دينا تقيا حسن
المذهب ليطهر نفسه وينفي عنها كلما لا يحسن من الاعتقاد و
ينبغي ان يكون ذا تجارب ليتسهل الامور على الملك وان يكون متيقظا
عواقب الامور ويخاف من تغير الدهور وان يتحفظ ان تصيبه
عين الزمان وكل ملك كان وزيره له محبا وعليه مشفقا كان
ذلك الوزير كثير الاعداء وكان اعداؤه اكثر من الاصدقاء او
لا يجوز للسلطان ان يسمع في حق وزيره كلام المتحضين عليه

الاعين

الاعين به اليه ليجده اصدقاؤه وتنكبت اعداؤه ويجب
ان يكون الوزير محمود الطريقة حتى اذا راى في الملك حالة مذمومة
غير رشيده رده الى العادة الحميده من غير غلظة لان الملك اذا كان
على ما لا يريده اذا سمع منه ما يكرهه من التوبيخ حمل شرا من ذلك
والدليل على ذلك ان البارى جلت عظمته لما ارسل موسى عم
الى فرعون امره بقوله فقولا له قولا لينا فاذا كان الله سبحانه
ارشد نبيه ان يقول لعدوه قولا لينا فالناس اجدر واولى ان
يلينوا مقالهم وان كان السلطان يخشى كلامه فلا يجوز للوزير
ان يجد عليه ويغضب على كلامه في قلبه لان قدرة الملك تحلق
لسانه فينطق بما يريد واذا كان السلطان الوزير محبا للملك صحيح
المقال حسن الفعال فلا يجوز له ان يعدد حسناته على الملك ولا
يمتن بها عليه قال اهل الفطنة اذا احسنت الى احد وعددت احسانك
عليه كان نشرا من الامتنان عليه توبيخا له وينبغي ان يعلم
الوزير وخاصة الملك انهم مهما فعلوه من حسن فان ذلك
باقبال الملك وبركة ظله انفعل فالمنة ح تصلح ان تكون له على
الخلق واعظم فساد ينشا في دولة الملك يكون من اربع احدهما
من الوزير الخاين والثاني من نية الملك الردية الفاسدة

قال انوشروان ان شر الوزرا من حمل الملك او السلطان
على الحرب وحداه على القتال في موضع يمكن ان يصلح الحال
بغير حرب لان الحرب في ساير الامور والاحوال تفني ذخاير
الاموال وفيها تبذل كرايم النفوس ومصونات الارواح
وقال ايضا كل ملك كان له وزير جاهل فمثله مثل النجم الذي
يبدو ويظهر ولا يهتدى ولا يلتمس وفي كتاب وصل الى ارسطاطاليس
كل امر ينقضي على يد غيرك بلا حرب ولا خشونة فهو خير مما ينقضي
بيدك بالحرب والنصب والعنا. يضربون هذا المثل فيقولون
ينبغي ان تمسك الحية بيد غيرك لا بيدك وترتيب الوزراء
انهم مهما امكنهم ان يحاربوا بالكتب فليحاربوا فان لم يتأتى
الامور بالاحتيال والتدبير فيجتهدون في تأتيها ببعطاء الاموال
وبذل الصلات والنوال ومتى انهزم لهم معسكرا عفوا عن
ذنوب الجند ولم يستعجلوا بقتلهم لانه قد يمكن قتل الاحيا ولا
يمكن احياء القتلى فان الرجل يصير رجلا في اربعين سنة و
من مائة رجل يكون رجل يصلح لخدمة الملوك وان اسر احد من
الجند من اصحاب الملك كان على الوزير ان يفكه ويفتديه ويخلصه
ويشتريه ليسمع الجند بصنيعه فيتقوى قلوبهم اذا باشروا الحرب

وعلى

وعلى الوزير ان يحفظ ارزاق الجند لكل انسان منهم على قدره و
ان يدرب الرجال الشجعان بآلات الحرب كلها ويلين لهم في الخطاب
ويلطف لهم في الجواب فان الجند قد قتلوا كثيرة من الوزرا في قديم
الايام وسالف الاعوام ومن سعادة السلطان ويمن طالعه
وقوة جده ان يسهل الله له وزيرا صالحا ناصحا صادقا صحيحا
ان نسي ذكره وان استعان به اعانه قال مؤلف الكتاب
ان الله جل اسمه يظهر قدرته في كل حين وزمان ووقت واوان
ويصطفي جماعة يختارهم من عباده مثل السلاطين والوزرا والكبار
العلماء ليعمر الدنيا ومن عجايب الزمان حديث البرمكة الذين لم
يوجد لهم نظير في السخاء والكرم وبذل المعروف والعطاء وكان
تحت حكمهم اكثر الولايات الوافرة الارتفاعات وبعد انقراضهم فسدت
احوال الوزارة ولم يبق ببركات آل سلجوق وظل دولتهم آل النظام
واوصلهم الى درجة الوزراء المتقدمين وارفع بحيث انه لم يبق في الدنيا
احد من اهل الفضل والادباء وابناء السبيل الغربا من وضيع
وشريف الا وهو مشمول بانعامهم ومغمور باحسانهم ولم يمكن احدا من
جزيل منحهم ... وانما ذكرنا هذا العلم من سوا كتابنا ليفرق بين
الصالح والطالع وقال بزرجمهر لا يتعاسر الا مسينا ببعضها

خزانة الملوك رونق ونضارة
الى ان اوحد الله تبارك وتعالى صح

ببعض لان جوهر الناس اجل من كل جوهر وانما زينة
الدنيا جميعها بالناس والبارى جلت قدرته لا ينبغى له الخطا
والسهو واسباب الصلاح لمن يشاء وانه يؤتى كل احد ما يصلح
له ويليق به فينبغى ان يكون وزراء الملوك ومدبرو دولتهم على
هذه الصفة وان يحفظوا رسوم المتقدمين ونظرائهم وان
يانسوا الاموال التى توخذ من الرعية فى اوقاتها واوجانها
وعند وجوبها واوانها وليعرفوا الرسوم ويحملوا الرعية بحسب
طاقتها وقدر قدرتها وان يكونوا فى قصيدهم صايدى الكركى
لا قاتلى العصفور ولا يجوز لهم ان يحرصوا على تمنا والاموال الموارث
ما دام المواريث موجودا فالطمع فى ذلك مشوم غير جايز ويجب
عليهم استمالة قلوب الرعية والخدم بهبات الفوايد والنعم ليعلموا
ان كفايتهم وسمو مرتبتهم وصلاحهم منوط بصلاح الرعية ليحسن
ذكره فى الدنيا وينالوا الجزيل الثواب فى العقبى

ذكر الكتاب وآدابهم قال
العلماء انه ليس شى افضل من القلم لانه به يمكن اعادة
السلف والماضى ومن فضل القلم وشرفه ان الله جل اسمه
اقسم به فقال نون والقلم وما يسطرون وقال جل ذكره

اقرا

اقرا وربك الاكرم الذى علم بالقلم وقال رسول الله عم
اول ما خلق الله تعالى القلم العلم فجرى بما هو كاين الى يوم القيمة
حديث يقول عبد الله بن عباس رضى فى تفسير هذه الآية
حكاية عن يوسف عم اجعلنى على خزاين الارض انى حفيظ
عليم معناه دلنى على كنوز الارض فانى كاتب حاسب وقال
ان العلم صانع الكلام قال ابن المعتز القلب معدن والعقل
جوهر والقلم صانع والخط صباغه وقال جالينوس القلم
طبيب الكلام قال ملينا سس الحكيم القلم طلسم كبير قال الاسكندر
الدنيا تحت الشيئين السيف والقلم والسيف تحت العلم والقلم
ادب المتعلمين وبهما عقتهم وبه يعرف راى كل انسان من قريب
وبعيد ومهما كان الرجل يحجر باللسان فانه لم ينظر فى الكتب
لا يكون كامل العقل لان مدة عمر الانسان معلومة ومعلوم
ايضا انه فى هذه المدة القريبة والعمر القصير لم يمكنه ان يدرك
تجربة ومعلوم ايضا انه لم يمكنه ان يحفظ بغلبة السيف والقلم
حاكمان فى جميع الاشياء ولولا السيف والقلم لما قامت
الدنيا واما الكتاب لا يجوز ان يوقفوا اكثر من حدود الكتابة
ليصلحوا الخدمة الاكابر وقال الحكماء والملوك المتقدمة ينبغى

ان يكون الكاتب عالما بعشرة اشياء الاول بعد الماء وقربه
تحت الارض ومعرفة استخراج الاقناء ومعرفة زيادة الليل
والنهار ونقصانهما في الصيف والشتاء ومسير الشمس والقمر
والنجوم ومعرفة الاجتماع والاستقبال والحساب بالاصابع
وحساب الهندسة والتقويم واختيارات الايام وما يصلح
للمزارعين ومعرفة الطب والادوية ومعرفة رياح الشمال و
الجنوب وعلم اللغة والقوافي ومع هذا كله ينبغي ان يكون الكاتب
خفيف الروح طيب اللقاء عالما ببراية القلم وتدبيره وقطه
ورفعه وخفضه ومنها كان في قلبه اظهره شيئا قلمه وان يحفظ
نفسه من طغيان وينبغي للكاتب ان يعرف اي حرف يجوز
ان يمد واي حرف ينبغي ان يكون مجتمعا متصلا وليكتب
الخط مبينا ويعطي كل حرف حقه فما يحكى انه كان لامير المؤمنين
عمر عاملا فكتب كتابا الى عمرو بن العاص ولم يذكر سين
بسم الله فاستدعاه عمر وقال اظهر اولا سين بسم الله ثم توجه
بعد ذلك الى عملك واول ما ينبغي ان يعرف الكاتب براية القلم
فان الانسان اذا كان يحسن الخط ويقدر ان يبري القلم
فان الخطوط على كل حال تجيء صالحا كما جاء في الحكاية

كان

كان لشاهنشاه اردشير عدة من الوزراء وكان في جملتهم
الصاحب اسمعيل بن عباد فاجتمع الوزراء كلهم على نكبته واتفقوا
على التضريب عليه وقالوا ان الصاحب لا يقدر يبري قلمه فلما
علم ذلك شاهنشاه جمع جملتهم فقال لهم الصاحب لكاتب في اي
ادب فيكم يبري لي مثله حتى يتجاسروا ويتحدثوا بحضرة شاهنشاه
فان ان علمي الوزارة ولم يعلمني التجارة واقل ادابي براية القلم
وهل فيكم من يقدر ان يكتب كتابا ما بقلم مكسور الراس فعجز
الجماعة عن ذلك فقال له شاهنشاه اكتب انت فاخذ الصاحب
قلما وكسر راسه وكتب به درجا تاما فاقرت الجماعة بفضله واعترفوا
بادبه ونبله واجود الاقلام ما كان مستقيما اصفر اللون دقيق
الوسط والقلم المحرف من الجانب الايمن يصلح للخط الوضع
والفارسي والعربي والقلم الذي يجب ان يكون قلمه
محرفا من جانبه الايسر وخير الاقلام ما وصفه يحيى بن خالد
البرمكي في كتاب كتبه الى محمد بن ليث قلم لا غليظ ولا رقيق وسطه
رقيق ويجب ان يكون السكين التي يبرى بها الاقلام حادة
وان يكون براية القلم على شكل منقار الكركي محرفا من الجانب
الايمن وينبغي ان يكون المقط الذي يقط عليه الاقلام

في غاية الصلابة ويجب ان يكون الانقاس فارسية خفيفة
الوزن والكاغد صقيلا متنا وياء في غاية الصقالة وان
يجاد حل الانقاس في كل حرف ازيد من ثلثة احرف يجب ان
تمده وما كان قبل لا يجوز مدة فانه يتوحش بذلك الخط و
ان يكون صور الحرف يشبه بعضها بعضا ولا يقدر على عمل
ذلك الا حكيم عاقل ومن تعودت بذلك انامله كان عبد الله بن
رافع كاتبا محسنا لامير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه فقال كنت اكتب كتابا فقال امير المؤمنين يا عبد الله
اطل دواتك وقلمك ووسع بين السطور واجمع ما بين الحروف
وكان عبد الله بن جبلة كاتبا محسنا فقال لغلمانه لتكن اقلامكم
بحرية فان لم تكن بحرية فلتكن صغرا واقطعوا عقد الاقلام
لئلا ينعقد الامور ولا تجوز انفاذ كتاب بغير ختم فان كرم الكتاب
ختمه وقال عبد الله بن عباس رض في تفسير قوله الى القي
الي كتاب كريم اي مختوم وامر النبي ع م ان يكتب كتابا الى العجم
وقال انهم لا يردون كتابا بغير ختم فختمه بخاتمه المبارك وكان
على فصه مكتوب ثلثة اسطر محمد رسول الله خبر روى صحيح بن
عمر ان النبي ع م لما كتب كتابه الى النجاشي رماه على التراب

ثم انفذه فلاجرم انه اسلم ولما كتب كتابا الى كسرى لم يلقه على التراب
ثم انفذه فلاجرم انه لم يسلم وقال النبي ص تربوا كتبكم فانه انجح للحوائج
وقالوا ترب الكتاب فان التراب مبارك واذا كتب الكتاب
فليقرأه قبل طيه فان كان فيه خطأ تداركه واصلحه وينبغي
ان يجتهد الكاتب ان يكون الكلام قصيرا والمعنى طويلا وان لا يكرر
كلمة يكتبها وان يحترز من الالفاظ الثقيلة الغثة ليكون كاتبا
مجودا في باب الكتابة كلام كثير ونقنع منه بهذا القدر لئلا يطول
الكتاب فقد قيل خير الكلام ما قل ودل ولم يمل والله اعلم

قال امير المؤمنين عمر بن الخطاب رض اجهد ان لا يكون ذي
التهمة فاني ما رايت شيئا اسقط لهدم الانسان من تداول
تهمته وقال عمرو بن العاص لسر حيث وضع نفسه يريد ان
اي نفسه علا ان رفعها وان اذلها ذل وهان قدره وتغيير معنى
التهمة ان يرفع نفسه فان انفة القلب من همم الاكابر لانهم
يعرفون قدر انفسهم فيعتزونها ولا يرفع احد قدر احد حتى يكون
هو الرافع بقدر نفسه واعزاز المرء نفسه ان لا يختلط بالاراذل
ولا يشرع في عمل ما لا يجوز لمثله ان يعمله ولا يقول ما يعاب

به والتهمة والأنفة للملوك لان الله تعالى ركب فيهم هذه الخصلة
فليتعلمها من الوزراء والندماء كما جاء في الحكاية   ارا
بوالدوانيق لرجل بخمسمائة درهم فقال احمد بن الخصيب
لا يجوز للملك ان يعرف ما دون الالف من الاعداد وكان هارون
الرشيد يوما راكبا في موكبه فسقط فرس رجل من عسكره
فقال هارون ليعطى خمسمائة درهم فاشار اليه يحيى بعينه و
قال هذا خطأ فلما نزل قال له هارون اي خطأ بدا مني حتى
اشرت بعينك الي فقال لا يجوز اي لا تجوز ان يجري على لسان
احد من الملوك اقل من الالف فقال الرشيد فان اتفق ان
لا يجوز ان يعطي فيه من اكثر خمسمائة مثل هذا كيف يقال فقال
له قل ليعطى فرسا فيوصل اليه فرس على جاري الرسم ويكون
قد نزهت سمعتك عن ذكر الحقير ولهذا السبب خلع المأمون
ولده العباس من ولاية عهده وذلك ان المأمون اجتاز
بباب حجرة العباس فسمعه يقول لغلامه يا غلام اني قد رأيت
بباب الرصافة بقلا حسنا وقد اشتهيت منه فخذ نصف
درهم وصر الى باب الرصافة فاتني بشيء منه فناداه المأمون
فقال من الآن قد علمت ان للدرهم نصفا اذهب فانت

لا

فانت لا تصلح لولاية العهد وترتيب الملك ولا يأتي منك صلاح
ولا فلاح   يقال ان في وصيت نامه اردشير انه قال لولده
اذا اردت ان تهب لاحد من اولادك شيئا فاجتهد ان لا
يكون عطاؤك اقل من قيمة دخل ولاية او قرية او قيمة بلد او رستاق
ليستغني الشخص الذي تهبه وتزول حاجته وتستغني اعقابه
بك واولادهم ما عاشوا فتحصل بذلك في حساب الاحياء لا
في حساب الاموات واجتهد انك لا ترغب في التجارة بوجه من
الوجوه فان ذلك تدل على تداوت همة الملك   يقال انه
كان للملك هرمز بن شابور وزير فكتب اليه كتابا يذكر فيه انه وصل
من جانب البحر تجار معهم لؤلؤ وياقوت وجواهر نفيسة القيمة واني
ابتعت منهم برسم الخزانة بمبلغ مائة الف دينار والآن فلان التاجر
يطلب الجواهر بربح كثير فان رغب الملك فليرسم بما يراه فكتب هرمز
من جوابه وقل مائة الف ومائة الف مثلها وامثالها ليس لها
في اعيننا خطر نرغب فيها واذا علمنا نحن التجارة فمن يعمل السلطنة
فانظر ايها الجاهل لنفسك ولا تعد الى مثل هذا الكلام لا يختلط
في اموالنا درهما واحدا ولا انعاقد احد من ارباب التجارات
فان ذلك يسقط قيمة الملك ويزيل بحسن اسمه ويعود بفتح قاعدته

درسمه ويصير بقيته في حال حياته وبعد وفاته   حكى ان الامير
عمارة بن حمزة كان بعض الايام جالسا في مجلس خليفة المنصور
ابي الدوانيق وكان يوم ينظره في المظالم فنهض رجل على قدميه
وقال يا امير المؤمنين انا مظلوم فقال من ظلمك قال عمارة بن حمزة
اغتصب ضياعي وابتهلك وعقاري فامره المنصور ان يقوم من
موضعه ويساوي خصمه للمحاكمة فقال عمارة بن حمزة يا امير المؤمنين
ان كانت الضياع له فما اعارضه فيها وان كانت لي فقد وهبتها
له وما لي حاجة في محاكمته ومماثلته ولا ابيع مكاني الذي اكرمني به
امير المؤمنين بضياع فتعجب الاكابر الحاضرون من علو همته وشرف
نفسه ومروته الهمة والنهمة على شكل واحد فكل انسان له منهما نصيب
فواحد بالسخا والطعام الطعام وآخر بالعلم وآخر بالعبادة و
والزهادة وترك الدنيا وطلب العقبى وآخر يطلب الزيادة واما
النهمة بالسخا وبذل المال واسداء النوال ينبغي ان يكون كما جاء
في الحكاية   ان يحيى بن خالد البرمكي خرج من دار الخلافة راكبا
الى داره فراى على باب الدار رجلا فلما قرب منه يحيى نهض قائما و
سلم عليه وقال له يا ابا علي انا محتاج الى ما في يديك وقد جعلت
الله وسيلتي اليك فامر يحيى ان يؤذن له موضعا في داره وان

يحمل

يحمل اليه كل يوم الف درهم وان يكون طعامه من خاص طعامه
فبقي على ذلك شهرا كاملا فلما انقضى الشهر كان قد وصل
اليه ثلثون الف درهم فاخذ الرجل الدراهم وانصرف فقيل
ليحيى فقال والله لو اقام عندي مدة عمره وطول دهره لما منعته
صلتي ولا قطعت عنه ضيافتي   كان لجعفر بن موسى
الهادي جارية عوادة تعرف ببدر الكبير ولم يكن في زمانها
احسن منها وجها ولا احذق بصناعة الغنا وضرب الاوتار
وكانت غاية في الكمال ونهاية في الجمال فسمع بخبرها محمد بن
زبيدة الامين والتمس من جعفر ان يبيعها فقال له
جعفر انت تعلم انه لا يحسن من مثلي بيع الجواري والمساومة
على السراري ولولا انها مربية داري لاهديتها اليك ولم
انفس بها عليك ثم انه بعد ذلك بايام جاء محمد بن زبيدة
الى داره فرتبت له مجلس الشراب وامر بدر ان تغني به ونطرب
فاخذ محمد في الشراب والطرب والتطرب ومال على جعفر
بكثرة الشرب حتى اسكره واخذ الجارية معه الى داره ولم يمد
اليها يدا ثم ارسل من الغد باستدعاء جعفر فلما حضره قدم
بين يديه الشراب وامر الجارية ان تغني من داخل الستارة

فسمع جعفر غناها فلم ينطق من شرف نفسه وهمته ولم يظهر
تغيرا في محاضرته ثم امر محمد الامين ان على ذلك الزورق
الذي ركب فيه جعفر اليه بالدراهم فيقال انه وضع في الزورق
الذي ركب التي برقم عين وجملتها عشرون الف الف
درهم حتى استغاث الملاحون وقالوا ما يقدر الزورق يحمل
شيئا آخر لجلالة دراهم هكذا كانت همم الاكابر سئل
بعض الحكماء ومن اسوأ الناس حالا فقال من كان
اعلاهم همة واكثرهم علما وادبهم فيهما واضيعهم حالا
فقيل له فيمن ينبغي ان يتوصل ليتخلص من نحوسة حظه
وضايقة يده فقال بالملوك والاكابر وذوي الهمم العالية
والنفوس الشريفة الا منه كما قيل جاوروا البحر او ملكا
قال سعيد بن سلم الباهلي اشتدت بي الحال في
زمان هارون الرشيد واجتمع علي ديون اعجزني قضاؤها
وعجزت عن ادائها فاحتشد ببابي داري ارباب الديون
وتزاحم المطالبون ولازمني الغرماء فضاقت حيلتي
وزادت فكرتي فقصدت عبد الله بن مالك الخزاعي
والتمست منه ان يمدني برأيه ويرشدني الى باب الفرج فقال

عبد الله لا يقدر احد على خلاصك من محنتك وهمك و
ضايقتك وكربك سوى البرامكة فقلت ومن يقدر على احتمال
تكبرهم والصبر على تيههم وتجبرهم فقال تحتمل ذلك لمصلحة احوالك
فنهضت ومضيت الى الفضل وجعفر بن يحيى بن خالد
وقصصت عليهما قصتي وابديت لهما صفحتي فقالا اعانك
الله تعالى واقام لك بالكفاية فعدت الى عبد الله بن مالك
ضيق الصدر منقسم الفكر منكسر القلب واعدت عليه ما
قالاه فقال يجب ان تكون اليوم عندنا لننظر ما
يقدره تعالى فجلست عنده ساعة واذا بغلامي قد اقبل
وقال ببابنا بغال باحمالها ومعها رجل يقول انا
وكيل الفضل وجعفر فقال عبد الله ارجو ان يكون قد جاءك
الفرج فقم وانظر ما الشأن فنهضت واسرعت عدوا فرأيت
ببابي رجلا ومعه رقعة مكتوب فيها انك لما عدت من
مضيت الى الخليفة وعرفته ما قد افضت بك الحال
اليه فامرني ان احمل اليك من بيت المال الف
الف درهم فقلت له هذه الدراهم يصرفها الى غرمائه
فمن اين يقوم وجوه نفقاته فامر بثلاثمائة الف درهم اخرى

وقد حملت انا من خاص الف الف درهم فصارت الجملة الفي
الف وثمانمائة الف درهم لتصلح بها احوالك هكذا ينبغي بهم
الملوك والسلاطين   يقال انه كان لانوشروان نديم
وكان في مجلس الشراب جام من ذهب مرصع بالجواهر
فسرقه النديم فنظر اليه انوشروان فرآه وهو يخفيه تحت الثاني
وطلب الجام فلم يجده فنادى يا اهل المجلس قد ضاع
جام الملك من ذهب مرصع بالجوهر فلا يخرجن احد حتى
يرد الجام فقال انوشروان للشرابي مكنهم من الخروج
فان الذي سرق الجام لا يعيده والذي رآه لا ينم عليه و
اين كان السخا او علو الهمة كانت الراحة والخيرة لكن
من يكون الاحسان وتجد الامتنان ومن الاصل له
لا يقدر ان يستر ثمكم   يقال ان الرشيد استدعى
صالحا في التاريخ الذي تغير على البرامكة وقال يا صالح صر
الى منصور وقل له لنا عليك عشرة الف ابقيته دينار درهم د
يريد ان تخلصها في مدة ان عشية فان لم تخلصها الى
المغرب فخذ رأسه عن جسده وآتني به قال صالح فصرت
الى منصور وعرفته ما ذكره الرشيد من سياسته فقال

آه

املكت والله وحلف ان جميع اسبابه واملاكه لا تزيد قيمتها
على مائة الف درهم فمن اين يقدر على تحصيل عشرة الف الف درهم
قال صالح فقلت له دبر حيلة في امرك فاني ما اقدر ان تمهل ولا
احابي فيما امرني به فقال العفو يا صالح احملني الى بيتي لاودع
اهلي واولادي وصبيتي واوصي اقاربي فمضيت معه
فجعل منصور يودع اهله وارتفع في منزله البكا والصراخ والاستغاثة
قال صالح فقلت له ربما كان لك فرج على ايدي البرامكة فمض
بنا الى يحيى بن خالد قال فاتينا يحيى بن خالد ومنصور يبكي
ويصرخ فعلم يحيى حاله وفهم ما ناله فاغتم له واطرق الى الارض ساكنا
ثم رفع راسه واستدعا خازنه وقال كم في خزانتنا من الدراهم
فقال مقدار خمسة آلاف الف درهم فامر باحضارها وانفذ صدا
الى الفضل ولده وقال قل له انه قد عرض على البيع ضياع جليلة
لا تخرب ابدا فانفذ لنا شيئا من الدراهم فانفذ الفي الف درهم
وانفذ انا آخذ المجموع فانفذ جعفر الفي الف درهم فقال يحيى
قد صح لنا تسعة الف الف درهم فقال له منصور يا مولاي
قد تمسكت بذيلك وما اعرف هذا المال الا من انعامك
تتمم لي تتمة ديني فاطرق يحيى وبكى وقال يا غلام ان امير

المؤمنين كان قد وهب جاريتنا دنانير جوهرة عظيمة القيمة
فامض اليها وقل لها تنفذ الي تلك الجوهرة فمضى الغلام فاعطته الجوهرة
وحملها اليه فقال يحيى يا صالح انا ما بعت بهذه الجوهرة لامير
المؤمنين من التجار بمائتي الف دينار ووهبها امير المؤمنين
لدنانير القوادة واذا رآها دفعها وقدرتم الان على مصادرة
منصور فقل لامير المؤمنين يهب لنا منصورا قال صالح
فحملت المال والجوهرة الى الرشيد فبينما نحن في الطريق انا ومنصور
سمعته يتمثل ببيت من الشعر فتعجبت من دناءته ورداءة وخبث
اصله وبلادة وهو هذا البيت فما تتعنى متمكنا في لكن خشيت
من ضرب النبال قال صالح فرددت عليه وقلت له ليس على
وجه الارض خير من البرامكة ولا شر منك فانهم اشتروك وانقذوك
من الهلاك ومنوا عليك بالفكاك ولم تشكرهم وتحمدهم وتفعل فعل الاحرار
وقلت بالعتب ما قلت ثم مضيت الى الرشيد وقصصت عليه
ما راى فتعجب الرشيد من سخاوة يحيى ومروته وخساسة منصور و
ما ذكر وامر ان ترد تلك الجوهرة الى يحيى وقال شيء قد وهبته لا
نعود فيه وعاد صالح الى يحيى بن خالد وذكر له قصة منصور
وسوء فعله فقال يحيى اذا كان الانسان مقلا ضيق الصدر

مشغول

الفكر بضاعته اليد فمهما قال له ويقول له فليس ذلك من قلبه وجعل
يتطلب العذر لمنصور فبكى صالح وقال لا يعود الفلك الدوار يخرج
الى الوجود رجلا مثلك ولا احتاج قبلك مواسيا كيف يتوارى رجل
له خلق مثل خلقك تحت التراب يقال انه كان بين يحيى بن
خالد البرمكي وبين عبد الله بن مالك الخزاعي عداوة في الزمان كانا
يظهرانها وكان سبب العداوة بينهما ان هارون كان يحب عبد الله
الى ابعد غاية بحيث كان يحيى بن خالد واولاده يقولون ان عبد
الله سحر امير المؤمنين حتى مضى على ذلك زمان والحقد في قلوبهما
تولى الرشيد امارة ارمينية لعبد الله وسيره اليها ثم ان رجلا من
اهل العراق كان له ادب وذكاء وفطنة فضاق ما بيده وفني ماله
وافتقل حاله فزور كتابا عن يحيى بن خالد الى عبد الله بن مالك الى
ارمينيه وسافر به الى عبد الله فحين وصل الى باب داره سلم الكتاب
الى بعض حجابه فاخذ الحاجب الكتاب وسلمه الى عبد الله ففضه وقرأه
وتدبر وعلم انه مزور فحين دخل الرجل وسلم عليه ودعا له قال له
عبد الله اضلمت بعد المشقة ونقل المشقة وجئت بكتاب مزور
لكن طب نفسا فاننا لا نخيب سعيك فقال الرجل اطال الله بقاء
الامير ان كان قد ثقل عليه وصولي اليه فلا يحتج في سعي بحجة فارض

الله والسعة والرزق حتى مبين والكتاب الذي اوصلته صحيح غير
مزور فقال عبد الله انا اعتمد معك امرين وهما ان اكتب كتابا الى
وكيلي ببغداد وآمره ان يسأل عن حال هذا الكتاب الذي اتيت
به فان كان حقا اعطيتك امارة بعض ولايتي بلادي وان
آثرت العطاء اعطيتك مائتي الف درهم مع الفرس والتجهيز و
الخلعة والتشريف وان كان كتابا مزورا امرت ان تضرب مائتي
خشبة وان تحلق لحيتك ثم امر عبد الله ان يحمل في حجرة وان
يجعل له فيها ما يحتاج اليه وكتب كتابا الى وكيله ببغداد انه
قد وصل الي رجل ومعه كتاب من يحيى بن خالد وانا اسيء الظن
في هذا الكتاب فيجب ان تحقق هذه الحال ليعلم صدقه من كذبه
فتوقفني على الجواب فلما وصل كتاب عبد الله الى وكيله ركب
ومضى الى باب دار يحيى بن خالد فوجده مع ندمائه وخواصه
فسلم الكتاب فقرأه يحيى ثم قال عد الي من الغد لاكتب لك الجواب
والتفت الى ندمائه وقال ما جزاء من تحمل عني كتابا مزورا
خطابا الى عدوي فقال كل واحد شيئا وجعل كل انسان منهم يعدد
نوعا من العقاب وجنسا من العذاب فقال لهم يحيى لقد اخطأتم
وهذا الذي ذكرتموه من خسة الهمم ودناءتها وكلكم تعرفون قرب

عبد

عبد الله ومنزلته عند امير المؤمنين وتعلمون ما بيني وبينه
من البغض والآن قد سبب الله تعالى هذا الرجل وجعله متوسطا
في الصلح بيننا ووفقه لذلك وقيضه ليمحوا حقد عشرين سنة من
من قلوبنا ولينصلح بوساطته شؤوننا وقد وجب علي ان أفي
لهذا الرجل بتأميله واصدق ظنونه واكتب له كتابا الى عبد الله
بتوصيته على اكرامه واعزازه واحترامه فلما سمع الندماء منه ذلك
دعوا له بالخيرات وتعجبوا من كرمه وسموا همته ثم انه طلب الكاغد
والدواة وكتب الى عبد الله بخط يده بسم الله الرحمن الرحيم وصل
كتابك اطال الله بقاءك وخصصته وقرأته وسررت بسلامتك
وابتهجت باستقامتك وكان ظنك ان ذلك الحر زور علي ولفق
خطابا وليس الامر كذلك فان الكتاب انا كتبته وعلى يده
انفذته وليس بمزور وتوقعي من كرمك وحسن شيمك ان تفي
لذلك الحر الكريم بامله وتوفي له حرمة قصده وتواصله وان تخصه
منك بغامر الاحسان ووافر الامتنان ومهما فعلته في حقه
فانا المعتد به والشاكر عليه ثم عنون الكتاب وختمه وسلمه الى
الوكيل فانفذه الوكيل الى عبد الله فحين قرأه ابتهج بما حواه
واحضر الرجل وقال اي الامرين الذي ذكرتهما تختار فقال

الرجل العطا احب الي فامر له عبد الله بمائتي الف درهم وعشرة
افراس عربية خمسة منها بالمراكب المحلاة وخمسة بالجلال وعشرين
تخت من الثياب وعشرة من المماليك ركابا بالخيول وما يليق بذلك
من الجوام المثمنة وبيته في صحبته ما هو منه الى بغداد فلما وصل
الى املة قصد باب يحيى بن خالد وطلب الاذن فدخل الحاجب
على يحيى وقال يا مولاي ببابنا رجل ظاهر الحشمة جميل الزي حسن
الحال كثير الغلمان فاذن له في الدخول فدخل اليه وقبل الارض
بين يديه فقال له يحيى ما اعرفك فقال له انا الرجل الذي كنت
ميتا من جور الزمان وغدر الحدثان فانشرتني واحييتني
انا الذي حملت الكتاب المزور عنك الى عبد الله بن عبد الملك فقال
يحيى ما الذي فعل معك واي شيء اعطاك ووهب لك فقال
من بركتك وطلعتك وهمتك وفضلك اعطاني ونولني واغناني
وقد حملت جميع عطيته وها هي ببابك والامر اليك والحكم في
يدك فقال له يحيى صنعك معي اكثر من صنعك معه ولك علي
المنة العظيمة واليد الجسيمة اذا بدلت العداوة التي كانت
بيني وبين ذلك الرجل المحتشم بالصداقة وانت كنت في
ذلك السبب وانا اهب لك من المال مثل ما اعطاه

عبد الله وانما اوردنا هذه الحكاية ليعلم من يتولاها ان
الانسان اذا كانت همته عالية لا يضيع ابدا كما لم يضيع ذلك
الرجل ولو كان خسيس الطبع لا التجاء الى عمل دني وتعلق بلئام
الناس لكنه لما كانت له همة نفسية تهور واقدم وخاطر معكر
رجل محتشم كريم الاخلاق طاهر الاعراق فوصل بذلك التهور الى مراده
وانظر الى الرجلين الكريمين المحتشمين الرئيسين والى سمو همتهما كيف
عاملاه ولما ذاق بلاه ولم يريا في مروتهما عقوبته وعذابه وقابلا
بركتهما طالبه وتخلص من شدة زمانه وضايقته وافلت من شرك
محنته وعاد ذا نعمة سنية ورتبة علية وحصلا لهما الذكر و
الجميل الى الابد يقال انه تفاخر عبدان عبد لبني هاشم وعبد
لبني امية فكل واحد منهما قال موالي اكرم من مواليك فقالا لنمض
الان ونجرب فمضى مولى بني امية الى بعض مواليه وشكى من
ضايقته وتألم من فاقته فاعطاه عشرة الاف درهم ومضى الى آخر
من مواليه فاعطاه عشرة الاف درهم حتى طاف على عشرة منهم فاجتمع
له مائة الف درهم وقال للآخر امض انت الى بني هاشم وجربهم فا
نظر الى كرمهم فاتى مولى بني هاشم الى الحسين بن علي عليهما السلام
وشكى حاله اليه وذكر فقره وما افضى اليه فاعطاه مائة الف درهم

ثم مضى الى عبد الله بن جعفر وشكى اليه فاعطاه مائة الف درهم فا
جتمع له من ثلثة نفر ثلثمائة الف درهم فمضى بالمال الى موالي بني
امية فقال ان مواليك تفقدوا الكرم من موالي ولكن خذ بما نشرهم
فانيه ونعيد المال اليهم فمضى مولى بني امية اليهم وقال قد استغنيت
عن هذه الدراهم وقد سهل الله لي مكان فتوحا سد به فقري ولم
يبق لي في هذا المال حاجة وقد اعدته فاخذ كل واحد منهم دراهمه و
حمل مولى بني هاشم الدراهم الى ساداته وقال لهم قد تيسر لي من
مكان ما زالت به حاجتي وانقضت فاقتي وقد اعدت المال الذي
اخذته منكم فاستعيدوه فقالوا نحن لا نأخذ شيئا قد وهبناه
ولا نعود هباتنا تختلط باموالنا فان كنت قد استغنيت عن
المال فتصدق به **حكاية** قال بعض الحكماء اجلال الاكابر من
الجلال واحتقار الناس من لؤم الاصل وقبح الخلال والهمة
بغير آلة خيبة وانما الهمة مع الجد تحمل وتلطف وتحسن وتظرف لان
الرجل لان الرجل اذا كان ذا همة وجده محروما عدم لم يكن له من
همته سوى الاختلاط لانه يجب ان يكون الهمة علوية والجد عاليا
وقد قيل ايضا الكلام بالدرجة والعمل بالقدر وينبغي ان يكون
الهمة الى بغداد والزاد الى فرسخين **ولذا الحلال** كان عبد العزيز

بن

بن مروان امير المصر فركب يوما واختار بموضع واذا رجل ينادي
ولده يا عبد العزيز فسمع نداه فامر له بعشرة الف درهم لينفقها عليه
وعلى ذلك الولد الذي هو سميه ففشى الخبر بمدينة مصر فكل من ولد له
في تلك السنة ولد سماه عبد العزيز ضد ذلك وبعد ذلك كان الحاجب
تاش لاميه الحاجب الكبير بخراسان فاجتاز يوما بصيارف بخارا
ورجل ينادي غلامه وكان اسم الغلام تاش فامر بازالة الصيارف
ومصادرتهم وقال انما اردتم الاستخفاف باسمي فانظر الان الفرق
بينهما والتويش والملوك المستحق بالدرهم وفي هذا الباب كلام
طويل ان ذكرناه طال الكتاب وينبغي ان تعلم الكتابة الهمة و
ان تاملت فانها توصل الانسان الى مراده يوما من الزمان **كما**
قال الشاعر لو كنت في خدمة السلطان ذا طلب • للعز وما كنت
من حاميه اطلبه • وسعي بجد ولولا صدق معرفتي • الى ساداته
ما كنت اطلبه اما المحمود في الرجل ان لا يتجاوز همته فوق قدره وقدر
لئلا يعيش منغصا طول حياته وزينته **كما قال الشاعر** ان كنت تقنع
بالكفاية لم يكن بالدهر ارفه منك عيش فيه   او كنت فيما فوق ذلك
طامعا لم تكفك الدنيا بما تحويه   ماذا يفيد علو همتك الذي لا تجيب
لنيل ما تبتغيه **الباب الخامس** في ذكر حكم الحكماء والعقلاء

اما الحكمة فانها عطاء من الله جلت قدرته يؤتيها من يشاء و
قال ستراط مثل من آتاه الله الحكمة وهو يهتم للمال كمثل من يكون
في صحة وسلامة فيبيعها بالتعب والوصب فان ثمرة الحكمة الراحة
والعلاء، وثمرة المال التعب والبلاء، قال ابن المقفع كان لملوك
الهند كتب كثيرة بحيث كانت تحمل على الفيلة فامروا حكماءهم ان
يحققوها فاتفق العلماء في اختصارها فاختصروها على اربع كلمات احدها
للملوك وهي العدل والثانية للرعية وهي الطاعة والثالثة للنفس
وهي الامساك عن الاكل الى وقت الجوع والرابعة للانسان و
هي ان لا ينظر الى غير نفسه **حكمة** قال بعض الحكماء الناس
اربعة رجل يدري ويدري انه يدري فذاك عالم فاتبعوه ورجل
يدري ولا يدري انه يدري فذاك ناس فذكروه ورجل لا يدري و
يدري انه لا يدري فذاك مسترشد فارشدوه ورجل لا يدري ولا
يدري فذاك جاهل فاحذروه سئل بعض الحكماء اي شيء اقرب
فقال الاجل فقيل اي شيء ابعد فقال الامل وقال الاحنف
بن قيس شيئان لا يتم معهما حيلة اذا قيل للاقبال فيه حيلة
وقال لقمان الحكيم لابنه شيئان اذا حفظتهما لا تبالي بما ضيعت
بعدهما درهمك لمعاشك ودينك لمعادك **حكمة** سئل انوشروان
بزرجمهر

بزرجمهر لاي سبب يمكن ان يجعل الصديق عدوا ولا يمكن ان
يجعل العدو صديقا فقال لان تخريب العامر اسهل من عمارة
الخراب وكسر الزجاج اذا كان صحيحا اسهل من تصحيحه اذا كان
مكسورا وقال صحة الجسم خير من شرب الادوية وترك الذنب خير من
الاستغفار وكظم الشهوة خير من كظم الحزن ومخالفة الهوى النفساني
بالانكسار خير من دخول النار **حكمة** كان رجل من الحكماء المتقدمين
يطوف الدنيا عدة سنين وكان يعلم الناس هذه الكلمات
الست وهي من ليس له علم فليس له عز في الدنيا ولا في الآخرة
ومن ليس له صبر فما له سلامة في دينه ومن كان جاهلا لمن ينتفع
بعلمه ولا تقوى له فما له عند الله كرامة ومن لا سخاء له فما له من ماله
نصيب ومن لا نصيحة له عند الله حجة **حكمة** سئل بزرجمهر اي شيء
يكون بالذات متصلا فقال التوقي في خدمة السلطان والتوقي مع الحرص
والتوقي مع الشفقة **حكمة** وسئل بزرجمهر بماذا يتأدب البليد فقال
بان يوردوا بكثرة الاعمال ويتخذوا في مشقات الاشغال بحيث
لا يحصل لهم الى الفضول فراغ وقيل بماذا تؤدب الاشرار
فقال باهانتهم واحتقارهم ليعرفوا وضاعة اقدارهم وقيل بماذا
تؤدب الاحرار فقال بالتوقف في قضاء حوائجهم وسئل ايضا

من الكريم فقال من يهب ولا يذكر انه وهب وقيل له لاى
سبب يتلف الناس نفوسهم لاجل المال فقال لانهم يظنون
ان المال خير الاشيآء ولا يعلمون ان الذى يراد المال لاجله
خير من المال وقيل يكون شى اخذ من الزوج بحيث يعطى الناس
فيه ارواحهم ولا يبالون فقال ثلثة شى اخذ من الزوج الذين
والحقد والخلاص من الشدايد وسئل ايضا فى اى شى يكون
زينة العلم والكرم والشجاعة فقال زينة العلم التواضع والشجاعة العفو
عند القدرة قال يونان الوزير ثلثة اشيآء من عظيم البلآء كثرة
العيال مع قلة المال والجار السو الجوار والمرأة التى لا تتقيه لها
ولا وقار واتفق اهل الدنيا على ان اعمال الدنيا جميعها خمسة
وعشرون وجها خمسة منها بالقضآء والقدر ومن طلب الزوجة
والولد والمال والملك والحياة وخمسة منها بالكسب والاجتهاد
ومن العلم والكتابة والفروسية ودخول الجنة والنجاة من النار
وخمسة منها بالطبع ومن الوفا والمداراة والتواضع والسخآء
والصدق وخمسة منها بالعادة ومن المشى فى الطريق والاكل
والنوم والجماع والبول والتغوط وخمسة منها بالادب ومن
الجمال والطيب الخلق وعلو الهمة والتكبر والدناءة ويقال

الصدق [illegible]

ثلثة

ثلثة من الشدايد التى لا تجوز للعقلآء نسيانها ومن فنآء الدنيا
وانقضآؤها وتقلب احوال الزمان ومحن الدهور ستة تساوى
الدنيا الطعام السايغ والولد السليم الاطفاح والصاحب الموافق
والامين المشفق والكلام الصحيح النظام والعقل التام حكمة
قال الحكيم خمسة اشيآء ضايعة السراج المضئ فى الشمس والمطر
السباخ المالحة والمرأة الحسنآء عند الاعمى والطعام الطيب
يقدم بين يدى الشبعان وكلام الله تعالى فى صدر الظالم وسئل
الاسكندر لم تكرم معلمك فوق كرامة ابيك فقال لان ابى
سبب حياة الفانية ومعلمى سبب حياة الباقية وقال اذا
كانت بقسمة الله تجرى الامور فان جهاد محظور وتاركه مشكور
وقال اذا لم يمش معك الزمان كما تريد فامش مع الزمان كما
يريد فالانسان عبد الزمان والزمان عدو الانسان وكل
نفس يتنفسه الانسان فبقدره يبعد عن الحياة ويقرب من
الممات حكمة قال قوم من العلمآء لبزرجمهر قف على ابواب الحكمة
ما ينفع به ارواحنا واشباحنا لنجتهد فيه وما يضرنا لنبعد عنه
والله يجازيك عن احسانك فقال اعلموا وتيقنوا ان اربعة
من الاشيآء تزيد فى نور العين وتحد النظر واربعة ينقص

من نورها واربعة اشيآ تسمن الجسم وتخصبه واربعة تضعفه
وتهزله واربعة اشيآ تحيي القلب واربعة تميته اما الاربعة التي
تزيد في نور العين فهي الخضرة والماء الجاري والشراب الصافي
والنظر الى وجوه الاحباب واما الاربعة التي تنقصه فهي اكل
الطعام المالح وصب الما الحار على الراس والنظر الدايم في عين
ورؤية العدو واما الاربعة التي تسمن الجسم وتخصبه فهي الثوب
الناعم وخلو البال من الحزن والرايحة الزكية والنوم في المكان
الحسن واما الاربعة التي تضعفه فاكل اللحوم القديد وكثرة
الجماع وطول المكث في الحمام ونوم الغدا ولبس الثوب الخشن
واما الاربعة التي تصح الجسم فاكل الطعام في وقته وحفظ مقادير
الاشيا وحمل الاعمال المشقة وترك الحزن على غير موجب
واما الاربعة التي تهدم البدن فسلوك الطريق الصعب
وركوب الفرس الحرون والمشي على التعب ومجامعة العجوز
واما الاربعة التي تحيي القلب فالعقل النافع والاستاذ العالم
والشريك الامين والزوجة الموافقة والصديق المساعد واما
الاربعة التي تميته فهو الزمهرير وريح السموم والدخان الكريه
ومخافة العدو وقال سقراط الحكيم خمسة اشيا يهلك الانسان فيها

خديعة الاصدقآ والالتفات عن العلمآ واحتقار الرجل
نفسه واحتمال تكبر من لا يسوى واتباع الهوى حكمة قال بقراط
خمسة اشيا لا يشبع منها خمس عين من نظر وانثى من ذكر واذن
من خبر ونار من حطب وعالم من علم حكمة سيل حكيم ما امر
الاشيا في الدنيا وما احلاها فقال امر الاشيآ استماع الكلام
الخشن ممن لا قيمة له والدين الفادح وضايقة اليد واحلا
الاشيآ الولد والكلام الطيب واليسر سيل حكيم ما الموت
وما النوم فقال النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل وسيل
الحكيم ما الغنآ فقال القناعة والرضآ فقيل ما العشق فقال مرض
الروح وموت في حرت سيل ارسطاطاليس اي صديق اوثق
واي صاحب اشفق فقال الصديق الاصيل اوثق والصاحب
القديم اشفق وتدبير العقلآ افضل حكمة قال حكيم جالينوس
سبعة اشيآ تجلب النسيان استماع الكلام الخشن لا يتصور
القلب والحجامة على خرزة العنق والبول في الما الراكد
واكل الحوامض والنظر في وجه الميت والنوم الكثير وطول
النظر في الاماكن الخراب وقال ايضا في كتاب الادوية
ان النسيان يحدث في سبعة اشيا وهي البلغم وضحك

القهقهة واكل المالح واللحم السمين وكثرة الجماع والسهر
مع التعب والسهر مع التعب وسائر البرودات والرطوبات
فان اكلها يقوي ويجلب النسيان **حكمة** قال ابو القسم
الحكيم فتن الدنيا تنشأ من ثلثة نوع من قائل الاخبار وطالب
استماع الاخبار وملتقى الاخبار فهؤلاء الثلثة لا يخلصون
مع الملامة حكيم يقول ثلثة اشياء لا تجتمع مع ثلثة اكل الحلال
مع اتباع الشهوات والشفقة مع ارتكاب الغضب وصدق
المقال مع كثرة الكلام **حكمة** قال بزرجمهر الحكيم ان شئت ان
تصير من جملة الابدال فحول اخلاقك الى اخلاق الاطفال فقيل
كيف ذلك فقال في الاطفال خمس خصال لو كانت في الكبار
لكانوا ابدالا وهي انهم لا يهتمون للرزق واذا مرضوا لم يشتكوا
من خالقهم تعالى وانهم يأكلون مجتمعين واذا تخاصموا لم يتحاقدوا
ويسارعوا الى الصلح وانهم يخافون بادنى تخويف وتدمع اعينهم
قال وهب بن منبه في التورات اربع كلمات مكتوبة وهي
كل عالم لم يكن متورعا فهو كاللص وكل رجل خلا من
العقل فهو البهيمة على مثال واحد قال بعض الحكماء
اصل الرغامة العطف واصل الذنب العجلة واصل الذل

البخل **حكمة** قال الحكيم ينبغي ان يكون الانسان بعقله خادما
وبقلبه متقدما وبعادته ابلها اي لا يتجاوز عن الردى
والجيد وينبغي ان يستمع كلام الحكمة من غير حكيم فانه قد يصيب
الغرض من لم يكن راميا قال الاحنف بن قيس لا صديق
للملوك ولا وفاء للخلق **حكمة** قال ذو الرياستين اشتكى
رجل من خصم له الى الاسكندر فقال الاسكندر اتحب ان
استمع كلامك فيه بشرط ان اسمع كلامه فيك فخاف الرجل و
امسك فقال الاسكندر كفوا انفسكم عن الناس لئلا تسمعوا
من الناس السوء قال بزرجمهر العواقب اربع عاقبة الدين و
عاقبة المال وعاقبة الجسم وعاقبة الاهل فاما عاقبة الدين
ففي ثلثة اشياء الكف لا تتبع الهوى وان تتعهد باوامر
الشرع وان لا تحقد ابدا وعاقبة المال في ثلثة ايضا
انعام النظر واداء الامانة واخراج الحق من المال وعاقبة
الجسم في ثلثة ايضا قلة الاكل والاقلال من الكلام والاقلال
من النوم وعاقبة الاهل في ثلثة القناعة وحسن الطرة
وحفظ طاعة الله تعالى وسئل حاتم الاصم لاي سبب لا تجد
ما وجده المتقدمون فقال لانكم فاتكم خمسة اشياء المعلم

الناصح والصاحب الموافق والجهد الدائم والكسب الحلال
والزمان المساعد جاء في الخبر ان رسول الله صلعم قال يا علي
اقبل الي بوجهك واصغ لي سمعك وقلبك كل وغظ واجمع
وهب وتشدد فقال علي ما معنى هذه الكلمات يا رسول
الله فقال يا علي كل الغضب وغظ عيب اخيك وهب
ظلم الظالم واجمع لذلك القبر الضيق والمظلم وتشدد في
دين الاسلام **حكمة** قال رجل لبعض الحكماء اوصني فقال
انظر قضاه واطلب رضاه وتجنب جفاه **حكمة** سئل بعضهم
اي شيء اكرم للخلق فقال كثرة التدبير وليس قدره و
من الاستكثار لا تزول الحاجة والعبد يحرص على كل
شيء الا على الغنى فليس يحرص عليه احد لان الخلق كلهم
يطلبون الغنى ولا يحرص احد على الهم لان الكل يطلبون
السرور ويحرصون على الفرح ولا يحرص احد على الموت لانهم
يحرصون على الحياة قال ابو القسم الحكيم هلاك العبد في شيئين
المعصية والانفراد بالرأي فالمعصية في العوام والانفراد
بالاراء في القراء **حكمة** بلاء الخلق من ثلثة العلماء المفتين
والقراء البطلة والعوام الجهلة وقيل لا تطلب صحبة

من

من طامع ولا تطلب وفاء من خسيس الاصل وقال الحكيم شيئان
ذهبا في هذا الزمان الدين والنفقة وقال اذا حفظت
اربعة اشياء كنت من جملة الرجال احدها ترك يجب
ان يكون بحيث اذا علمه الناس رضيت والثاني علانيتك
بحيث لو اقتدى بك الناس جاز لك والثالث ان تعامل الناس
بما لو عاملوك به اخترته لنفسك والرابع ان يكون حالتك للناس
بحيث لو كانت عليك رضيت بها **حكمة** قال الحكيم ينبغي
ثلثة اشياء بعين ثلثة وهي ان تنظر الفقراء بعين التواضع
لا بعين التكبر وان تنظر الى الاغنياء بعين النصح لا بعين
الحسد وان تنظر الى النساء بعين الشفقة لا بعين الشهوة
حكمة قال وهب بن منبه قرأت في التورية ان ام المعاصي
ثلثة الكبر والحرص والحسد وانها نتيجة خمسة اشياء كثرة الاكل
وكثرة النوم وراحة الجسم وحب الدنيا ومدح الناس وقال
من خلص من ثلثة نال اواه الجنة وهي المنة والمؤنة والملامة
اذا احسن لم يمن باحسانه وان خفف مؤنته عن الناس
واذا راى في احد عيبا لم يلمه **حكاية** يقال ان ابن القرية
دخل على الحجاج يوما وكان من اكابر اهل زمانه فطنة

وعلمائه الحجاج وقال له يا كنز فقال النظر بالنعم والاياس
من الرحمة فقال ما الرضى القنوع بعطايا الله والصبر على
المكاره فقال ما الصبر قال كظم الغيظ والاحتمال لما يراد
فقال ما الحلم قال اظهار الرحمة عن والرضى عن الغضب
فقال ما الكرم قال حفظ الصديق وقضاء الحقوق فقال
ما القناعة قال الصبر على الجوع والورع عن اللباس فقال
ما الغنى قال استعظام الصغير والتكثر بالقليل فقال ما الرفق
قال اصابة الاشياء الكبيرة بالآلة القليلة الحقيرة فقال
ما الحمية قال الوقوف على رأس من هو دونك فقال ما الشجاعة
قال الحملة في وجوه الاعداء والكفار والثبات في موضع الزوال
فقال ما العقل قال انه صدق المقال وارضاء الرجال فقال
ما العدل قال ترك المراد في صحة السيرة والاعتقاد فقال
ما الانصاف قال المساواة عند الدعاوى بين الناس
فقال ما الذل قال المرض من خلو اليد والاكثار من قلة
الرزق فقال ما الحرص قال حدة الشهوة عند الرجاء
فقال ما الامانة قال قضاء الواجب فقال ما الخيانة
قال التراخي مع القدرة قال ما الفهم قال التفكر والادراك

الاشيا

الاشياء على حقايقها **حكمة** ثمانية تجلب الذلة على اصحابها
ومنه جلوس الرجل على مائدة لم يدع اليها ومن تأمر على
صاحب البيت والطامع في الاحسان من اعدائه والمصغي
الى حديث اثنين لم يدخلاه بينهما ومحتقر السلطان ومن
جلس فوق رتبته ومن تكلم عند من يستمع ومن صادق
من باهل **حكمة** سئل بزرجمهر اي شيء يقبح بالرجل ذكره
وان كان صحيحا قال مدح الرجل نفسه لانه لا يوجد بخيل
محمودا ولا ذو عجب مسرورا ولا عاقل حريصا ولا كريم
حاسدا ولا ترى قنوطا غنيا ولا تجد للملوك صديقا **حكمة**
قال الحكيم خمسة يفرحون بخمسة ثم يندمون بعدها الكسلان
اذا فاته الامور والمنقطع عن اخوته اذا نالته شدة ومن امكنته
فرصته على اعدائه ثم عجز عن انتهازها ومن ابتلى بامرأة سوء
وتذكر المرأة الصالحة قبلها والرجل الصالح يقدم على
ارتكاب الذنوب **حكمة** سئل بزرجمهر هل يقلب المال قلوب
العلماء من الرجال فقال من قلب المال قلبه فليس
بعالم وقال الحكيم العتاب الطف من الحقد الباطن
وقال بزرجمهر اصحاب النعم والحزن في الدنيا ثلثة محبت

الدنيا فارق حبيبه والدنيا شفيق صل عن ولده وغني عاد
فقيرا وقال حكيم حمية يكون المال اخرج من نفوسهم و
ارواحهم ومنهم المقاتل بالاموة وحفار الابار والانهار وراكب
البحر للتجارة والحواء الذي يتصيد الحيات بيده واكل السم
بالمراهنة قال عمر بن معدي كرب الكلام اللين يلين
القلوب التي هي اقسى من الصخرة والكلام الخشن يخشن
القلوب التي هي انعم من الحرير وقال الحكيم الحزن مرض الروح
كما ان الوجع مرض الجسد والفرح غذاء الروح كما ان الطعام
غذاء الجسد وطلب حكيم من رجل ان يدينه دينا فلم يفعل فقال
الحكيم لم يكن من منعك الا ان احمر وجهي مرة من الحياء
ولو اعطيتني لم يصفر وجهي مرة من مطالبتك بل الف مرة
وقال حكيم لم يزرع وطيبة لم يب وشيئا قيمته وقال
من يلبس لولب ولاحظ فهو نخوة بلا ثمر وقال من سل سيف
الجور قتل به بغيه ولم ينصف من نفسه لم يخلص من حسرته
ومن اطلق يده بالعطايا اشرق وجهه بالصفايا ومن لم
يحترز من ذنبه فقد تعلق به وقال الشباب وضيع بالجنون
والشيب قرين التوقير والسكون وقال تزود ظاهره الزاد

ولا

٨٩

ولاتخف من الاضداد غطه قال لقمان الحكيم كنت اسير في
طريق فرايت رجلا عليه مسح فقلت ما انت ايها الرجل فقال
آدمي فقلت ما اسمك فقال حتى انظر ماذا اسمي فقلت ما
تصنع قال ترك الاذى فقال ماذا تاكل قال ما يطعمني
ويعطيني فقلت من اين يعطيك فقال من حيث
يشاء فقلت طوبى لك وقرة عينيك فقال ومن الذي منعك
عن هذه الطوبى وقرة العين ثلثة تذهب الغم عن
القلب صحبة العلماء وقضاء الدين وفقدة الحبيب وقال
شيئان يجلبان الحزن الى القلب الطمع وجود البخلاء
والمزاح مع الضعفاء وقال تجنب اربعة اشياء وقد
تخلصت من اربعة اشياء تجنب الحسد لتخلص من الحزن
ولا تجالس جليس السوء وقد تخلصت من الملامة ولا ترتكب
المعاصي وقد تخلصت من النار ولا تجمع المال وقد استرحت
من عداوة الخلق قال الحكيم اربعة اعمال مذمومة
يعملها الناس فيجازون بها في الدنيا والآخرة احدها
الغيبة فقد قيل ان الغيبة فاس يحيق سريعا والثاني
احتقار العلماء لانه من حقر العلماء عادته الثالث

كفران نعمة الله تع الرابع قتل النفس بغير حق والاكابر و
الحكماء مثل قدماء وهو قولهم كل قاتل مقتول ولو بعد حين
كما قال ان ح اذا حكمت بالسكين كن لتقتل الناس
فاذكر السبيلا • راى عيسى قتيلا في طريق نعض على انامله
طويلا • فقال لمن قتلت تراك حتى عدوت كما ارى ملقى قتيلا •
وقاتلك الذي ارداك ايضا • يذوق القتل فيطل العويلا

الباب السادس في شرف العقل والعقلاء اعلم ايها
العاقل ان الله تعالى خلق العقل على احسن صفة وقال له
اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما
خلقت في خلقي شيئا اجل منك بك آخذ وبك اعطي وبك
احاسب وبك اعاقب والدليل على صحة هذا ان الله تعالى
على العباد شيئين الامر والنهي وكلاهما موقوفان على
العقل كما جاء في محكم التنزيل قوله جل ذكره فاتقوا الله
يا اولي الالباب ذاوي الالباب هم ذوو العقل واسحاق العقد
من العقال والمعقل المنيع القلعة يكون على راس الجبل لا
تصل اليها يد احد لامتناعها وقوتها واحكامها **حكمة** سيل
حكيم الروس لم يسمى العاقل عاقلا فقال لان للعاقل

سبع

سبع كلمات يعرف بها وهي ان يتجاوز عن ذنب من ظلمه
وان يتواضع لمن دونه وان يسابق الى فعل الخيرات لمن هو
اعلى منه وان يذكر ربه دايما وان يتكلم عن العلم وان يعلم متعة
الكلام في موضعه واذا وقع في شدة التجى الى الله تعالى وكذلك
الجاهل له علامات وهي ان يتجور على الناس ويظلمهم ويحيف
من دونه وان يتكبر على الرؤساء والمتقدمين وان يتكلم بغير علم
وان يسكت عن خطأ واذا وقع في شدة اهلك نفسه واذا راى
اعمال الخيرات لفت عنها وجهه **حكمة** قال سعد بن جبير ما رايت
للانسان لباسا اشرف من العقل ان انكسر صححه وان وقع اقامه
وان ذل اعزه وان سقط في هوة جذبه بضبعه منها واستنقذه
وان افتقر اغناه واول شيء يحتاج البليغ اليه العلم الممتزج
بالعقل كما جاء في الحكاية **حكاية** يقال انه ما كان في خلفاء بني
عباس خليفة اعلم من المأمون في جميع العلوم وكان له في كل
اسبوع يومان يجلس فيهما لمناظرة الفقهاء وكان يجتمع
عنده الفقهاء والمناظرون والعلماء والمتكلمون فدخل
بعض الايام الى مجلسه رجل غريب عليه ثياب رثة فجلس
في اواخر الناس وقعد من وراء الفقهاء في مكان مجهول

فلما ابتدوا في المسايل وكان رسمهم انهم يوردون المسئلة على
جماعة اهل المجلس فكل من عرف زيادة لطيفة او نكتة غريبة
ذكرها فدارت المسئلة الى ذلك الرجل الغريب فاجاب باجوبة
احسن من اجوبة الفقهاء كلهم واستحسنه المأمون فامر ان يرفع
من ذلك المكان الى موضع اعلى منه فلما وصلت اليه المسئلة
الثانية اجاب بجواب احسن من جوابه الاول فامر المأمون
ان يرفع الى اعلى من تلك المنزلة فلما وصلت المسئلة الثالثة
اجاب بجواب احسن واصوب من الجوابين الاولين فامر
المأمون ان يجلس قريبا منه فلما انقضت المناظرة احضروا الماء
وغسلوا ايديهم واحضروا الطعام فاكلوا ثم نهض الفقهاء و
خرجوا فقرب المأمون ذلك الرجل وادناه وطيب قلبه و
وعده بالاحسان اليه والانعام عليه ثم عبى مجلس الشرب و
قعد وحضر اليه الندماء الملاح ودارت الراح فلما وصل الدور
الى ذلك الرجل وثب قايما على قدميه وقال ان اذن امير المؤمنين
تكلمت كلمة واحدة فقال قل ما تشاء فقال قد علم الراي العالي
زاده الله علوا ان هذا العبد كان اليوم في المجلس الشريف
بمجاهيل الناس ووضعاء الجلاس وان امير المؤمنين بقدر

يسير

يسير من العقل الذي ابداه العبد جعله موقرا واعلى درجته
وبلغ به الغاية التي لم يسم اليها همته والان يريد ان تفرق
بينه وبين ذلك القدر اليسير من العقل الذي اتاه بعد الذلة وكثرة
بعد القلة وحاشا ان يحسده امير المؤمنين على هذا القدر
الذي معه من العقل والنباهة والفضل لان العبد اذا شرب
الشراب باعد عنه عقله وقرب منه جهله وسلب منه ادبه فعاد
الى تلك الدرجة الحقيرة كما كان ذليلا ورجع في اعين الخلق
حقيرا مجهولا فان راى ان لا يسلب هذه الجوهرة منه بفضله وكرمه
وسيادته وحسن شيمه فعل منطولا وانعم متفضلا فلما سمع
المأمون منه هذا الكلام مدحه وشكره واجله في رتبته وقرره
واجرى له جائزة الف درهم كاملة وحمله على فرس وثياب وتجمل و
كان في كل مجلس يرفعه على جماعة الفقهاء حتى صار ارفع منهم درجة
واعلى منهم رتبة وانما اوردنا هذه الحكاية لاجل نعت العقل لان
العقل يوصل صاحبه الى كل درجة عالية ومرتبة سامية
فان الجهل يحط صاحبه ويهبطه عن مكانته **حكاية** يقال ان
جاء في بعض الايام رجل الى باب ابي الدوانيق المنصور و
قال للحاجب اعلم امير المؤمنين ان بالباب رجلا من اهل الشام

الآن

اسمه عاصم وهو يذكر انه كان في الزمان الماضي بينه وبين
امير المؤمنين مصاحبة مدة سنة واقل او اكثر في التعليم والكرر
وقد وصل للسلام لتجديد العهد بالامام فعلم حاجب الحاجب
بذلك اذن له فلما دخل وسلم تثقل قدومه ووصوله على قلب
ابي الدوانيق لغثاثة منطقه وسوء ادبه فاجلسه وقال
له في اي حاجة قدمت فقال لرؤية امير المؤمنين بوسيلة تلك
الصحبة القديمة فامر له بالف درهم فاخذها الرجل وانصرف ثم عاد
بعد سنة وكان قرابة للمنصور ولد وهو جالس مع ذريته فدخل
الرجل وسلم عليه ودعا له فقال له اطلبته فيم قدمت فقال انا ذلك
الرجل الذي كنت اتعلم معك العلم بالشام وقد اتيت مهنيا لك بذر
ريتك ومودة في ذريتك فامر له بخمسمائة درهم وكان ابي الدوانيق ابو الدوانيق
شغله بخيلا ولم يكن في بني العباس ابخل منه ولهذا لقب بابي الدوانيق
ثم عاد ذلك الرجل بعد سنة اخرى فلم يجد حجة يحتج بها في الدخول عليه
الا انه دخل في خلة الناس وسلم وقال له الخليفة لاي سبب
وصلت فقال انا ذلك الرجل الذي كنت معك بالشام في التعليم
وكتابة الاخبار واستماع الاحاديث وكنت قد كتبت
معك دعاء الحاجة كل من دعا به في حاجة قضاه الله حاجته

وقد

ضاع ذلك الدعاء مني وقد اتيت امير المؤمنين لاكتب نسخة
ذلك الدعاء واحفظه فقال له المنصور لا تتعب في طلب
ذلك الدعاء فانه غير مستجاب فانه قد دعوت منه ثلث سنين
ليخلصني الله تعالى من صداعك فلم اخلص ولو كان مستجابا
كنت قد تخلصت منك فجد ذلك الرجل لما سمع هذا الكلام و
انما اوردنا هذه الحكاية لان الانسان اذا كان عاليا ولم
يكن له عقل سقط جاهه ورتبته **حكاية** يقال ان في ذلك
العصر ايضا وصل رجل من مدينة الرسول عم الى المنصور بحكم
صداقة كانت بينهما قديما فلما صار خليفة الزمان قدم عليه
ووفد اليه وكان الرجل عاقلا لبيبا ولم يكن عالما فلما راه قربه
وارفعه واستدعاه وقرب منزلته فقال ذلك الرجل يا امير المؤمنين
انا محب لك شديد المحبة والولاء مخلص في الطاعة والدعاء الا اني
لا اصلح لخدمة الملوك فكيف ينبغي ان ازورك بحيث لا يظهر
مني سوء ادب ولا اثقل على قلبك فقال المنصور اما في الزيارة
واذا زرتني فاجعل بين زيارتك وانقطاعك مدة طويلة
اذا اغبت فيما بينهما اشتقت وان احضرت لم املك وازدادت عندي
محبتك عما كانت عليه واذا دخلت فاجلس بعيدا عني

حتى يؤذن لك الحاجب منها بالتدريج ولا تطل جلوسك
فتنسب الى سوء الادب ولا تسال حاجتك لئلا تشغل
على قلبي واذا احسنت اليك فاشكرني في كل محل تحلها ونزلة
تنزلها بحيث اذا بلغني ذلك يهزني شكرك واازداد
في برك ولا تذكر في المجلس ما جرى بيني وبينك في الزمان الماضي
فتقبل الرجل هذه الوصايا فكان في كل سنة يمضي الى السلام
مرتين وكان الخليفة يعطيه في كل مرة يسلم عليه الف درهم
وانما ذكرت هذه الحكاية ليعلم ان من كان له عقل وان لم
يكن عالما فان عقله يكون له دليلا ومن كان ذا علم وليس
له عقل عادت اموره جميعا منعكسة منقلبة ومن كان تام
العقل والعلم كان في الدنيا نبيا او حكيما او اماما فان جمال
الانسان ووجوده ورتبته وصلاح احوال دنياه واخرته
بالعقل وتمامه وبكامل صفاته واقسامه وانواعه واصنافه
كما قال الحكماء بالعقل ينال المرء اوج البدر والعقل به الجاه
وسامي القدر والعقل به يعلو على الوزر في العقل
النجاح مع نفاذ الامر العقل اول الايمان ووسط الايمان
واخر الايمان وقال بعض القدماء ليس العقل ان الانسان
اذا وقع في امر اجتهد في حسن خلاصه منه بل العقل ان يجتهد

ان

ان لا يوقع نفسه في امر يحتاج الى الخلاص منه **حكمة** قال
برويز الملك لولده احفظ الرعية بتحفظك العقل واصرف
آفتك عن الرعية ليصرف العقل آفته عنك واعلم انك حاكم بين
الناس والعقل حاكم عليك فكما ينبغي ان يتقبل الناس
امرك فكذلك ينبغي ان تتقبل امر العقل **حكمة** كتب يونان الوزير
كتابا الى العادل انوشروان وادرج رسايل في باب العقل
وما يامر به العقل فكره انوشروان وامر بان يكتب اليه جوابا
وقال فيها ايها الحكيم لقد احسنت في تاديبه رسالة العقل لانا ومن
تقدمنا من الملوك انما تحلينا بالعقل فكيف يمكننا مخالفته فان
العاقل اقرب الناس اليه الله تعالى والعقل كالشمس في
الدنيا وهو قلب الحسنات والعقل حسن في كل حد وهو في
الاكابر والاعالي احسن والعقل في الانسان كالرطوبة
في الشجرة لان الشجرة ما دامت طرية رطبة كان الخلق من
راحتها ونضارتها وطيب ثمارها ونظارتها في طراوتها
في سرور وغبطة وزينة وفرحة فاذا جفت رطوبتها وخلت
نضارتها فلا تصلح حينئذ سوى القلع والاحراق والقطع
وكذلك الانسان ما دام عقله قويا اوجه سليما فصحبته مباركة

وسواصليه حسنه نافعه فاذا زال عقله وغلب عليه جهله
فحينئذ لا يصلح للحيوة ولا يستره غير الموت وقال انوشروان
كيف تستغني ان اخالف العقل ولا افعل ما يامرني به
العقل فانه ليس لملك ولا رعية خير من العقل فان بضيائه
يفرق بين المليح والقبيح والجيد والردي وبين الحق والباطل
والصدق والكذب وقال بزرجمهر شيئان قلما يكون وجودهما
في شخص كاملين العقل والشجاعة وقال لقمان الحكيم
كان الرجل عالما لا ينتفع بعلمه ما لم يكن العقل لعلمه مصاحبا
حكمة سال انوشروان بزرجمهر من يحب ان يكون اعقل
الناس قال العدو واذا عاد الى ظلم قال لا من اسائه و
كل شيء اذا كثر هان الا العقل فانه كلما كان اكثر كان صاحبه
اغلى حكمة وقيل لبزرجمهر اي شيء لا بد للانسان منه ولا مندوحة
له عنه فقال العقل فقيل له ما قدر العقل فقال شيء لا يوجد
في احد تاما كيف يوصف قدره وقال بعض الحكماء جميع الاشياء
مفتقرة الى العقل والعقل يفتقر الى التجربة ولا غنى اعز
من العقل ولا فقر اشد من الجهل وكل من كان علمه
اوفر كانت حاجته الى العقل اكثر والمثل لهذا كالراعي

ضعيف

ضعيف معه قطيع كبير يضرب للعالم الذي لا عقل له وقالت
العلماء العقل امير وله جنود وجنوده التمييز والحفظ والفكرة و
الفهم وسرور الروح العقل لان به ثبات الجسم والروح سراج نوره
العقل لانه ينبسط في جميع الجسد والعاقل لا يغتم ابدا لانه لا يفعل
ما يوجب الاغتمام ولا يهتم بامر لا يجوز لمثله الاهتمام حكمة
سئل ابن عباس العقل خير ام الادب فقال العقل لان
العقل من الله تعالى والادب تكليف من العبد وسئل
عبد الله بن المبارك العقل خير ام الادب فقال العقل فقيل
له ما العقل فقال العقل تعلم العلم والعمل بالعلم والعلم ان
تعلم انه ينبغي ان تعمل والعقل انه اذا علمت عملت قال رسول
الله م ما قسم الله تعالى لعباده خير من العقل ونوم العاقل
خير من عبادة الجاهل والعاقل المفطر خير من الجاهل
الصائم وضحك العاقل خير من بكاء الجاهل حكمة قال رجل
لافلاطون لا استريح او اتلف روحك فقال انا لا استريح
حتى اخرج الحقد من قلبك قال الحكيم كما يفوح من الميتة
الرائحة المنتنة كذلك يفوح من الجاهلية نتونة الجهل
وتضربه وبجيرانه واقاربه حكمة سئل حكيم ما بال العقل شداد

وعقده بين ثلثة وعشرين شيئا وثلثه وعشرين شيئا
فلولا هذه العقده لاختلط الجيد بالرديء اولا ما عقده
بين التوحيد والشرك وبين الايمان والكفر وبين الحذر
والسهو وبين الاستعلام والغفلة وبين التيقظ
والشك وبين العافيه والبلاء وبين الكرم والبخل وبين
حسن الخلق والفصاحه وبين التواضع والكبر وبين
الصداقه والعداوه وبين المدح والذم وبين التلاصح
والجهل وبين الحياء والقحه وبين الحق والباطل
وبين الرزانه والخفه وبين الظلمه والتيقظ ، و
بين الكرامه والذله وبين الطاعه والمعصيه وبين
ذكر الله تعالى والغفله وبين النصيحه والحسد وبين
السنه والبدعه وبين الرحمه والقساوه وبين الحكمه
والجهل قال صاحب الكتاب جميع محاسن الناس في العقل
وسائر العلوم والاعمال مرجعها الى العقل كما جاء في الحكايه
حكايه يروى ان الريح ملت كرسي سليمان عم وجعلت
تسير به فلاح لسليمان بلد فامر الريح ان تحطه فنزل فرأى
على باب ذلك البلد مكتوبا اجرة اجتهاد يوم درهم و[illegible]

والجمال

١٩٥

والجمال في يوم اجرته مائة دينار وعلم ساعة واحدة لا يحصى
قيمته وجميع الاشياء منوطة بالعلم والعلم اسيه الراي والتدبير
مع العقل توامان ومن اعطاه الله تعالى العقل فقد اتاه خيرا
كثيرا كما قال الشاعر ان كنت من اصل جوهر منسوب او يوسف
في الحسن وقت يعقوب ما انت بعقد عقلك المحبوب في الناس
سوى محقق معيوب فتعلم ايها الاخ كنه شانه للعقل و
علو قيمته فيجب عليك ايها العاقل الحمد والشكر لواهب العقل
وهو البارى جلت عظمته **الباب السابع** في نعت النساء
وذكر ما فيهن من خير وشر قال النبي عم خير النساء
ايمنهن [illegible] الولود الحنيفة المهر وقال عم عليكم بالمراة
الناجه فانها اطهر وابرك وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه تجوا
الى الله من شرار النساء واحذروا خيارهن وقال صاحب
الكتاب من اراد صلاح دينه وتدبيره ولم يجد المراة الحسناء
يهلو بها فعليه بالمراة الدينه فذات الدين خير وابرك و
اذا جاءت الديانه الى المال لان المراة التي لا دين لها ما
لها اصل ولا معها بركه وبركة الدنيا يوجد كل خير كما جاء
في الحكايه **حكايه** كان بمدينة مرو رجل يقال له نوح بن مريم

وكان رئيس بروه وفي صيتها وكان له نعمة كبيرة وجاه موفورة
وكانت له بنت ذات حسن وجمال وبهاء وكمال فخطبها منه
جماعة من اكابر الروس وذوو الثروة والشرف فلم يزوجها لاحد ٤١٧
منهم وتحيرها ولم يعلم لايهم يزوجها وقال ان زوجتها بفلان تخطت
فلانا وكان له غلام هندي دين تقي اسمه مبارك وكان
له كرم عامر كثير الاشجار والفاكهة والثمار فقال للغلام اريد ان
تمضي وتحفظ الكرم فمضى الغلام واقام في الكرم شهرين فجاء سيده
بعض الايام الى الكرم فقال له يا مبارك ناولني عنقود عنب
فناوله عنقود فوجده حامضا فقال سيده ما تستحي انك
لا تناولني عن هذا الكرم الكبير الا الحامض فقال لاني لا اعلم
الحامض من الحلو فقال سيده سبحان الله لك مدة شهرين
مقيم بالكرم ولا تعلم الحامض من الحلو فقال وحقك ايها
السيد انني ما ذقته ولا اعلم حامضه من حلوه فقال سيده
لم لا تاكل منه فقال لانك امرتني بحفظه ولم تامرني باكله
فما كنت اخونك فتعجب منه القاضي وقال حفظ الله عليك امانتك
وعلم القاضي ان الغلام ذو العقل فقال له القاضي
ايها الغلام لقد وقع لي فيك رغبة وينبغي ان تفعل ما امرك

فقال

فقال انا طايع لله ولك فقال اعلم ان لي بنتا جميلة وقد خطبها
كثير من الاكابر والمتقدمين ولا اعلم لمن ازوجها فاشر علي بما
ترى فقال اعلم ان الكفار في زمان الجاهلية كانوا يريدون
الاصل والنسب والبيت والحسب واليهود والنصارى
يطلبون الحسن والجمال وفي عهد رسول الله كان الناس
يطلبون الدين والتقى وفي زماننا هذه الناس يطلبون
المال فاختر الآن من هذه الاشياء الاربعة ما تريد فقال
له القاضي يا غلام قد اخترت الدين والتقى واريد ان ازوجك
بابنتي لاني قد وجدت فيك الصلاح والديانة ووجدت
منك التقى والامانة فقال الغلام ايها السيد انا عبد رقيق
هندي اسود ابتعتني بمالك كيف تزوجني بابنتك وكيف
تختار مني بنتك وترضا لي فقال له القاضي قم بنا الى البيت
لتدبر هذا الامر فلما صار الى المنزل قال القاضي لزوجته
اعلمي ان هذا الغلام الهندي دين تقي وقد رغبت في صلاحه
واريد ان ازوجه بابنتي فما تقولين فقالت الامر لك ولكن
امضي واعلم الصبية واجيب عليك جوابها فجاءت الام
الى الصبية فابلغتها رسالة ابيها فقالت الصبية

مهما امرتماني به فعلته ولا اخرج عن حكم الله وحكمكما ولا اعصيكما
بالمخالفة لامركما فزوج القاضي ابنته لمبارك واعطاهما مالا عظيما
فاولدها مبارك ولدا سماه عبد الله وهو معروف في جميع العالم
عبد الله بن المبارك صاحب الزهد والعلم ورواية الحديث
ومادامت الدنيا فالحديث عنه يروى ثم ايها الاخ اذا تزوجت
فاطلب ذات الدين ولا تطلب ذات الصبيحة والمال فان المال
يعود وبالا ولا تطيعك المرأة واذا اردت ان تطلب زوجة
فلا تخطبها لاجل الشهوة بل اطلبها لانها دينة وصالحة
لتكون في حفظك وطاعتك وتكون لك سترا من النار **حكاية**
نزل لعبد الله بن المبارك بعض الايام عشرة اضياف
من العلماء ولم يكن له ما يضيفهم به وما كان يملك سوى
فرس كان يحج عليه سنة وسنة ويخدمه بين يدي الاضياف
فقالت له زوجته ما كنت تملك من الدنيا غير هذا الفرس
فلم ذبحته فدخل سريعا الى بيته واخرج من متاع البيت
بقدر مهرها وطلقها في ساعته ووقته وقال امرأة تبغض
الاضياف لا تصلح لي فاتاه بعد ذلك رجل فقال له
يا امام المسلمين لي بنت وقد توفيت امها وهي كل يوم

تمزق

تمزق دستا من الثياب بخنا وغنا واليوم تريد تقصد مجلسك
فقل في تسليتها شيئا لعلها يرق قلبها فلما جلس على المنبر ذكر
من هذا الباب ما تسلت به المتصنية عن امها فلما عادت قالت
يا ابت قد شفيتني ولا اعود اسخط الله سبحانه ولكن اليك حاجة
قال ما حاجتك قالت ان تقول لي في اي ان ابناء الدنيا
تخطبك وارباب الاموال تطلبونك فانه ان كان لنا دنيا
فزوجها ابوها بعبد الله بن المبارك وحمل معها اليه جهازا
كبيرا ومالا كثيرا وانفذ برسم عبد الله عشرة افراس ليجاهد
عليها في سبيل الله فراى عبد الله بن المبارك بعض الليالي
في منامه كان قائلا يقول له ان كنت طلقت لاجلنا امراة
عجوزة فقد اعطيناك صبية بكرا وان كنت ذبحت فرسا
واحدا للاضيافك فقد اعطيناك عشرة افراس عوضك
لتعلم ان الحسنة عندنا بعشرة ولا يضيع لدينا اجر محسن
وما عاملنا احد فخسر ولا تجر كما جا في الحكاية روى
ابو سعيد انه كان في زمان بني اسرائيل رجل صالح وله زوجة
دينة تقية ذات جمال وراي وحزم فاوحى الله تعالى نبي
ذلك الزمان انه قل لذلك العبد الصالح اني قد قدرت له

ان يقضي نصف عمره بالفقر ونصفه بالغنى فان اختار غناه
ان يكون في شيبته اغنيته وان اختار غناه في شيخوخته فقدرنا
له ذلك ويتزاد فلما علم الرجل ذلك اخبر به زوجته وقص
عليها ما سمعه وقال ما ترين فقالت الاختيار اليك فقال
الرجل قد رايت اختار الفقر في الشيبة فانني اذا كنت شابا
فقيرا احتملت الفقر وصبرت عليه واذا صرت كبيرا غنيا كان
لي ما اتقوت به واشتغل بطاعة ربي وعبادته فقالت المراة
ايها الرجل اذا كنا في الشيبة في فقر وخشنك لم نقدر على طاعة
ربنا تعالى ولم تصل ايدينا الى فعل الخيرات واعطاء الصدقات
فيجب ان نختار الغنى في زمان الشباب فيكون لنا شباب
وغنا، وطاعة فنقدر على عبادته باجسامنا واموالنا
فقال الرجل نعم ما رايت وكذلك نفعل فنزل الوحي الى النبي
وقال قل لذلك الرجل اذ قد آثرت طاعتنا واستفرغت جهدك
في عبادتنا وانفقت نيتك ونية زوجتك على فعل الخيرات
طاعتي فقد قضيت وقدرت ان يقضي جميع عمرك على الغنا
واليسار لكن انت وزوجتك على طاعتي ومهما زكتما فتصدقا به
على بريتي ليكون لكما حظ الدنيا وحظ الآخرة قال صاحب

الكتا

الكتاب وانما اوردنا هذه الحكاية لتتعلم ان من كانت
له زوجة صالحة كفيت جميع احوال الدنيا وآخرته في غاية الصلاح
قال ابن عباس دخل رسول الله صلعم يوما الى بيت ام سلمة
فرآها قد صلت الصبح وهي تسبح فقال يا ام سلمة لم لا تصلين
في جماعة ولم لا تصلين صلوة الجمعة ولم لا تحجين وتجاهدين
في سبيل الله وتختمين القرآن فقالت يا رسول الله هذه
كلها اعمال الرجال فقال نعم وللنساء ايضا ما يعادل هذه
الاعمال فقالت وما تلك الاعمال التي تعادل هذه فقال اذا
ادت المراة فريضة ربها واطاعت بعلها وحركت المغزل كانت
كانها تسبح ومادام المغزل في يدها كانت كانها تصلي جماعة
واذا اطوفت القدر لاجل اطفالها ان قطعت ذنوبها ونزل
المراة بمغزلها مثل عمارة القناطر والربط ومن صوت مغزلها
بفتح صيطان بينها وثلثة اصوات تبلغ الى تحت العرش
احدها اصوات قسي الغزاة المجاهدين في سبيل الله
والثاني صرير اقلام العلماء، والثالث اصوات المغازل
المصنوعات من النساء، قال الاحنف بن قيس ان اردتم
ان تحبكم النساء، فعاشروهن باحسن الاخلاق وجامعوهن

يا قبح الجماع وقال امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
لا تحدثوا النساء بحديث العشق فانه فتنة وانكم
قلوبهن فانه كلم معلق في ربه ماله حافظا عند الله تعالى
وقال المغيرة قضيت زماني مع النساء بثلثة اشياء في زمان
شبابي بالجماع وفي زمان كهولتي بالمزاح والحديث و
حسن الخلق وفي زمان شيخوختي بكثرة المال وسعة النفقة
واما الاستكثار من الجواري فغير محمودة الا ما قدرت على اداء
حقوقهن روى سليمان انه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خير النساء فقال من تطيع زوجها فيما يامر فقيل فمن شر من
فقال التي تخالف بعلها ولا تطلب رضاه ودخل حكيم على
معلم يعلم البنات الخط فقال له يا معلم اتعلم الشر الشر فقال
انه كانتا امراتان في مشورة فاجتاز بهما حكيم فقال انظروا
الى حية تتوصل السم من حية سئلت امراة عاقلة ما آداب
النساء فقالت وما عيوب الرجال فقيل البخل والجبن
فقالت هذان من آداب النساء تزوج بعض الحكماء امراة
قصيرة فقيل له لم لا تزوج بامراة تامة فقال المراة شر و
كلما نقص الشر كان اصلح وقال بعض الحكماء النساء والزوجات

على

على اربعة انواع امراة كلها للرجل وامراة نصفها للرجل
وامراة ثلثها للرجل وامراة هي عدوة للرجل اما التي كلها للرجل
فهي البكر والتي نصفها للرجل ~~والمراة هي عدوة للرجل~~ اما
فهي الراجع والتي ثلثها للرجل فهي التي يكون قد مات زوجها
الاول ولها منه ولد واما العدوة فالمطلقة التي زوجها
بالحياة ولها منه ولد وقلبها معه فاعلم اذن ان خيرهن البكر
يقال ان حوا لما عصت ربها في الجنة عاقبت الله النساء بثمانيه
خصال عقوبة الحيض والولادة وفراق امها وابيها وحصولها
مع اجنبي يتزوجها والنفاس والتطلخ به وانها لا تملك
امر نفسها ونقصان ميراثها والطلاق وكونه في يديها و
حل للرجال ان يتزوج باربعة وما لها الا ان يتزوج بواحد
والحكما فما هي ببيتها وتغطيه راسها في بيتها وشهادة
امراتين بشهادة رجل وانها لا تحل لها ان تخرج من بيتها
وحدها الا مع ذي محرم وان الرجال يصلون صلوة الجمعة
والعيدين والجنازة ويجاهدون وما للنساء ذلك وانه
لا يصلح ان يكون فيهن امارة ولا قضاء ولا علم وان
الثواب والاجر الف قسم للنساء منه قسم واحد وان

السوالج يعذبن بنصف عذاب جميع الامة يوم القيمة و
ان المراة تعتد لموت زوجها اربعة اشهر وعشرا وانها
اذا طلقها زوجها اعتدت بثلثة اشهر او ثلث حيضات
فهذه عقوبة النساء التي ذكرها **ذكر صفة النساء وعاداتهن**
اعلم ان جملة النساء على عشرة اصناف وصفة كل واحدة
تشبه صفة الحيوانات فالواحدة كالخنزير الثانية كالقردة
الثالثة كالكلب الرابعة كالحية الخامسة كالبغلة السادسة
كالعقرب السابعة كالفارة الثامنة كالبط التاسعة
كالثعلب العاشرة كالغنمة اما التي عادتها كعادة الخنزير
فانها التي لا تحسن غير الاكل وحشو البطن والكسر للانية
ولا تبالي اين مضت ولا تهتم بالدين والصلوة والصوم
ولا تتكلم في الممات والوعد والوعيد والثواب والعقاب والامر
والنهي بل تكون غافلة عن رضى الله عنه وسخطه ولا تشتغل
بحفظ الاولاد وتاديبهم وتعليمهم القرآن والعلم وتلبيس
الثياب القذرة وتظهر فيها الرائحة والمكروهة واما التي
عادتها كعادة القردة فهي التي تكون همتها في لبس الثياب
الملونة من الاصفر والاحمر والاخضر ولبس اللؤلؤ والجواهر

التحلي

79

والتحلي بالفضة والذهب وتتبجح على اترابها وتتعظم منزلتها عند
زوجها وربما كان حالها ينافي ذلك واما التي عادتها عادة
الكلب فهي التي اذا كلمها زوجها وثبت في وجهه وصاحت
عليه وخاصمته ووثبت عليه كالكلب ومتى ابصرت كيس
زوجها ملانا من الذهب والفضة وبيته محشوا اثاثا و
بالخبز والحنطة والنعمة والفاكهة اكرمته وتقربت اليه وقالت
له روحي لك الفداء ولا لقاك الله مكروها وانا اموت فداك
وتقدمت قبلك ومتى كان خالية بخلاف ما ذكرنا وثبت كالكلب
في وجهه وشتمته وتنقصت بحسبه ونسبه واخرجته من بيته
وعيرته بالفقر ولا تسكت يومها اجمع البتة واما التي عادتها
كعادة الحية فهي التي تلين كلامها لزوجها وتضمر له شرا ولا يرى
لها خيرا فهي كالحية لين مسها قاتل سمها واما التي عادتها
كعادة البغلة فهي التي تكون حرونة كالبغلة اذا وقفت على
الحجر كلما ضربت لا تبرح وتكون لجوجة منفردة برايها معجبة
بنفسها واما التي كالعقرب فهي التي تدور في بيوت الجيران
بالنميمة والغمز والسعي لاجل تشبيهم تنم بها وتوقع بينهم العداوة
والخصومة والفتن مثل العقرب اين وصلت ضربت بحمتها

ولا تخاف ان تكون من الذين قال في حقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الفتان لا يدخل الجنة واما التي عادتها كعادة الفارة فهي
المرأة السارقة التي تحمل كيس زوجها وتسرق منه وتخبأه في
جيرانها وتسرق منه وتخبأه في بيوت جيرانها وتسرق من
ضيعته والسبابة وتعطيه النسوان واما التي عادتها كعادة
البط فهي التي تدور طول نهارها ولا تستريح عن دوارانها وتقول
لزوجها اين تمضي ولا شك انك ما تريد ونفسي وانك تحت
حبي ولست مع سنتها واما المرأة التي لها عادة الثعلب
فانها التي تخرج زوجها من البيت وبمداراته في البيت كلفته
ونامت وتعاللت واذا دخل زوجها فتحت عليه باب الخصومة
والابتداء بالنقار وتقول له تركتني في البيت وحيده مريضة
واما التي لها عادة الغنيمة التي كل شيء منها فيه منفعة
وكذلك المرأة الصالحة الكثيرة النفع المشفقة على زوجها
وجيرانها وقرابتها واهل بيتها واولادها المطيعة لربها
فصل واعلم ان ديانة المرأة وسترها نعمة من نعم الله تعالى
على عبده ومبهات ان يقدر على المرأة العفيفة طامع
كما جاء في الحكاية **حكاية** يقال انه اراد رجل فاسق ان يجامع

امرأة عفيفة بالحرام فقال لها امضي واغلقي ابواب الدار
جميعها واحكمي اغلاقها فمضت المرأة ثم عادت فقالت قد غلقت
سائر الابواب واوثقت اغلاقها سوى باب واحد فقال اي
الابواب ذلك الباب قالت تلك الابواب التي بيننا وبين
الخلق قد اغلقتها وقد بقي الباب الذي بينك وبين الخالق
جلت قدرته وجل عظمته ما قدرت عليه ولا استطعت ان
اغلقه وهو بحاله مفتوح فوقع في نفس الرجل من هذا الكلام
الهيبة فاخلص لله التوبة واقلع عن ذنبه وعاد الى طاعة
ربه **حكاية** يقال انه كان رجل علوي بسمرقند بعض الايام
قايما على باب داره فاجتازت عليه امرأة ذات جمال وحسن
وكان الدرب خاليا فقبض العلوي على زند المرأة وجذبها
الى داخل الدار وهمّ ان يفسد معها فقالت له المرأة ان لك
مسئلة فاجبني عنها وافعل بي بعد ذلك فقال اذكر مسالتك
فقالت اذا انت وطئتني حراما وحصلت منك وولدت ولدا
يكون ذلك الولد علويا او جنبا عاميا فقال انه يكون علويا فقالت
المرأة لا شك انك انت ايضا من جنوث العلويين ولو لم يكن
جنث لم تفعل مثل هذا فخجل العلوي في الحال ورفع يده عنها

ونذر على نفسه لله نذرا انه لا يعود ينظر الى امراة محرمة عليه
نظرة ابدا وينبغي ان يكون الرجل صاحب حمية وغيرة على
حرمته وناموسه فان الحمية من الدين الى حد انه لا يجوز للرجل
الاجنبي ان يسمع دق المراة الاجنبية بابها وكفها واذا
دق رجل اجنبي باب الدار فلا يحل للمراة ان تجيبه فلتضع
اصبعها في فمها وتجيبه ليصير صوتها شبيها بصوت العجايز
ولا يجوز للنساء ان ينظرن الى الرجال الاجانب ولو كان
المنظور اليه اعمى فقد جاء في الخبر ان رسول الله م دخل الى
بيت عايشة فراى عبد الله بن ام مكتوم قاعدا عند النساء
فقال يا عايشة لا يحل للمراة ان تقعد عند غير محرم فقالت يا رسول الله
انه اعمى فقال ان كان ما يراك فانك تريه **حكاية** ان الحسن
البصري رحمه الله قصد زيارة رابعة العدوية رضي الله عنها
في جماعة من الصحابة فلما وصلوا الباب قالوا ائذني لنا
في الدخول فقالت رابعة تمهلوا ساعة وجعلت الكساء
بينهم وبينها سترا واذنت لهم فدخلوا وسلموا عليها فجلسوا
من وراء الستر فقالوا لم علقت بيننا وبينك سترا فقالت
امرت بذلك في قوله تعالى فاسألوهن من وراء حجاب

وواجب على الرجل ان لا ينظر الى امراة اجنبية بحال فانه
قبل ان يجازى به في الاخرة يجازى به في الدنيا كما جاء في الحكاية
حكاية بمدينة مرو كان رجل سقا يحمل الماء الى دار رجل صايغ
مدة ثلثين سنة وكان لذلك الصايغ زوجة في نهاية الحسن
والجمال والظرافة والكمال موصوفة بالديانة موصوفة بالستر
والصيانة فجاء السقاء على عادته يوما وقلب الماء في الحباب
وكانت المراة قايمة وسط الدار فدنى منها السقاء واخذ
بيدها فغمزها ولواها وجعلها ثم مضى وتركها فلما جاء زوجها
من السوق قالت له اريد ان تعرفني اي شي صنعت
اليوم في السوق لم يكن لله فيه رضى فقال الرجل ما صنعت
شيئا فقالت المراة ان لم تصدق وتعرفني ما اقعد في بيتك
ولا تعود تراني ولا اراك فقال اعلمي ان يومنا هذا اتت
امراة الى دكاني فصنعت لها سوارا من ذهب فاخرجت
المراة يدها ووضعت السوار في يدها فتحيرت من بياض يدها و
حسن زندها فتذكرت هذه المشتوى وجعلت في ساعدها
سوارين واري كان السقا شي فوقها جاري لم يخطر
في سهو حبس لا انكار بها وله منطقة من ناري ثم اخذت

يدها فعصرتها ولويتها فقالت المرأة الله اكبر ما فعلت
مثل هذا الا جرم ذلك الرجل الذي كان يدخل الينا منذ
ثلثين سنة ولم يرفيه خيانة اخذ اليوم يدي وعصرها ولو
اها فقال الرجل الامان ايتها المرأة انا تايب مما بدا مني
فاجعليني في حل فقالت المرأة الله المسؤول ان يجعل عاقبة
امرنا الى الخير فلما كان من الغد جاء الشيخ والقى نفسه
بين يدي المرأة وتمرغ على التراب وقال يا صاحبة المنزل
اجعليني في حل فان الشيطان اضلني واغواني فقالت
له المرأة امض في حالك سبيلك فان ذلك الخطاء لم يكن منك
وانما كان من ذلك الشيخ الذي في الدكان فاقتص الله تعالى
منه في دار الدنيا فكذلك المرأة ينبغي ان يكون مع زوجها ظاهرها
وباطنها واحد وتقنع معه بالقليل ان لم يقدر على الكثير وتقتدي
بعايشة رض وفاطمة رض تطحن بالرحى حتى اذهبت
انا ملها فشكت ذلك في بعض الايام الى امير المؤمنين علي
بن ابي طالب كرم الله وجهه فقال علي قولي لابيك يبتاع
لك جارية فاتت رسول الله صلعم وقالت يا رسول الله هل
الى مشتاق الى خادمة تعينني في اشغالي وتحمل عني بعض

انعالى

انعالى فقال عم الا اعلمك يا فاطمة ما هو خير لك من كل
خادم وخادمة واحدة من سبع سموات وسبع ارضين فقالت
يا رسول الله فقال لها اذا اردت النوم فقولي قبل منامك
ثلاثين مرات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وفي الاخبار انهم لم يكن
لهم في البيت الا كساء كانوا اذا غطوا به رؤسهم انكشفت
ارجلهم وفي الليلة التي كانت فاطمة عروسا وزفت الى علي بن
ابي طالب كان تحتهما جلد شاة كانا ينامان عليه وما
كان لفاطمة من متاع البيت سوى كساء وبجده من
ليف لاجرم ينادي لها مناد يوم القيمة يا اهل الموقف
غضوا ابصاركم حتى تعبر سيدة النساء فاطمة الزهراء و
المرأة تعز عند زوجها وتنمو المحبة لها في قلبه باكرامها له ومطاوعتها
لامره وقت خلوته بها ومجامعته لها وحفظها منافعه
واجتنابها مضاره وتزيينها له واكتنابها في بيتها
وقلة خروجها من حرزها وبان يكون عنده حقه التي تشمر
متحملة الامر وبان تحفظ وقت طعامه ومهما علمت انه يشتهيه
اصطنعته له بطاقة وبشر وبان لا تكلفه حاجة مستحيلة

وان لا يكون لجوجه وان تستر نفسها عند منامها وبان
تحفظ سره في حال غيبته وحضوره قال صاحب الكتاب
واجب على الرجال ان يؤدوا حقوق النساء العوارف وان يحتاطوا
بهن من وجه الرحم والاحسان والمداراة ومن احب ان
يكون مشفقا على زوجته متحديا عليها رحيما لها فليذكر
عشرة اشياء من احوالها ليبصرها بها اولها ان المراة لا
تقدر ان تطلقها وتقدر على طلاقها متى شئت وانها لا تقدر
ان تاخذ منه شيئا بغير اذنه وتقدر على ذلك وانها ما
دامت في حبالك لا تقدر على زوج سواك وانت تقدر
على التزوج عليها وانها لا يجوز ان تخرج من البيت بغير
اذنك وانت يجوز لك وانها لا يمكنها ان تنوي وانت
تملكك وانها تخافك وانت لا تخافها وانها يقنع منك
بطلاقة وجهك في حبها وبالكلام اللين وانت لا ترضى
بجميع افعالها وانها تفارق امها واباها وجميع اقاربها لاجلك
وانت لا تفارق احدا لاجلها وتقدر ان تشترك وتختص
بالجواري دونها وانها تخدمك دائما وانت لا تخدمها وانها
تتلف نفسها اذا كنت مريضا وانت لا تغتم لها ولو ماتت
فهذه

فهذه الوجوه التي ذكرنا ما يجب على العقلاء ان يكونوا رحماء
للنساء ولا يظلموهن ولا يجوروا عليهن فان المراة اسيرة
لاجل ذلك يجب على الرجال مداراة النساء ولنقص عقولهن
وبسبب نقصان عقولهن لا يجوز لاحد ان يتدبر بارائهن
ولا يلتفت الى اقوالهن ومن اعتمد على رايهن ودبر بتدبيرهن
بمشورتهن خسر كما جاء في الحكاية **حكاية** يقال ان خسرو بن
برويز كان يحب باكل السمك وكان يوما جالسا في المنظرة
وشيرين عنده فجاء صياد ومعه سمكة كبيرة واهداها
لخسرو ووضعها بين يديه فاعجبته فامر له باربعة الف
درهم فقالت شيرين بئسما فعلت فقال ولم فقالت لانك
اذا اعطيت بعد هذا لاحد من حشمك هذا القدر احتقره وقال
اعطاني عطية الصياد وان اعطيته اقل منه قال قد
اعطاني اقل مما اعطى الصياد فقال برويز لقد صدقت
ولكن سمج بالملوك ان يرجعوا في هباتهم وقد فاتت هذا
الامر فقالت شيرين انا ادبر هذا الحال وقال فكيف
ذلك قالت تدعوا الصياد وتقول له هذه السمكة ذكر ام
انثى فان قال ذكر فقل انما اردت انثى وان قال انثى فقل

انا اردت ذلك فنودي الصياد فعاد وكان الصياد ذا
ذكاء وفطنة فقال له برويز هذه السمكة ذكر ام انثى
فقبل الصياد الارض وقال هذه السمكة خنثى لا ذكر ولا
انثى فضحك خسرو من كلامه وامر له باربعة الف درهم فمضى الصياد
الى الخازن وقبض ثمانية الف درهم ووضعها في جراب كان
معه وحملها على عنقه وهم بالخروج فوقع من الجراب درهم واحد
فوضع الصياد الجراب عن كاهله وانحنى على الدرهم فاخذه
والملك وشيرين ينظران اليه فقالت شيرين لخسرو رايت
رايت الى خسة هذا الرجل وسفالته سقط منه درهم واحد
فالقى عن عنقه ثمانية الف درهم وانحنى على ذلك الدرهم فاخذه
ولم يسهل عليه ان يتركه فكان ياخذه غلام من غلمان
الملك فحرد برويز من ذلك وقال لقد صدقت يا شيرين ثم
امر باعادة الصياد وقال يا ساقط الهمة لست بانسان
وضعت مثل هذا المال عن عنقك لاجل درهم واحد وانفت
ان تتركه من مكانه فقبل الصياد الارض وقال اطال بقاء
الملك انني لم ارفع ذلك الدرهم لخطره عندي وانما رفعته عن الارض
لان على وجهه صورة الملك وعلى الوجه الآخر اسم الملك فخشيت

ان

ان ياتي احد بغير علم فيضع عليه قدمه فيكون ذلك
استخفافا باسم الملك وصورته واكون انا الماخوذ بهذا الذنب
فعجب خسرو من كلامه واستحسن ما نحى وكرم فامر له باربعة الف درهم
فعاد الصياد ومعه اثنى عشر الف درهم وامر مناديا
ينادي لا يدبرن احد براي النسا فانه من تدبر براي هن
وياتمر بامرهن خسر درهمه درهمين الدين **فصل** قال صاحب
الكتاب عمارة الدنيا وتناسل بني آدم بالنسا والنسوان
لا يصح بغير راي وتدبير وقيل شاوروهن وخالفوهن و
يجب على الرجل الفاضل المتيقظ ان يحتاط في خطبة النسا
وطلبهن وليزوج البنت لاكفائها اذا بلغت لئلا يقع في العار
والعيب ومرض القلب وعلى الحقيقة فكلما ينال الرجل
من البلا والهلاك والحزن فبسبب النسا كما قال الشاعر

خلق النسا لحب الاوطان ● بحقيق ماله سبحان ●
صدق النبي المصطفى في قوله ● ان النسا حبايل الشيطان ●
من فتنة النسوان قد ينقضي العتق ● الرحمن اذ يخشى من السلطان ●
اللص لولا هن لم يكبس بايعا ● للروح منه بارخص الاثمان ●
وبهن فرح آدم مع يوسف ● في محكم التنزيل بالعصيان ●

وكذاك هاروت ببابل منكس ٭ ومعلق بالشعر خلاعات
مجنون عامر هائم من حب ليلى ٭ في البيد يا وعجايب البلوات
كل البلا منهن يا فتى الوفا ٭ منهن لا يا في مدى الازمان

تم الكتاب بحمد الله ومنه وعونه وحسن توفيقه والحمد لله رب
العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين و
وصحبه وسلم تسليما كثيرا ابدا الى يوم
الدين ورضي الله عن اصحاب رسول
الله اجمعين وكان الفراغ من
تمت